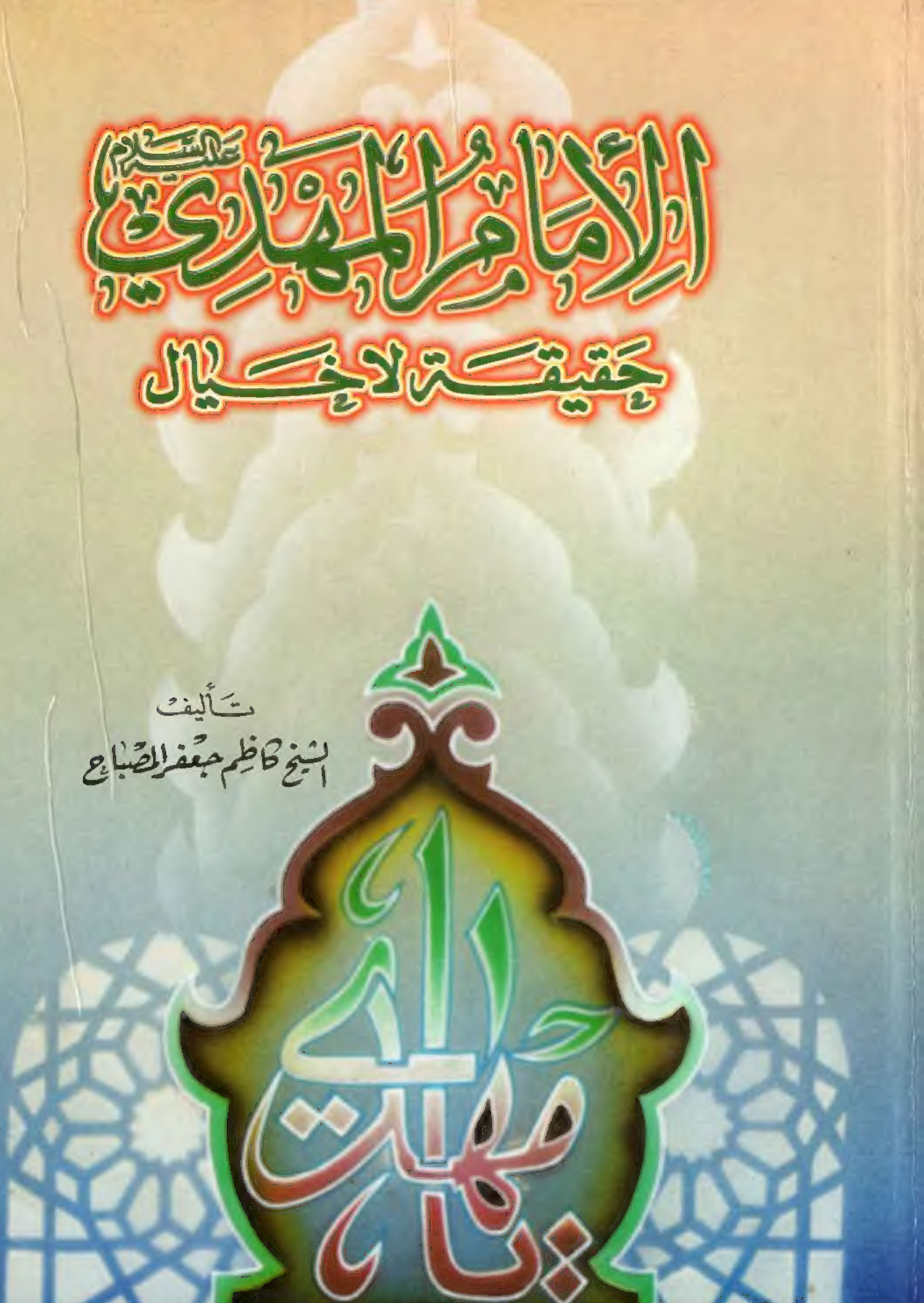


الإمام المهدي عليه السلام

حقيقة لا خيال

تأليف

الشيخ كاظم جعفر المصباح

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان


الإمام المهدي عليه السلام
حقيقة لا خيال



تأليف

الشيخ كاظم جعفر المصباح

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلِّ اللهم على خاتم رسلك، وصفوتك من خلقك، وخير بريتك، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الميامين الأطهار.

بَشّر الرسول الأعظم ﷺ بالمهدي المنتظر (عج) منذ ابتداء الإسلام بمواطن شتى، وبمناسبات مختلفة لا حصر لها، ذاكراً فيها نسبه وصفاته، وأنّه الإمام الثاني عشر والتاسع من أبناء الحسين عليه السلام، وأنه خاتم الأوصياء سيظهر بعد غيبة طويلة ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وكنتيجة منطقية لكثرة ترديد حديث المهدي (عج) من قبل الرسول ﷺ في أوساط المسلمين طيلة فترة التبليغ للرسالة، أصبح أكثر شيوعاً وشهرة من غيره، وروي في مسانِد الفريقين وبطرق عديدة بلغت حدّ التواتر المنقطع النظير..

ولذا ترى إجماع المسلمين قاطبة على أن حديث المهدي المنتظر (عج) حقيقة إيمانية لا بد من الإقرار بها باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من صلب عقائدنا المستنبطة من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة المجمع على صحتها، وأن من تعامى عنها، أو تنكر لها حكمت جميع المذاهب الإسلامية بكفره

وضلالته، لأنه تنكر لضرورة من ضرورات العقيدة والدين التي بدونها لا يمكن ضمان استمرارية الإسلام وبقائه إلى نهاية المطاف، وانتصاره على سائر الأديان السماوية، والرسالات الوضعية كما صرّح بذلك القرآن الكريم حيث قال: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**[1].

وبما أنّ التاريخ الإسلامي لم يحدثنا عن حصول مصداقٍ جليٍّ لهذه الآية الكريمة عبر فصوله الماضية فلا بد من حصوله في الأيام المقبلة، لأن القرآن معصوم من الزلل لا يخبر عن شيء إلا ونرى له أثراً مجسداً على صعيد الواقع المحسوس.

وبناءً على هذا تصبح مسألة انتصار الإسلام وشموله لكل أرجاء المعمورة أمراً إلزامياً لا بد منه، وأن اليوم الذي سترى فيه البشرية انهيار الحضارات المادية، وقيام الحكومة الإسلامية العالمية العادلة ليس ببعيد. وحينئذٍ سيعلم المكابرون وأصحاب الأقلام المأجورة ومن ورائهم كل الطواغيت المستبدين الذين بذلوا ما بوسعهم ليفنّدوا ما بشّر به الله في كتابه العزيز بشتى السبل والوسائل، سيعلم هؤلاء جميعاً أن الأمر الذي سخروا منه أصبح كياناً شامخاً يجسّد آمال المستضعفين وأمانيّهم، ويمسح عن جباههم آثار البؤس والشقاء الذي أفرزته حكوماتهم الجائرة عبر القرون والأعصار المظلمة.

إن إزالة آثار الظلم والاضطهاد، وطمس معالم الفسق والفساد، وإشاعة العدل الإلهي بين العباد، وإنقاذ البشرية من متاهات الكفر والضلال، وإيصالها إلى أسمى درجات العز والكمال من أبرز مهامّ الحكومة الإسلامية القادمة.

إنَّ قضية الإمام المهدي (عج) واليوم الموعود كانت ولا زالت شبحاً مخيفاً يقضُّ مضاجع الطواغيت، ويسلب من عيونهم الرقاد، ويذيقهم مرارة طعم الأرق والسهاد، ويثير القلق والاضطراب في نفوسهم ما داموا أحياءً، لأنهم يعلمون علم اليقين بأن نهايتهم الحتمية المزرية ستكون في ذلك اليوم الموعود، وعلى يد الفاتح العظيم الذي سيعيد بناء الإسلام، ويقيم الأحكام، ويضع حداً لكل مآسي الإنسانية

---

(١) الآية ٣٣ من سورة التوبة.

ومعاناتها، ويطوي كل صفحات تاريخ الطواغيت المفعمة بالظلم والاضطهاد..

ولهذا السبب بالذات صمم حكام الجور والضلال الذين اغتصبوا الخلافة من أهلها الشرعيين بأساليب غير مشروعة أن يثيروا غبار الشكوك والريب حول قضية المهدي(عج)، وسخّروا لذلك كل إمكاناتهم كي يتم لهم تشويهها وتسويقها بمرور الزمن كمرحلة تمهيدية تمهد لهم السبل لانتزاع هذه الفكرة من أذهان المسلمين، وزرع اليأس والقنوط في نفوسهم، كي يذعنوا لمشيئتهم، ويقروا بشرعيتهم، وبذلك يضعون حداً لهواجسهم التي طالما كانت تثير الفزع والقلق في نفوسهم.

ومن العوامل التي ساعدت حكام الجور على تنفيذ مخططهم السالف الذكر هي الملابسات المبهمة، والظروف الغامضة التي رافقت ولادة الإمام المهدي (عج) حيث حصلت في أجواء متشنجة، شديدة الحرج، مفعمة بالسرية والكتمان، لأن الخليفة العباسي الذي كان يترقب الحدث بوجل قد شدد في حينها الخناق حول بيت الإمام العسكري عليه السلام، وفرض عليه الرقابة المحكمة، وبث من حوله العيون كي يحاط علماً بالوليد في ساعة ولادته، ليتسنى له القضاء عليه في المهد، والتخلص من شبحه المخيف إلى الأبد. ولكن خاب ظنه، وفشل مكره، لأنه نسي وهو في حالة ذهوله واضطرابه أن ولادة المهدي (عج) قدر مقدّر من قبل الله لا بد من حصوله، ولا يستطيع الطواغيت مهما أوتوا من قوة الحيلولة دون تحقق مشيئته وإرادته بأي حال من الأحوال. فلم يدرك المستكبرون قدرة الله غير المتناهية، ولم يستوعبوا دروس القرآن وعبره، لأن حالة الغرور والعنجهية التي تغمرهم وتهيمن على كل مشاعرهم وأحاسيسهم تحول دون إدراك الحقائق واستيعاب التجارب والعبر السالفة.

ألم يذكر القرآن الكريم قصة مماثلة لقصة المهدي (عج) والخليفة العباسي، تلك هي قصة موسى عليه السلام وفرعون فلم لم يعتبر بها، ولم يستوعب نتائجها ودروسها القاسية؟

أليس هذا دليلاً قاطعاً يثبت ما نقول؟

فمثلما أنجى الله موسى عليه السلام من كيد فرعون رغم شدة بطشه، وإصراره على استباحة النساء، وذبح الأبناء، أنجى المهدي (عج) المنتظر من كيد الخليفة

العباسي، وأحبط مكائده، وبدّد مساعيه الماكرة.

وعاش المهدي عليه السلام تحت ظل الحكومة العباسية الغاشمة بالرغم من شدة بطشها واستبدادها، كما عاش موسى عليه السلام في قصر فرعون بالرغم منه، ولكن الفرق بينهما أنَّ موسى عليه السلام عاش ظاهراً مرئياً، بينما أدركت عناية الله ورحمته المهدي فأخفته عن أنظار خصومه المتربصين به، فكانت الغيبة الصغرى والكبرى..

إنَّ الظروف السياسية المشبعة بالخوف والإرهاب جعلت الإمام العسكري عليه السلام يحيط الولادة بجو في غاية السرية والكتمان، ويخفي ولادة وليده عن أقرب المقربين إليه عدا أُخته وخادمه العمري لئلا يعلم الحاكم الجائر بها ويفتك بالوليد وهو بالمهد..

ثمّ إنَّ غيبة الإمام الحجة (عج) بعد وفاة أبيه، وطول عمره المديد يشكلان خرقاً واضحاً للقانون الطبيعي المعهود.

إنَّ هذه الأمور الغريبة غير المعهودة هي التي مهدت السبيل لوعّاظ السلاطين لإثارة الشكوك والريب حول قضية المهدي (عج) والاستهزاء بها، وأن يسخروا ممن يعتقد بوجوده الشريف.

وسنذكر للقارىء العزيز نماذج من أساليب السخرية والاستهزاء التي مارسها الوعاظ عبر وسائل الإعلام مدى الأيام، وحملات التشويش والتشويه التي حاولوا من خلالها إخفاء معالم هذه القضية والتشكيك بصحة وجودها..

ومن المفارقات التي أوقعت الكثيرين من المسلمين في بحر الشكوك والريب هي الاختلافات الشديدة التي أثارها الوعاظ حول اسمه واسم أبيه، ونسبه وحسبه، هل أنه كان حسنياً أو حسينياً أو عباسياً، وهل ينتهي نسبه إلى فاطمة الزهراء عليها السلام أم لغيرها من الأمهات؟ إلى غير ذلك من الاختلافات المفتعلة التي دسّت ضمن الأحاديث المختصة بالإمام المهدي (عج) وعلامات ظهوره، وخروجه في آخر الزمان لإقامة الدين، وإحقاق الحق، ونشر العدل ومحق الباطل وإزالة آثاره.

ومما زاد في الطين بلة أن عدداً غير قليل من وعاظ السلاطين قاموا بافتعال

قصص خرافية حول هذا الموضوع من قبيل قصة السرداب الذي غاب فيه الإمام المهدي، وأن شيعته يجتمعون حوله في كل جمعة مع خيولهم وهم مدججون بالسلاح يندبونه، وينتظرون خروجه منذ أكثر من ألف سنة.

ولم تتوقف حملات التشويه والتسويف يوماً من الأيام طيلة فترة الغيبة الكبرى إلى يومنا هذا، حيث ظهر في الآونة الأخيرة كتّاب مأجورون وظفوا أقلامهم لخدمة أغراض أسيادهم المستكبرين الذين ما فتروا برهة وجيزة من الزمن عن محاربة الإسلام وعقائده السامية.

فزعم هؤلاء الكتاب أن مسألة المهدي قصة خرافية منسوجة من خيوط الوهم والخيال، لا أصل لها ولا جذور تاريخية، متغافلين عما جاء به الرسول الأعظم من الروايات المتواترة التي روتها كتب الفريقين من المسلمين على حد سواء.

وتمثّل هذا النفر من الضالين والمضلين بأمثال إحسان إلهي ظهير[١]، والبنداري[٢]، والسائح، ومن تابعهم وقلّدهم بدون علم ودراية من المنسوبين إلى الشيعة.

وملخص تخرّصاتهم تنصبُّ على نفي وجود المهدي المنتظر عليه السلام متذرعين بحجج واهية لإثبات النفي، فهم يزعمون أن الشيعة وقعوا في حيرة واضطراب بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وافترقوا إلى إحدى عشرة فرقة أو أربع عشرة فرقة، أو سبع عشرة فرقة، وأنَّ الروايات التي تتحدث عن هوية الإمام المهدي ضعيفة وموضوعة ومختلفة، سواء منها ما يتعلق باسمه واسم أُمه وأبيه وتاريخ ولادته وغيبته وسفرائه.. وبمثل هذه التخرّصات والمزاعم الكاذبة يريد هؤلاء المشبوهون أن ينفوا وجود المهدي المنتظر عليه السلام متعامين عن الحقائق الدامغة المتضافرة على إثبات وجوده وغيبتيه الصغرى والكبرى وحياة سفرائه طيلة سبعين عام..

ولسنا الآن بصدد مناقشة آرائهم الشاذة النادرة، لأننا سنناقشها في فصل الشبهات والشكوك المثارة حول المهدي عليه السلام، وسنردّ فيه على مزاعم

(١) فرق وتاريخ ص ٢٦١ و٣٠١ ط/ باكستان سنة ١٣٨٤هـ.

(٢) انظر التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ـ ط الثانية ـ عمان.

المشككين القدامى والجدد بالدليل والبرهان.

والذي يهمنا هنا معرفة الدوافع الكامنة وراء هذا التحرك المشبوه والنشاط المريب الذي تقف وراءه دوائر الاستكبار العالمي المسيّرة من قبل الصهيونية العالمية.

ويبدو لأول وهلة أنَّ المستهدف بهذه الحملة المسعورة الإسلام بصورة عامة والتشيّع بشكل خاص، ولهذا الغرض بالذات زجّ عدداً من العناصر المنتسبة للشيعة ضمن هذا التحرك الاستكباري الجديد.. فسلمان رشدي ونظائره من الكتّاب المأجورين ـ بالتعاون مع وسائل الإعلام الاستكبارية والصهيونية ـ قاموا بتحريف العقائد والأفكار الإسلامية والتشكيك بنبوة الرسول محمد ﷺ، والاستهزاء بالمسلمين.

بينما قام إحسان إلهي ظهير ومن حذا حذوه بتسخيف العقائد الشيعية ابتداءً من قضية المهدي المنتظر عليه السلام لاعتقادهم بأنها من أهم نقاط الضعف التي يمكن النفاذ من خلالها للطعن والتشكيك بصحة العقيدة الشيعية.

ولأجل أن تكون هذه الحملة التحريفية ذات أثر فعال سخّرت أجهزة المخابرات الاستكبارية عدداً من عملائها المتسترين بالتشيّع ليكون كلامهم أكثر تأثيراً في نفوس السُذّج من الشيعة المتأثرين بأفكار المستشرقين التحريفية الضالة.

ولكن لحسن الحظ سرعان ما بان زيف العناصر المتسترة بالتشيّع حيث أفصحت صراحة عن فساد عقائدها التي لا تمتّ للتشيّع بصلة.

فهذه العناصر الضالة المضلة لا تعتقد بأن الإمامة بالجعل والنص، ولذا أوّلت حديث الغدير وما ماثله بتأويلات شتى لكي تتخلص من مسألة الجعل والنص، وتجعل الشورى بديلاً لذلك.

أضف إلى ذلك أنها لا تؤمن بعصمة الأئمة وولايتهم ووجوب طاعتهم، ولا ترى تلازماً بين عقيدتها الشيعية وبين الإيمان بوجود المهدي المنتظر عليه السلام.

وباعتقادي أن هذه العناصر المشبوهة قد ارتكبت خطأً فادحاً بإظهار عقائدها الفاسدة، لأنها قطعت وشائج ارتباطها بالتشيع، وقللت من أهمية دورها السياسي،

وتأثيرها الفكري في الأوساط الشيعية.. وهذا يدلنا على شدة غبائها، وعدم نضوجها السياسي، إذ حجّمت نفسها بنفسها من جراء ارتكاب هذه الحماقة النكراء..

واستفادت أجهزة المخابرات من غباء هذه العناصر وعدم نضجها لتتخذها وسيلة لتحقيق مآربها الاستكبارية الخبيثة. فهي من جهة تمكنت من احتواء نشاط هذه العناصر الضالة، وحجّمت دورها، ومن جهة أُخرى زرعت بذور الفرقة بين المسلمين بواسطتهم بهدف تجديد الصراعات الطائفية من خلال إثارة مسألة المهدي المنتظر عليه السلام لعلم المخابرات بوجود الاختلاف بين المسلمين في قضية وجوده المبارك وعدمه. فهي تسعى بواسطة هذه العناصر الضالّة أن تركّز الاختلاف وتحدث الفرقة والتناحر.

وليست هذه هي المرة الأولى التي تمارس فيها أجهزة المخابرات سياسة اللعب بالأوراق الدينية والطائفية لتفريق الصف. وتشتيت القوى، بل كان هذا ديدنها منذ القدم، فهي تمارس هذه اللعبة كلما دعت الحاجة لذلك. وبفضل هذه السياسة استطاعت أن تصنع الدول، وتوجد الأحزاب، والجماعات الطائفية لتجعل منها جسوراً تمرِّر من خلالها مخططاتها التوسعية، وبسط نفوذها.

واليوم تجد نفسها أحوج ما تكون لممارسة هذه السياسة من جديد لغرض احتواء الثورة الإسلامية، ومنع انتشار أفكارها ومفاهيمها الثورية، وتضعيف القوى الإسلامية المؤازرة لها بإحداث الفرقة بين صفوفها، وتقوية البديل العلماني وتأهيله لاستلام الحكم في أماكن كثيرة من الوطن الإسلامي. وبعبارة أوضح نقول إنها تسعى إلى تصفية الأفكار والعقائد والمفاهيم الإسلامية الحركية الثورية التي أفرزتها عقول العظماء من علمائنا المفكرين: أمثال الشهيد آية الله محمد باقر الصدر، والمطهري، والمفتح ونظائرهم ممن ساهم بصورة فعّالة في إيجاد الأرضية المناسبة لقيام الدولة الإسلامية في إيران بزعامة المرجع الفذ آية الله العظمى السيد روح الله الخميني (قدس سره)..

فبعد أن نجحت المخابرات بتصفية أولئك العلماء الأفذاذ تصفية جسدية بواسطة عملائها، تحاول الآن تصفية أفكارهم الإسلامية القيّمة، التي نقلت العالم الإسلامي من حالة الجمود والتحجر الفكري، إلى حالة الوعي والتحرك الرسالي

الهادف.. لقد أدرك آية الله الخميني منذ اللحظة الأولى المقاصد الشيطانية التي تضمرها المخابرات المستكبرة من وراء تحريك سلمان رشدي ونظائره، لذا بادر فوراً بإصدار الفتوى التي أهدرت دمه، وأوجبت قتله. فلو نفّذت الجماهير المؤمنة تلك الفتوى في حينها لما تجرأت هذه العناصر الضالة أن تحذو حذوه وتمارس نفس الدرب التحريفي الذي مارسه سلمان وأشباهه.

فهذه الحملة الإعلامية التحريفية التي تقودها العناصر الضالة هي امتدادٌ لتلك لا ريب ولا إشكال في ذلك، ولكن الأولى كانت تستهدف الإسلام وعقائده بشكل عام، وهذه تستهدف التشيّع وأصوله ومبانيه..

وليس هذا التحرك المشبوه، والتركيز المكثف لتشويه وتسويف العقائد الشيعية من قبيل الصدفة، بل هو تحرك مدروس له مبرراته ودوافعه الموضوعية.

فالمخابرات تعي جيداً أن التشيّع كان ولا يزال روح الإسلام وقلبه النابض، وبدونه يصبح الإسلام جثة هامدة لا حراك فيها. وقد أثبت التشيّع بصورة عملية قدرته الفائقة على تجسيد الإسلام وإقامة دولته العادلة على أحسن وجه. وهذا هو الدافع الأساسي لإثارة قلق المخابرات، وتفجير حقدها، وتصعيد نشاطها المريب للقضاء على التشيّع وعقائده السامية.

إنَّ ما يخيف الدوائر الاستكبارية، ويغمرها بالاضطراب والفزع هو شعورها بالخطر الجدِّي على مستقبل النظم الوضعية من جراء انتشار التشيّع واتساع قواعده الشعبية، وقيام دولته الإسلامية التي حققت نجاحات باهرة على مختلف الأصعدة، وتكاد تكون محوراً مهماً من محاور العالم السياسية.

فإذا استطاع التشيّع أن ينشيء دولة في زمن غيبة المعصوم، فسوف يكون أقدر على إنشائها في زمن الإمام المعصوم إن شاء الله.

فالدولة الإسلامية الحالية ركّزت الأمل في نفوس المسلمين، وبعثت فيهم النشاط والحيوية، وحوّلت أحلامهم الجميلة إلى واقع محسوس، وجعلتهم أكثر انشداداً واشتياقاً وانتظاراً لدولة المصلح العالمي المهدي المنتظر عليه السلام؛ لأن قيامها يعني تجسيد كامل طموحات الإنسانية وأمانيها في نظام ينعدم فيه التمايز والتفاضل وتنتفي فيه الجرائم والمظالم، وينتشر فيه العدل، ويزدهر فيه الخير حتّى

تخضرّ جدران المنازل..

ونستخلص مما تقدم أن مهمة العناصر الضالة المدفوعة من قبل دوائر الاستكبار العالمي تنحصر في إطفاء جذوة الأمل المنبعثة في نفوس المسلمين، وإحلال اليأس والقنوط محلها، ولكن ليس بمقدورها إنجازها بسهولة دون مصاعب وعقبات جمّة، ومن أهمها ارتفاع مستوى الوعي الرسالي الذي أحدثته الثورة الإسلامية المباركة حيث مكّن الأمة أن تبلغ أسمى درجات الرشد والكمال، فلا يمكن والحالة هذه أن تنطلي عليها مثل هذه الأفكار الضالة التي لا تستند إلى دليل معقول.

وستظهر ضحالة هذه الأفكار عندما تصل النوبة لمناقشتها في نهاية الكتاب.

وبذا تختم مقدمة الكتاب التي حاولنا من خلالها تسليط الأضواء على أهم البواعث التي حملت أعداء الإسلام منذ قديم الزمان على محاربة قضية المهدي عليه السلام، ومحاولة طمس معالمها بإثارة غبار الشكوك والشبهات من حولها..

اسم الكتاب وأهدافه

إنّ اسم الكتاب كما هو مدوّن في الصفحة الأولى (حياة الإمام المهدي عليه السلام حقيقة لا خيال) مشتقٌ من موضوعه الحيوي البالغ الأهمية الذي فرضته الظروف الحالية حيث تضافرت أقلام الكتّاب المأجورين على تفتيت عقائدنا وتحريفها، بما فيها مسألة المهدي المنتظر عليه السلام التي يتخذون من ملابساتها ذريعة لنفيها، وإثبات بطلان عقيدة الشيعة بها. .

وتنصبُّ جهود هذا النفر الضالّ على نفي وجود المهدي عليه السلام بإنكار الحقائق والوقائع، وبنسج القصص الخرافية، والأساطير المختلفة التي لا صلة لها بقضيته، ليتسنى لهم تصويرها كقصة نسجتها خيوط الوهم والخيال لا واقع لها ولا دليل. .

فمهمة الكتاب تتجسد في إثبات القضية بالأدلة الأربعة: القرآن والسنة والعقل والإجماع، ونماذج من استدلالات علماء المسلمين بها. ثم تفنيد شبهات الكتّاب المأجورين والردّ الحاسم على ما يثيرونه من شكوك وتخرّصات بالدليل والبرهان.

لم تكن فكرة نفي وجود المهدي عليه السلام وليدة عقول الكتّاب المأجورين الجدد، بل هي فكرة قديمة بذرت بذورها أقلام وعّاظ السلاطين الذين وظّفوا أقلامهم لخدمة أغراض الحاكم الجائر بقلب الحقائق، وتشويه الوقائع، ليضفوا عليه الصفة الشرعية ويمهدوا له الأرضية اللازمة لتصفية معارضيه حتى لو كانوا أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحفاده، وأهل بيته المطهّرين، وتغطية جرائمه البشعة.

فهم كانوا يستفيدون من الأدلة سلباً، فيغيّروا مضامينها وموضوعاتها ويبدلوا مصاديقها، فبدلاً من أن يجعلوا معاوية وابنه يزيد مصداقاً للتمرد والخروج على إمام زمانه، جعلوا الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام مصداقين للعصيان وشقّ عصا الطاعة..

فوعَّاظ السلاطين وضعوا أساس مدرسة الوضع والتزوير، وتابعهم في تطوير المدرسة وتثبيت قواعدها عدد غير قليل من الوضَّاعين والكذابين من رواة الحديث، والمؤرخين أمثال أحمد بن طاهر بن حرملة البصري، وأحمد بن محمد بن عمرو، وإسماعيل بن يحيى التميمي حفيد أبي بكر الصديق، ومن المعاصرين ابن حجر، وابن خلدون، وابن بطوطة، وابن تيمية، ونظائرهم من أئمة الضلال والنفاق المتعصبين الطائفيين الذين سلب التعصب الأعمى بصائرهم، وشلَّ عقولهم وجعلهم يتخبطون خبط عشواء.

وخلاصة القول: يمكن تلخيص أهداف الكتاب بإثبات جميع الأدلة والقرائن التي تثبت وجود المهدي عليه السلام، وغيبته وسفرائه وبعض وقائع ومفردات حياته، مع ذكر شهادات علماء المسلمين وإجماعهم على صدق دعوته بالإمامة.

منهجيتنا في تأليف الكتاب

يحتوي هذا الكتاب على فصول رئيسية تضم الأدلة العامة والخاصة، والردود على شبهات وشكوك الكتّاب المأجورين القدامى والمعاصرين.

فالفصل الأول يشمل الأدلة العامة وهي تتناول مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتواترة المروية عن طرق الفريقين، التي أشارت بشكل صريح إلى حتمية انتصار الإسلام على يد المهدي المنتظر عليه السلام، وأن الأرض ستكون في قبضته بعد أن يملأها قسطاً وعدلاً، وينقذ الإنسانية المعذّبة من آلامها ومعاناتها، وينشىء دولة إسلامية عادلة على أنقاض الحضارات الوضعية.

وقد أكدت هذه الأدلة في مجملها على ضرورة وجود إمام معصوم، وأن الأرض لا تخلو منه بأي حال من الأحوال.

وأما الأدلة الخاصة فتهتم بإثبات وجود المهدي عليه السلام وغيبته وترجمة حياة سفرائه، وذكر جميع الوقائع التي تدور حول مفردات حياته المباركة، والأدلة التي تنصّ على صدق دعوته في الإمامة الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار، والتي تصرّح باسمه واسم أبيه وكنيته، وحسبه ونسبه، وأوصافه وشمائله. ضمن الفصل الثاني من الكتاب.

وأما الفصل الثالث والأخير فسيناقش جملة من الشبهات والشكوك التي تثار حول قضية وجود المهدي عليه السلام، وتحاول أن تنفي وجوده اعتماداً على أدلة واهية، متذرعة بكثرة الاختلافات حول أدلة وجوده، وبعد تفنيد تلك الشبهات والشكوك بالدليل والبرهان نصل بعون الله وتوفيقه إلى نهاية الكتاب باستيفاء موضوعاته..

الفصل الأول

الأدلة العامة من القرآن والسنة

المراد بالأدلة العامة جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، التي تشير بشكل صريح إلى حتمية انتصار الإسلام في نهاية المطاف على سائر الأديان والنظم الوضعية الجائرة، وأنه ينشر راية الحق والعدل على كل ربوع المعمورة، ويمحق الجور والباطل، وينقذ البشرية من الظلم والضلال، ويحقق آمالها في حياة سعيدة.

وأن هذه النهاية السارة ستتم على يد الفاتح العظيم، وهو الإمام الثاني عشر من أبناء الرسول الأكرم ﷺ، المهدي المنتظر (عج) أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، الذي سيرث الأرض ومن عليها، ويسعى إلى إيجاد حكومة إسلامية عادلة تشمل كل أنحاء العالم بعدلها، وتنقذ الإنسان من معاناته وآلامه وتسمو به إلى أعلى درجات العزة والكمال..

أولاً: ومن هذه الأدلة قوله تعالى:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[1].

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[2].

(١) آية ٣٣ من سورة التوبة.

(٢) آية ١٠٥ من سورة الأنبياء.

و ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾[1].

و ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾[2].

ومما جاء عن الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام في تفسير هذه الآيات الكريمة عن طريق العامة والخاصة ما يأتي:

أولاً: جاء في مستدرك الحاكم: عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «تملأ الأرض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي يملك الأرض سبعاً أو تسعاً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً[3]».

ثانياً: وفي مسند أحمد: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلى أقنى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً يكون سبع سنين». ونظير هذا في سنن أبي داود باختلاف يسير. وكذلك روته كتب أخرى من كتب العامة[4].

وفي المسند المذكور في مكان آخر نحو هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تمتلىء الأرض ظلماً وعدواناً»، قال: «ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً».

---

(١) آية ٥٥ من سورة النور.

(٢) آية ٥ من سورة القصص.

(٣) المستدرك ٤:٥٥٨، المسند ٣:٣٨ و٧٠، تلخيص المستدرك ٤:٥٥٨، الحاوي للفتاوي ٢:٦٣.

(٤) مسند أحمد ٣:١٧، سنن أبي داود ٤:١٥٢، مصابيح السنة ٢:١٣٤، منتخب كنز العمال ٦:٣٠، ومشكاة المصابيح ٣:٢٤، والفصول المهمة: ٢٧٥، ونور الأبصار: ٢٢٩، والعرائس الواضحة: ٢٨، والجامع الصغير ٢:٥٧٩، وينابيع المودة: ٤٣٠، وفيض القدير ٢:١٥١، ونهاية البداية ١:٣٩، وذخائر المواريث ٣:١٧٥، والبعث والنشور: مخطوط، ومختصر تذكرة القرطبي: ١٣١، والفتح الكبير ٣:٢٥٩. وشرح المشكاة ٤:٣٣٨...

ثالثاً: في ذخائر العقبى: عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي..»[1].

أما ما جاء في كتب الخاصة حول هذه الآيات ما لا حصر له من الروايات، نذكر منها بعض النماذج للتدليل على حتمية حصول ذلك:

ففي مجمع البيان حول الآية الأولى نقل جملة من الروايات: عن الضحاك عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد، فلا يبقى أحد إلاّ أقر بمحمد، وهو قول السدي.

وقال الكلبي: لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام، وسيكون ذلك ولم يكن بعد، ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك. وقال المقداد بن الأسود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله كلمة الإسلام..»[2].

وعن الآية الثانية قال صاحب مجمع البيان: وقيل: هي الأرض المعروفة ترثها أمة محمد ﷺ بالفتوح بعد إجلاء الكفار، كما قال ﷺ: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها».

عن ابن عباس في رواية أخرى، وقال أبو جعفر عليه السلام: هم أصحاب المهدي(عج) في آخر الزمان. ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً».

ثم ذكر جملة من الروايات وقال: والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي عليه السلام أصح إسناداً[3].

وقال الطبرسي في تفسيره عن الآية الثالثة: ... والمعنى: ليورثنّهم أرض

---

(١) ذخائر العقبى: ١٣٦، المهدي عند أهل السنة ١: ٢٢٠.

(٢) مجمع البيان ٥: ٤٥.

(٣) مجمع البيان ٧: ١١٩ ـ ١٢٠.

الكافرين من العرب والعجم، فيجعلهم سكانها وملوكها... قال مقاتل: يعني بني إسرائيل، إذ أهلك الله الجبابرة بمصر، وأورثهم أرضهم، وديارهم، وأموالهم...

﴿وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ يعني دين الإسلام الذي أمرهم أن يدينوا به، وتمكينه أن يظهره على الدين كله..[1].

وقال العلاّمة الطباطبائي (قدس سرّه) في توضيح ذلك بما هذه ترجمته: إنّ الإنسان من أول يوم توطّن في بسيط الأرض كان في قلبه رجاء حياة اجتماعية مقترنة بالسعادة، وهو يسعى للوصول بها، ولولا أن لهذا المرجو تحققاً وتحصلاً في الخارج لم ينتقش رجاؤه في ذهن الإنسان، كما أنه لو لم يخلق له غذاءه لم يجعل له الجوع، ولو لم يخلق الماء لم يجعل له العطش، ولو لم يخلق الزوج لم يجعل له الميل الجنسي، ولأجل ذلك يتحقق للدنيا زمان يملأ الجامعة البشرية من العدل والقسط حتى يعيش أفرادها بالصلح والصفاء، ويستغرق في الفضيلة والكمال، هذا وقد وقع الكلام في من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً في الأديان المختلفة كالوثنية والكليمية والمجوسية والإسلام، وكلهم قد بشّروا بظهوره عليه السلام. وقد تواتر من طرق الفريقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر أمة الإسلام عن المهدي وظهوره بهذه الخصية[2].

وفي كفاية الأثر ـ في حديث ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن المهدي (عج) قال: «التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، ليظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلّة، فيعلن أمر الله ويظهر دين الحق، ويؤيد بنصر الله ويُنصر بملائكة الله، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[3].

وفي كمال الدين والبحار وكفاية الأثر ـ في حديث ـ عن الصادق، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «... وله غيبة وحيرة حتى يضل الخلق عن أديانهم

---

(١) مجمع البيان ٧: ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٢) من هو المهدي: ٦٩.
(٣) كفاية الأثر: ص ١٠.

فعند ذلك يقبل كالشهاب فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

ـ وفي كمال الدين أيضاً قال أبو عبد الله عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**هو الذي أرسل رسوله...**﴾ فقال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافر بالله [العظيم] ولا مشرك بالإمامة إلاّ كره خروجه...»[2].

ـ وفي تفسير العياشي عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[3].

ـ وفي الكافي: محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن ابن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قلت: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**﴾ قال: هو أمر الله ورسوله [هو الذي أمر رسوله] بالولاية لتوصية، والولاية هي دين الحق: قلت: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾؟ قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام[4].

ـ وفي تفسير القمي، عن الصادق عليه السلام في معنى الآية: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور...**﴾ قال: قال: الكتب كلها ذكر (الله): ﴿**أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ قال: القائم عليه السلام وأصحابه[5].

هذا القدر من الأحاديث الواردة من الطريقين كافٍ في تفسير الآيات السابقة الذكر، وإذا علمنا أن هذه الأحاديث متواترة عند الفريقين نزداد وثوقاً بالوعد الإلهي والنهاية السارة التي ستؤول إليها الإنسانية في آخر الزمن، على يد المهدي (عج).

وعن تواتر هذه الروايات قال الحافظ العسقلاني في تهذيب التهذيب:

وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآله في

(١) كمال الدين ١: ٢٨٦، عنه في البحار: ٥١: ٧١، وكفاية الأثر: ٦٦.
(٢) كمال الدين ٢: ٦٧، والمحجة: ٨٥.
(٣) تفسير العياشي ٢: ٨٧.
(٤) الكافي ١: ٤٣٢.
(٥) تفسير القمي ٢: ٧٧.

المهدي، وأنّه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين ويملأ الأرض عدلاً...[1].

وكذا قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق: قال أبو الحسين الآجري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروجه، وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً...[2].

وقال الشهيد الصدر (ره) في كتابه بحث حول المهدي (عج): إن فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم عموماً، وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً، وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك. وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبي ﷺ من طريق إخواننا أهل السنة، كما أحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي (عج) من طرق الشيعة والسنة فكان أكثر من ستة آلاف رواية[3]، وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادة[4].

وملخص ما مرَّ يفيد بما لا ريب فيه بأن المستقبل الزاهر للإنسانية جمعاء سيتم على يد القائد المظفر المهدي المنتظر (عج)، وأنه سيظهر الدين الإسلامي على سائر الأديان، ويبسط القسط والعدل، ويزيل الظلم، ويميت البدع، ويحيي السنن، ويحق الحق، ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

هذه النتيجة الحتمية مستخلصة من مداليل الآيات والأحاديث السابقة الذكر، إذ بدونها لا يمكن أن تتصور لمداليلها أي أثر محسوس، أو مصداق ملموس.

وبما أن هذا الظهور الكامل، والحكم الشامل للإسلام على سائر الأديان في كل بقاع الأرض لم يحصل في الماضي، ولا في الحاضر إذن لا بد أن يحصل في المستقبل بقيادة المهدي المنتظر (عج).

وبهذه المجموعة من الآيات والروايات يتم الدليل العام الأول على ضرورة

---

(١) تهذيب التهذيب ٩: ١٤٤ ط/ حيدراباد.

(٢) الصواعق: ١٦٥ ط/ مصر.

(٣) راجع المجلة الإسلامية الجامعية العدد ٣ سنة ١٩٦٩، وكتاب منتخب الأثر.

(٤) بحث حول المهدي: ١٠٣.

الإيمان بقضية المهدي(عج) وحصول هذه النهاية الإيجابية للإنسانية على يديه الكريمتين.

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[1].

الظاهر من معاني الآية الكريمة أن الله يأمر المؤمنين كل المؤمنين ليكونوا مع الصادقين منهم، وهم القائلون بالحق، العاملون به، المقتدون بالرسول الأعظم ﷺ، المجسدون لسيرته، المهتدون بهديه وسنته.

ونحن لا نستطيع أن نأتمر بأمر الله تعالى ما لم نعرف الصادقين المتسمين بالسمات المذكورة.

ولهذا الغرض بالذات سنطرح احتمالين على بساط البحث، كي نتوصل إلى معرفة الصادقين المراد اتباعهم بعد مناقشتهما مناقشة موضوعية بعيدة عن التحامل والتعصب المذهبي.

وهذان الاحتمالان هما:

الاحتمال الأول: هو أن نفترض أن المراد من الصادقين هم كافة المؤمنين.

وبموجب هذا الاحتمال يكون مفاد الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ كونوا مع المؤمنين، وهذا غير معقول لأنه تحصيل حاصل لا معنى له، ولا يجوز نسبته إلى الله لأنه لا يأمر بشيء موجود بالفعل، فإن المؤمنين مع المؤمنين من حيث إقامة الشعائر، وأداء الفرائض، لا يفترق بعضهم عن بعض، فلا وجوب لتحذير الله لهم، وأمره إياهم باتقائه والكينونة مع بعض.

أيصح أن يقول أحدنا لجماعة من الناس: يا أيها الجماعة الفلانية كونوا مع أنفسكم؟ فإذا كان لا يصح ذلك من أحدنا فكيف يصح نسبة ذلك إلى الله وهو العليم الحكيم..؟

---

(١) آية ١١٩ من سورة التوبة.

أضف إلى ذلك أن مجموع أوامر الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: الأوامر الوجوبية، والإرشادية المندوبة.

فالأمر المذكور في الآية كما هو ظاهر ليس من القسمين المذكورين. وبناءً على هذا يكون الاحتمال الأول ظاهر البطلان لا ريب فيه..

الاحتمال الثاني: هو أن نفترض أن المراد بالصادقين بعض المؤمنين.

إن مقتضى هذا الفرض أن المؤمنين ليس جميعهم صادقين بل فيهم الكاذب والصادق، إذ لو لم يكن كذلك لما صح قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾، فما هو الموجب لتحذير الله المؤمنين من مغبة الانسياق وراء الكاذبين إذا لم يكن لهم وجود ملحوظ.

وبهذا الدليل الواضح نثبت وجود الكاذبين بين صفوف المؤمنين، وبذا يتجه قوله تعالى: ﴿... **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾. ثم إنّ رسول الله ﷺ قد اعترف بكثرة الكذابة عليه في زمانه، الذين اختلقوا الأحاديث ونسبوها إليه. وقد حذرهم مراراً وعلى رؤوس الأشهاد قائلاً: «كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»[1].

فإذا كان هذا شأن الكذّابة في حياة رسول الله ﷺ، فازديادهم بعد مماته أولى لعدم حضوره واستشعارهم لرقابته. ومما يؤكد وجود الكذابين مئات الأمثلة التي ذكرتها كتب الرجال والسنن والتواريخ عن الوضّاعين الذين اختلقوا الكثير من الروايات الكاذبة التي لا أصل لها، وأنها نسبت إلى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً..[2].

نماذج من الوضاعين

النموذج الأول:

أحمد بن طاهر بن حرملة المصري المتوفى ٢٩٢، كذّاب حدّث عن جدّه عن

---

(١) صحيح البخاري ١:٥٢ ح١٠٦ ـ ١١٠ كتاب العلم.

(٢) الغدير ج ٥ ص: ٢٠٩ ـ ٢٨٨.

الشافعي بحكايات بواطيل، كان أكذب البريّة، يكذب في حديث رسول الله ﷺ إذا روى، ويكذب في حديث الناس إذا حدّث عنهم[1].

النموذج الثاني:

أحمد بن محمد بن عمرو أبو بشر الكندي المروزي نزيل بغداد المتوفى ٣٢٣، كان فقيهاً مجوّداً في السنة وفي الردّ على أهل البدع، وكان حافظاً عذب اللسان، ولكنه كان يضع الأحاديث عن أبيه، عن جده، وعن غيرهم، يكذب ويضع الحديث على الثقات، وله من النسخ الموضوعة شيء كثير[2].

وقال ابن حبّان: كان ممّن يضع المتون ويقلب الأسانيد فاستحق الترك، لعله قد قلب على الثقات أكثر من عشرة آلاف حديث كتبت أنا منها أكثر من ثلاثة آلاف حديث لم أشك أنه قلبها[3].

وقال الدارقطني: كان يضع الحديث، وكان عذب اللسان حافظاً. وفي شذرات الذهب: هو أحد الوضاعين الكذابين مع كونه محدّثاً إماماً في السنة والرد على المبتدعة[4].

النموذج الثالث:

إسماعيل بن يحيى التيمي حفيد أبي بكر الصديق، كذّاب لا تحلّ الرواية عنه، ركن من أركان الكذب يضع الحديث، عامة ما يرويه بواطيل، كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما، يحدّث عن الثقات بما لا يتابع عليه[5].

النموذج الرابع:

سليمان بن عمرو أبو داود النخعي، كان أكذب الناس على رسول الله،

---

(١) ميزان الاعتدال: ١ ص ٥٠، لسان الميزان: ١ ص ١٨٩، الغدير ٥: ٢١٣.

(٢) طب ٥: ٧٤.

(٣) م١: ٧٠، بق ٣: ٢٣، الغدير ٥: ٢١٦.

(٤) شذرات الذهب: ٢: ٢٩٨، الغدير ٥: ٢١٦.

(٥) تاريخ بغداد ٦: ٢٤٩، أسنى المطالب: ٢٠٩، ميزان الاعتدال ١: ١١٧، تهذيب التهذيب ١: ٤٤٢، مجمع الزوائد ٩: ٤٤، اللئالي المصنوعة ١: ٨٩، الغدير ٥: ٢٢.

معروف بوضع الحديث؛ كان رجلاً صالحاً في الظاهر إلاّ أنه كان يضع الحديث وضعاً.

قال الخطيب: كان ببغداد رجال يكذبون ويضعون، منهم أبو داود النخعي.

وقال الحاكم: لست أشك في وضعه الحديث على تقشفه وكثرة عبادته.

وقال آخر: كان أطول الناس قياماً بليل، وأكثرهم صياماً بنهار[١].

النموذج الخامس:

صالح بن أحمد بن أبي مقاتل القيراطي الهروي المتوفى ٣١٦؛ كذّاب دجال يحدّث بما لم يسمع، وكان يسرق الحديث.

قال أبو حاتم محمد بن حسان البستي: كان يسرق الحديث ويقلبه، ولعله قد قلب أكثر من عشرة آلاف حديث فيما خرج من الشيوخ والأبواب لا يجوز الاحتجاج به بحال[٢]. هذه خمسة نماذج من مئات..

ـ وفي الغدير بعد أن استعرض أسماء المئات من سلسلة الكذابين والوضاعين قال: هذا غيض من فيض، ولعل القارىء يستكثره أو يستعظمه ذاهلاً عن أنّ وضع الحديث والكذب على النبي الأعظم ﷺ، وعلى الثقات من الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان، لا ينافي عند كثير من القوم الزّهد والورع واتصاف الرّجل بالتقوى، بل هو شعار الصالحين، ويتقربون به إلى المولى سبحانه، من هنا قال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث[٣]، وعنه: لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث[٤]، وعنه: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ٩:١٥ ـ ٢١، نصب الراية ١:١٩١، ميزان الاعتدال ١:٤٢٠، أسنى المطالب: ٤١، اللئالي المصنوعة ١:٦٠ ج٢:٣٩ و١٣٢، والغدير ٥:٢٣٢.

(٢) تاريخ بغداد ٩:٣٢٩، م ١:٤٥٣، الغدير ٥:٢٣٤.

(٣) مقدمة صحيح مسلم، تاريخ بغداد ٢:٢٨، اللآلىء المصنوعة للسيوطي ٢: في خاتمة الكتاب، الغدير ٥:٢٧٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

وقال القرطبي في التذكرة: لا التفات لما وضعه الوضّاعون، واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال، وقد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا؛ يدعون الناس إلى فضائل الأعمال...[1].

نماذج من سلسلة الموضوعات

النموذج الأول:

عن أنس مرفوعاً: لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان لا أراه ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ فإذا كان بعد ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ يقبل إليّ على ناقة من المسك الأذفر حشوها من رحمة الله، قوائمها من الزبرجد فأقول: معاوية؟ فيقول: لبيك يا محمد! فأقول: أين كنت منذ ثمانين عاماً؟ فيقول: كنت في روضة تحت عرش ربّي يناجيني وأناجيه ويُحييني وأحييه، ويقول: هذا عوضٌ ممّا كنت تُشتم في دار الدنيا.

من موضوعات عبدالله بن حفص الوكيل. قال ابن عدي: موضوع لا أشك أنه واضعه.

وقال الخطيب: باطل إسناداً ومتناً، ونراه مما وضعه الوكيل، وأن إسناده رجاله كلهم ثقات غيره.

وقال الذهبي في ميزانه بعد ذكره من طريق ابن عدي: قلت: ما كان ينبغي لابن عدي أن يتشاغل بالأخذ عن هذا الدجّال الأعمى البصر والبصيرة، والذي قال الله فيه: **﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾**. وقال في ترجمة عبيد الله بن سليمان: روى عن عبد الرزّاق، بخبر باطل فهو الآفة فيه.

وقال ابن حجر في لسان الميزان: والخبر المذكور رواه ابن عساكر في ترجمته ـ ولفظه ـ: إني لأدخل الجنة فلا أفتقد منها أحداً إلا معاوية سبعين عاماً ثم

---

(١) المصدر نفسه.

أراه فأقول: يا معاوية أين كنت؟ فيقول: كنت تحت عرش ربي يتحفني بيده، فقال: هذا ما كان يشتمونك في دار الدنيا.

قال ابن عساكر: حديث منكر وفيه غير واحد من المجاهيل[1].

النموذج الثاني:

ـ عن أنس مرفوعاً: هبط عليّ جبريل ومعه قلم من ذهب إبريز، فقال: إن العليّ الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: حبيبي قد أهديت هذا القلم من فوق عرشي إلى معاوية بن أبي سفيان فأوصله إليه، ومره أن يكتب آية الكرسي بخطه بهذا القلم، ويشكله ويعجمه، ويعرضه عليك فإني قد كتبت له من الثواب بعدد كل من قرأ آية الكرسي من ساعة يكتبها إلى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: من يأتيني بأبي عبد الرحمن؟ فقام أبو بكر الصدّيق ومضى حتى أخذ بيده وجاءا جميعاً إلى النبي ﷺ فسلّما عليه فردّ عليهما السلام، ثم قال لمعاوية: ادن مني يا أبا عبد الرحمن، ادن مني يا أبا عبد الرّحمن. فدنا من رسول الله ﷺ فدفع إليه القلم، ثم قال له: يا معاوية، هذا قلم أهداه إليك ربّك من فوق العرش لتكتب به آية الكرسي بخطك وتشكله وتعجمه وتعرضه عليّ، فاحمد الله واشكره على ما أعطاك، فإن الله قدَّر لك من الثواب بعدد من قرأ آية الكرسي من ساعة تكتبها إلى يوم القيامة. فأخذ القلم من يد النبي ﷺ فوضعه فوق أذنه.

فقال رسول الله ﷺ: اللّهم إنك تعلم أني قد أوصلته إليه، ثلاثاً، فجثا معاوية بين يدي النبي ﷺ ولم يزل يحمد الله على ما أعطاه من الكرامة ويشكره حتى أتي بطرسٍ ومحبرة، فأخذ القلم ولم يزل يخط به آية الكرسي أحسن ما يكون من الخط حتى كتبها وشكلها وعرضها على النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «يا معاوية! إن الله قد كتب لك من الثواب بعدد كل من يقرأ آية الكرسي من [ساعة] كتبتها إلى يوم القيامة».

قالوا: موضوع وأكثر رجاله مجاهيل، ويراه ابن الجوزي من وضع الحسين

---

(١) لسان الميزان ٤:١٠٥، الغدير ٥:٢٩٨.

ابن يحيى الختاني كما في (ميزان الاعتدال). وعند الذهبي باطل كأنه عمله أحمد ابن عبد الله الأيلي كما في (الميزان). ويرى ابن حجر في (لسان الميزان) أن الأمر ينحصر بأحمد الأيلي وهو الذي وضعه، وأخرجه النقاش في الموضوعات بلفظ أخصر، وقال: حديث موضوع بلا شك وضعه أحمد أو حسين.

النموذج الثالث:

ـ عن حذيفة بن اليمان قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلما انفتل من صلاته قال: «أين أبو بكر الصديق؟» فأجابه أبو بكر من آخر الصفوف: لبيك لبيك يا رسول الله.

قال: «أفرجوا لأبي بكر الصديق، ادن مني يا أبا بكر ألحقت معي التكبيرة الأولى؟»

قال: يا رسول الله! كنت معك في الصف الأول فكبّرت وكبّرت، فاستفتحت بالحمد فقرأتها فوسوس لي شيء من الطهور، فخرجت إلى باب المسجد فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول: وراءك. فالتفتُّ فإذا أنا بقدح من ذهب مملوء ماءً أبيض من الثلج، وأعذب من الشهد، وألين من الزبد، عليه منديل أخضر مكتوب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الصديق أبو بكر، فأخذت المنديل فوضعته على منكبي، توضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ورددت المنديل على القدح ولحقتك، وأنت راكع الركعة الأولى فتممت صلاتي معك يا رسول الله! قال النبي ﷺ: «أبشر يا أبا بكر! الذي وضأك للصلاة جبريل، والذي مندلك ميكائيل، والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل».

روي من طريق محمد بن زياد وهو ذلك الكذاب الوضّاع وأراه من موضوعاته غير أن السيوطي قال في اللآلىء: قلت: الظاهر أن الآفة من غيره[1].

هذه ثلاثة نماذج من الروايات الموضوعة التي لفقتها أجهزة الإعلام الأموية بواسطة وعّاظ السلاطين. وذكر صاحب كتاب الغدير أن البعض مما وضعه هؤلاء

---

(١) ميزان الاعتدال ١:٢٥٧، والميزان ١:٥٢، اللئالي المصنوعة ١:٢١٦، لسان الميزان ١:٢٨٥، انظر الغدير ٥:٣٠٤.

الوعاظ بلغ ٤٠٨٦٨٤ رواية[1].

انظر عزيزي القارىء الكريم كيف استخف هؤلاء المأجورون بنبيهم الأكرم ﷺ ولفقوا ضده مئات الآلاف من الروايات المكذوبة. ألا يدل هذا العمل المشين على عدم إيمانهم بالرسول الأعظم ﷺ؟

إذ لو كانوا يؤمنون به حقاً لما استخفوا به، ولفقوا ضده هذا السيل العارم من الروايات المكذوبة.

إذا كان هذا ديدنهم في تلفيق الروايات ضد الرسول الأعظم ﷺ، فما هو موقفهم من الأئمة الأطهار من ذريته؟ وما هو عدد الروايات التي لفقت ضدهم بعد غياب جدهم المصطفى ﷺ، ونشوب الفتن العمياء التي أفرزها الانقلاب المشؤوم على أهل بيت الرسول ﷺ حال غيابه؟.

لقد قام هؤلاء الوعاظ المأجورون بوضع عشرات الألوف من الروايات التي اختصت بتسويف حق الأئمة الأطهار عليهم السلام في الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ، بعد أن أوّلوا النصوص الصريحة الدالة على إمامتهم وخلافتهم له.

ويبدو واضحاً لكل ذي لبٍّ أن الهدف من وضع هذا العدد الضخم من الروايات المكذوبة هو إضفاء الشرعية على حكام الجور، وعلى أعمالهم الإجرامية البشعة التي يندى لها جبين التاريخ، ممن أسموهم بالخلفاء من الأمويين والعباسيين فيما بعد.

وللتدليل على صحة أقوالنا واستنتاجاتنا نذكر بعض النماذج من الروايات الموضوعة لهذا الغرض المذكور أعلاه. وسترى عزيزي القارئ الكريم كيف يمهد الأمويون لإضفاء الشرعية على نظام حكمهم الجائر بعد أن يضعوا مئات الروايات عن الخلفاء الراشدين الدالة على خلافتهم. إن ما يدعو للعجب والاستغراب هو كيف يضعون مثل هذه الروايات المختلقة، وهم يعلمون علم اليقين أن هناك مئات الروايات الموضوعة على لسان أبي بكر وعمر وعثمان تنفي وجود الوصية والعهد والنص من الرسول ﷺ على خليفته من بعده؟

---

(١) اللآلىء ١: ١٥٠، الغدير ٥: ٣٢٧.

ومن هذا التناقض والتنافر الملحوظ بين الروايات الكذوبة المختلقة، نستدل على أنها وضعت في زمن الأمويين، والعباسيين فيما بعد أضافوا لها ما يتعلق بالمهدي المنتظر إذ نسبوا للرسول جملة من الروايات تنص على أن المهدي من صلب العباس عمه[1].

بعض الموضوعات في الخلافة

١ ـ عن أنس بن مالك قال: جاء النبي ﷺ فدخل إلى بستان فأتى آتٍ فدقّ الباب، فقال: «يا أنس؟ قم فافتح له وبشّره بالجنة، وبشّره بالخلافة من بعدي».

قال: قلت: يا رسول الله أعلمه؟ قال: «أعلمه». فإذا أبو بكر. قلت: أبشر بالجنة وأبشر بالخلافة من بعد رسول الله ﷺ. ثم جاء آت فدقّ الباب، فقال: «يا أنس؟ قم فافتح له وبشّره بالجنة وبشّره بالخلافة من بعد أبي بكر». قلت: يا رسول الله أعلمه! قال: «أعلمه». فخرجت فإذا عمر قال: قلت له: أبشر بالجنة، وأبشر بالخلافة من بعد أبي بكر.

ثم جاء آتٍ فدقّ الباب، فقال: «قم يا أنس؟ وافتح له وبشّره بالجنة، وبالخلافة من بعد عمر وأنّه مقتول». قال: فخرجت فإذا عثمان، قلت: أبشر بالجنّة، وبالخلافة من بعد عمر، وأنّك مقتول.

قال: فدخل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لمه؟ والله ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك. قال: هو ذاك يا عثمان!

من موضوعات الصقر بن عبد الرحمن أبي بهز الكذاب. حكى الخطيب البغدادي في تاريخه، عن علي بن المديني أنه سئل عن هذا الحديث، فقال: كذب هذا موضوع[2].

وذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال) فقال: حديثٌ كذبٌ. وحكى ابن حجر

---

(١) الدارقطني في الافراد: ٥٦٣ و٥٦٧، المهدي عند أهل السنة ٢: ٣٥٥ و٣٥٩.
(٢) تاريخ بغداد ٩: ٣٣٩.

في (لسان الميزان)، عن علي بن المديني أنه قال: كذب موضوع. وقال: لو صحّ هذا لما جعل عمر الخلافة في أهل الشورى، وكان يعهد إلى عثمان بلا نزاع[١].

وذكره الذهبي في ميزانه بلفظ: دخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجل فقُرع الباب، فقال: «يا أنس افتح وبشِّره بالجنة، وأنه سيلي الأمر من بعدي»، ففتحت فإذا أبو بكر.

ثمّ قال: وفي سنده عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك ضعيف ليس بشيء، وذكر صدره في ج١، عن بكر بن المختار بن فلفل، وقال ابن حبان: لا تحلّ الرواية عنه، إلا على سبيل الاعتبار[٢].

وقال المقدسي في تذكرة الموضوعات: افتح له وبشّره بالجنة. وفيه ذكر الخلافة وترتيبها، رواه بكر بن المختار الصائغ وهو كذاب[٣].

وقال الأميني: وفي ترك هؤلاء الثلاثة الاحتجاج بهذه الرواية يوم فاقتهم إليها عند طلب الخلافة، وقد بلغ الجدال أشده حتى كاد أن يكون جلاداً، دليل واضح على أنهم لم يدخلوا ذلك البستان الخيالي، ولا سمعوا تلك البشارة الموهومة، وأن الله سبحانه لم يبرأ ذلك البستان ليوطّد فيه أساس الفتن المدلهمة، ثم لماذا لم يروها لهم أنس تزلفاً إليهم وتركها معهم، وتركها لأحد الرجلين بعده: الصقر وعبد الأعلى؟

١ ـ ألا تعجب من حافظين كبيرين كأبي نعيم في متقدّمي القوم، والسيوطي في متأخريهم؟! يروي الأول هذه الرواية بإسناده الوعر في دلائل النبوة من طريق أبي بهز الكذاب، ويركن إليها، ويرويها الثاني في الخصائص الكبرى ويبتهج بها ولم ينبس أحد منهما مما في إسنادها من الغمز ببنت شفة[٤].

٢ ـ عن عائشة قالت: كانت ليلتي من رسول الله ﷺ فلما ضمني وإياه الفرش قلت: يا رسول الله ألست أكرم أزواجك عليك؟ قال: «بلى يا عائشة»،

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤٦٧، لسان الميزان ٣: ١٩٢ و١٩٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٩١، و ج١: ١٦٢، تذكرة الموضوعات: ١٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) دلائل النبوة ٢: ٢٠١، الخصائص الكبرى ٢: ١٢٢، الغدير ٥: ٣٣٤.

قلت: فحدثني عن أبي بفضيلة، قال: «حدثني جبريل أن الله تعالى لمّا خلق الأرواح اختار روح أبي بكر الصديق من بين الأرواح، وجعل ترابها من الجنة وماءها من الحيوان، وجعل له قصراً في الجنة من درة بيضاء مقاصيرها فيها من الذهب والفضة البيضاء، وأنّ الله تعالى آلى على نفسه أن لا يسلبه حسنة، ولا يسأله عن سيئة، وإني ضمنت على الله كما ضمن الله على نفسه أن لا يكون لي ضجيعاً في حفرتي ولا أنيساً في وحدتي، ولا خليفة على أمتي من بعدي، إلا أبوك يا عائشة! بايع على ذلك جبريل وميكائيل؛ وعقدت خلافته براية بيضاء، وعقد لواؤه تحت العرش، قال الله للملائكة: رضيتم ما رضيت لعبدي؟ فكفى بأبيك فخراً أن بايع له جبريل وميكائيل وملائكة السّماء وطائفة من الشيطان يسكنون البحر، فمن لم يقبل هذا فليس مني ولست منه».

قالت عائشة: فقبّلت أنفه وما بين عينيه، فقال: «حسبك يا عائشة: فمن لست بأمه فوالله ما أنا بنبيّه، فمن أراد أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ منك يا عائشة».

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: لا يثبت هذا الحديث ورجال إسناده كلهم ثقات، ولعلّه شبه لهذا الشيخ القطّان ـ أو دخل عليه ـ مع أني قد رأيته من حديث محمد بن بابشاذ البصري، عن سلمة بن شبيب، عن عبد الرزّاق، وابن بابشاذ راوي مناكير عن الثقات.

وذكر الذهبي منه جملاً في «ميزان الاعتدال» وحكم بأنه موضوع. وذكر جملاً منه في مكان آخر وقال: حديث باطل كأنه المسكين ـ يعني هارون القطّان ـ أدخل عليه ولا يشعر، وله إسناد آخر باطل. وقال: هذا لا يحتمله سلمة، والظاهر أنه دسّ على ابن بابشاذ هذا فروى حديثاً موضوعاً راج عليه ولم يهتد[1].

وذكر الفيروزآبادي شطراً من صدره في خاتمة (سفر السعادة)، والعجلوني في كشف الخفاء وعدّاه من أشهر المشهورات من الموضوعات ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل، وأبطله السيوطي[2].

٣ ـ عن الزبير بن العوام قال: سمع النبي ﷺ يقول: «الخليفة بعدي أبو

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٣٦، ميزان الاعتدال ٣: ٣١ و٢٤٦.

(٢) السيوطي في اللئالي ١: ١٥٠ وانظر الغدير ٥: ٣٣٥.

بكر وعمر، ثم يقع الاختلاف». فقمنا إلى علي فأخبرناه، فقال: صدق الزبير سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

من موضوعات عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة. ذكره الذهبي في ميزانه، فقال: هذا باطل والآفة من عبد الرحمن.

إن كان أمير المؤمنين عليه السلام سمع ما سمعه الزبير من رسول الله ﷺ فما باله يدّعيها لنفسه عند طلب البيعة ويخالف رسول الله ﷺ فيما نصّ عليه؟ وكيف يكون ما شجر بينه وبين القوم من الخلاف الذي ملأ الخافقين حديثه؟ وما بال الزبير الراوي عن رسول الله ﷺ تخلف عن بيعة أبي بكر يوم ذاك، واخترط سيفه وهو يقول: لا أغمده حتى يبايع علي[1].

٤ ـ عن علي، [أمير المؤمنين] مرفوعاً: يا عليّ سألت الله ثلاثاً أن يقدّمك فأبى عليّ، إلا أن يقدِّم أبا بكر.

أخرجه الخطيب في تاريخه بسند تافه ساكتاً عن الغمز فيه جرياً على عادته. وذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال) من طريق الخطيب عن أبي جحيفة، وقال: خبر باطل لعلّ آفته علي بن الحسين الكلبي.

وزيفه ابن حجر في «الفتاوى الحديثية». وعدّ السيوطي في الجامع الكبير، كما في ترتيبه من فضائل أبي بكر نقلاً عن الديلمي، وذكر محبّ الدين الطبري في الرياض باللفظ المذكور، ولفظ: نازلت الله فيك كلاماً فأبى أن يقدم إلا أبا بكر، ثم قال: غريب[2].

قال الأميني: إني مسائل مفتعل هذه الرواية وأعضاده من حفّاظ الحديث ـ الأمناء على ودائع العلم والدين ـ بعد الفراغ عن أمر الخلافة لا يستقر في أحد إلا بتعيين المولى سبحانه ومشيئته، والله يفعل ما يشاء. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، وقد شاء أبا بكر، أين يكون محل دعاء النبي ﷺ في أن يجعلها في علي عليه السلام من قبل أن يعلم مستقرّه عند الله تعالى؟ فكان من واجبه أن سأله عن محله عنده لا

---

(١) ميزان الاعتدال ١:١٤٧، الغدير ٥:٣٢٦.

(٢) تاريخ بغداد ١١:٢١٣، ميزان الاعتدال ٢:٢٢٢، الفتاوى الحديثة: ١٢٦، ترتيب ٦:١٣٩، الرياض ١:١٥٠.

أن يطلب منه طلبة ترتجُ لها السماوات والملائكة، وما ذلك إلا لكونه منكراً من الطلب، تجلّى نبيّنا عن الإسفاف إلى هذه الضعة وكيف خفي عليه ﷺ من يستأهل الخلافة من أمته ويختار لها من يأبى الله والسماوات ومن فيها والمؤمنون له ذلك؟ نعوذ بالله من السفاسف.

ثم ما بال النبي الأعظم ﷺ يتأخر علمه بذلك عن علم الملائكة والسماوات والحاجة له ولأمته، وخطاب التبليغ متوجه إليه، والتكليف بالخضوع متوجه إلى أمته؟ ولم يكن جميع الملائكة والسماوات حملة الوحي إلى النبي ﷺ حتى يتقدّم علمهم على علمه.

وما الذي دعاه ﷺ إلى ذلك التأكيد وتكرار المسألة مرة بعد أخرى، وقد أبى الله أن يجيبها وشاء خلاف تلك الدعوة؟

إلى أسئلة هامة تأتي وهي مشكلات لا أحسب أن يجد كل من يعتمد على هذه الرواية إلى حلّها سبيلاً. أفّ تفّ لمؤلف يذكر مثل هذه الأفيكة ويراها لطيفة، والآخر يراها غريبة ويقول: يعتضد بالأحاديث الصحيحة اللهم إليك المشتكى[(١)].

٥ ـ عن عائشة مرفوعاً: لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه [أراد به عبد الرحمن] وأعهد [أي أوصي أبا بكر بالخلافة بعدي] أن يقول القائلون [أي كراهة أن يقول قائلٌ: أنا أحقّ منه بالخلافة] أو يتمنى المتمنّون [أي أو يتمنى أحد أن يكون الخليفة غيره] ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون [يعني تركت الإيصاء اعتماداً على أن الله تعالى يأبى عن كون غيره خليفة، وأن يدفع المؤمنون غيره] أو: يدفع الله ويأبى المؤمنون.

أخرجه الصغّاني في «مشارق الأنوار» عن البخاري، وفي هامشه: لم نجده في صحيح البخاري فليراجع. وشرحه ابن الملك بما جعلناه بين القوسين في شرحه، وذكره ابن حزم في الفصل، فقال: فهذا نص جلي على استخلافه (عليه الصّلاة والسلام) أبا بكر على ولاية الأمة بعده[(٢)].

هذه صورة ممسوخة من حديث الكتف والدواة المروي بأسانيد جمّة في

---

(١) الغدير ٥:٣٣٨.

(٢) صحيح البخاري ٢:٩٠، ابن حزم في الفصل ٤:١٠٨، انظر الغدير ٥:٣٤٠.

الصحاح والمسانيد، وفي مقدّمها الصحيحان حولوه إلى هذه الصورة لما رأوا الصورة الصحيحة من الحديث لا تتم بصالحهم، لكنها الرزية كل الرزيّة كما قاله ابن عبّاس في الصحيح، فإن رسول الله ﷺ منع في وقته عن كتابة ما رامه من الإيصاء بما لا تضل الأمة بعده، وكثر هناك اللغط، ورمي ﷺ بما لا يوصف به، أو قال قائلهم: إنّ الرجل ليهجر. أو: إن الرجل غلبه الوجع. وبعد وفاته ﷺ قلبوا ذلك التاريخ الصحيح إلى هذا المفتعل وراء أمر دبّر بليل.

قال ابن أبي الحديد في شرح «نهج البلاغة»: وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه: «ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلون بعده أبداً»، فاختلفوا عنده وقال قوم منهم: لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله.

قال الأميني: لا تخلو هذه الاستعاذة إما أن تكون في حيّز الأخبار عن عدم الاختلاف أو في مقام النهي عنه.

وعلى الأول يلزم منه الكذب لوقوع الاختلاف ـ وأي اختلاف ـ بالضرورة من أمير المؤمنين، وبني هاشم ومن التفّ بهم من صدور الصحابة، ومن سيد الخزرج سعد بن عبادة وبقية الأنصار، وإن أخضعت الظروف والأحوال أولئك المتخلفين عن البيعة للخلافة المنتخبة بعد برهة، فقد كان في القلوب ما فيها إلى آخر أعمارهم، وفي قلوب شيعتهم وأتباعهم إلى يوم لقاء الله، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام وآله وشيعته في كل فجوة من الوقت، وفرصة من الزمن نبرات وتنهّدات ينبىء فيها عن الحق المغتصب والخليفة المهتضم.

وعلى الثاني يلزم تفسيق أمة كبيرة من أعيان الصحابة لمخالفتهم نهي النبي ﷺ بما شجر بينهم وبين القوم من الخلاف المستعاذ منه بالله في أمر الخلافة، وهذا لا يلتئم مع حكمهم بعدالة الصحابة أجمعين، إلا أن يخصُّوها بغير المؤمنين ومن انضوى إليه، وكل هذا يؤدّي إلى بطلان الرواية. وهلم معي إلى أمّ المؤمنين الرّاوية لها نسألها عن أنّها لم تنبس يوم التنازع عمّا روته ببنت شفة، فتجابه من ينازع أباها بنص الرسول الأمين وأخّرت البيان عن وقت الحاجة؟ ولعلّها تجيب بأنّها لم تسمع قطّ من بعلها الكريم شيئاً مما ألصق بها، لكن رواة السوء بعد وفاتها لم ترع لها كرامة فصعّدت وصوّبت، وشاهد هذا الجواب ما سيوافيك عنها

بطريق صحيح ما ينافي الاستخلاف[1].

٦ ـ عبدالله بن عمر مرفوعاً: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصدِّيق لا يلبث بعدي إلا قليلاً. وصاحب رحى دارة العرب يعيش حميداً، ويقتل شهيداً عمر. وأنت يا عثمان سيسألك الناس أن تخلع قميصاً كساك الله عزّ وجل إيّاه، والذي نفسي بيده لئن خلعته لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط».

أخرجه البيهقي كما في تاريخ ابن كثير بإسناده، وفيه عبدالله بن صالح الكذّاب، وربيعة بن سيف قال البخاري: عنده مناكير. وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» من طريق يحيى بن معين، وقال: أنا أتعجب من يحيى مع جلالته ونقده كيف يروي مثل هذا الباطل ويسكت عنه؟ وربيعة صاحب مناكير وعجائب[2].

٧ ـ عن أبي هريرة في حديث: قال رسول الله ﷺ: «يا حفصة ألا أبشرك؟» قالت: بلى. قال: «يلي الأمر من بعدي أبو بكر، ثمّ أبوك اكتمي عليّ». فخرجت حتى دخلت على عائشة فقالت لها: ألا أبشّرك يا بنة أبي بكر؟ قالت: بماذا؟ فذكرت لها وقالت: قد استكتمني فاكتميه، فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيها النبيّ لم تحرم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك﴾** الآية.

أخرجه الماوردي في «أعلام النبوة». وأخرجه العقيلي من طريق موسى بن جعفر الأنصاري فقال: مجهول بالنقل لا يتابع على حديثه ولا يصحّ.. وذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال) في ترجمة موسى، وقال: لا يُعرف وخبره ساقط. ثم قال بعد ذكر الحديث: قلت هذا باطل[3].

ومتن الحديث أفسد من سنده لأنّ الولاية المذكورة إن كانت شرعية فإن من واجبه ﷺ إفشاءها ليعرّف الناس طريق الحق وصاحب الولاية المفترض طاعته فيسعدوا بذلك، لا كتمانها فيبقوا حيارى لا يدرون عمّن يأخذون معالم دينهم فيتشبثون في تشخيصه بالطحلب من خيرة مبتورة، وإجماع مخدج.

---

(١) الغدير ٥ :٣٤١.

(٢) تاريخ ابن كثير ٦ :٢٠٦، ميزان الاعتدال ٢ :٤٨، وانظر الغدير ٥ :٢٤٢.

(٣) أعلام النبوة: ٨١، لم ٦ :١١٣.

وإن كانت غير مشروعة فكان من واجبه ﷺ نهيهما عن ارتكابها، أو أمر حفصة بأن تنهي إليهما أمره ﷺ إياهما بالتجنب عن ورطة الهلكة ـ لا الستر والأمر بالكتمان ـ حتى لا يقعا فيها من حيث لا يشعران، بل كان من حق المقام أن يعرّف الملأ الديني بذلك ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة.

وعليه فإن صحّ الحديث فليس هو إلاّ إخباراً منه ﷺ بقضية خارجية، وإن كان وقوعها قهراً، ولا ينافيه لفظ البشرى لكونه إخباراً بما تهشّ إليه نفس حفصة من تقلّد أبيها زعامة الأمة، فجرى الكلام مجرى رغباتها، ولذلك لم تبد به حفصة عند مسيس حاجة الأمة إلى نص مثله ـ إن كان الحديث نصاً ـ عند محتدم الحوار بينها، وإنّما أمرها بالكتمان كان لمصالح لا تخفى على الباحث[1].

٨ ـ عن جعفر بن محمد [الإمام الصادق]، عن أبيه، عن جدّه، قال: توفيت فاطمة ليلاً فجاء أبو بكر وعمر وجماعة كثيرة، فقال أبو بكر لعلي: تقدّم فصلّ. قال: لا والله لا تقدمت وأنت خليفة رسول الله ﷺ فتقدّم أبو بكر فصلّى أربعاً.

عدّه الذهبي من مصائب أتى بها عبدالله بن محمد القدامي المصيصي عن مالك. وقال ابن عدي: عامّة حديثه غير محفوظة. وقال ابن حبان: يقلب الأخبار، لعله قلب على مالك أكثر من مائة وخمسين حديثاً. وقال الحاكم والنقّاش: روى عن مالك أحاديث موضوعة. وقال السمعاني في الأنساب: كان يقلب الأخبار لا يحتج به[2].

هذه الأكذوبة على الإمام الطاهر الصادق تخالف ما في التاريخ الصحيح عن عائشة قالت: دفنت فاطمة بنت رسول الله ليلاً، دفنها عليّ ولم يشعر بها أبو بكر (رضي الله عنه) حتى دفنت، وصلّى عليها علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، صحّحه الحاكم وأقرّه الذهبي.

وقال الحلبي في السيرة النبويّة: قال الواقدي: ثبت عندنا أن علياً كرم الله وجهه دفنها ليلاً، وصلّى عليها ومعه العبّاس والفضل، ولم يعلموا بها أحداً[3].

---

(١) الغدير ٥: ٣٤٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٧٠، لم ٣: ٣٣٤، انظر الغدير ٥: ٣٥٠.

(٣) مستدرك الصحيحين ٣: ١٦٣، السيرة النبوية للحلبي ٣: ٣٦٠، انظر الغدير ٥: ٣٥٠.

وتعقيباً على هذا الخبر الكاذب نقول: لو كان أبو بكر وعمر وجماعة من المسلمين قد حضروا تشييع فاطمة عليها السلام، ومراسم الصلاة عليها ودفنها، لعلموا قطعاً بموضع قبرها الشريف، ولما بقي مخفياً عن الأنظار إلى يومنا هذا لا مكان له ولا أثر.

٩ ـ عن أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما قدّمت أبا بكر وعمر، ولكن الله قدّمهما ومنَّ بهما عليَّ فأطيعوهما واقتدوا بذكرهما، ومن أرادهما بسوءٍ فإنما يريدني والإسلام». أخرجه ابن النجار كما في «كنز العمال»[(١)].

كيف خفي على معظم الأصحاب ورجالات بيت الوحي وفي مقدّمهم سيدهم أمير المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وآله قدّم الشيخين على علي عليه السلام وغيره في الخلافة مما قدّمهما الله تعالى؟ فتخلّفوا عن بيعة من قدّمه الله ورسوله وما أطاعوه وما قدّموه.

ولماذا حيل بينه صلى الله عليه وآله وبين ما رام أن يكتبه يوم الخميس قبل وفاته بخمسة أيّام في متولّي الخلافة بعدما كان نصّ عليه قبل ذلك اليوم؟ وما كان يكتب إلا من قدّمه الله تعالى ونصّ عليه صلى الله عليه وآله قبل. ولماذا لم يكن يوم السقيفة ذكر عند أي أحد من ذلك التقديم المفتعل على الله ورسوله؟ وما بال أبي بكر كان يقدّم أبا عبيدة بن الجراح يوم ذلك وكان يحثّ الناس على بيعته وبيعة عمر كما ورد في الصحيح؟ فكأنّ في أذن الأمّة وقراً من سماع ذلك التقديم حتى أنّ أذن أنس لم تسمع به قط[(٢)].

١٠ ـ عن عبدالله بن عمر: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تكون على هذه الأمة اثنا عشر خليفة: أبو بكر الصديق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرنٌ من حديد أصبتم اسمه، عثمان بن عفان ذو النورين قتل مظلوماً أوتي كفلين من الرحمة ملك الأرض المقدّسة، معاوية، وابنه. ثم يكون السفّاح، ومنصور، وجابر، والأمين وسلام، وأمير العصب لا يرى مثله، ولا يدرى مثله». الحديث.

أخرجه نعيم بن حمّاد في (الفتن) كما في (كنز العمال)، أرسلوا الحديث

---

(١) كنز العمال ٦: ١٤٤.

(٢) الغدير ٥: ٣٥٠ ـ ٣٥١.

ورفعوه خوفاً من أن يقف الباحث على ما في إسناده، غير أنّ نعيم بن حمّاد بمفرده يكفي في المصيبة ويستغنى به عن عرفان بقية رجاله، وقد مرّ في سلسلة الكذابين أنّه كان يضع الحديث في تقوية السنّة[1].

على أنّ متن الحديث غير قاصر بالشهادة على وضعه، فإن خليفة يأتي التبشير به كابني آكلة الأكباد، حقيق أن يكون الإنباء به مختلقاً مكذوباً لم تسرّ به الأمة قط، إلا أن يكون المبشر بهما وبمن بعدهما من أمثالهما غير عالم بمعنى الخليفة، ولا عارف بالمغزى من تقييضه.

ثم أي خلافة هذه ينقطع أمدها منذ عهد يزيد بن معاوية إلى السفاح من سنة ٦٤ إلى ١٣٢ فتترك الأمة طيلة تلك المدّة سدى؟؟!

وأي خطر للمنصور الظالم الغاشم حتى ينصّ النبي ﷺ على خلافته على المسلمين؟ ومن هم: جابر وسالم وأمير العصب؟ وما محلهم من الخلافة الدينية؟

ثم ما بال عمر بن عبد العزيز ألين بني أمية عريكة، وأطيبهم عنصراً، وأصلحهم عملاً، لم يعوض به عن يزيد الخنا؟ وما الذي كسا صاحب القرود والفهود والعود والخمور ثوب الخلافة الإسلاميّة، ولم يكسه عمر بن عبد العزيز؟ ولا معاوية بن يزيد الذي تقمصها أربعين يوماً ثمّ انسل عنه انسلالاً؟ وقد نصّ على خلافة الأول منهما وعدله، وكونه من الخلفاء الراشدين غير واحد من الأئمّة كما في (تاريخ ابن كثير). هذه كلّها شواهد على أن واضع الحديث مفترٍ خائن جاهل بشؤون الخلافة، غير عارف بالخلفاء، وأجهل منه مؤلف يذكره ويجعله بين يدي القارئ ويعدّه منقبة للخلفاء[2].

هذه بعض الأحاديث التي وضعها وعّاظ السلاطين بخصوص الخلافة والخلفاء الذين نصَّ عليهم رسول الله ﷺ كي يخلفوه من بعده.

إن هذه الأحاديث ما وضعت لخدمة أبي بكر وعمر وعثمان؛ لأنها وضعت بعد مضيِّهم، إذ لو كانت موجودة من قبل ذلك لاستدلُّوا بها في سقيفة بني ساعدة على شرعية خلافتهم تباعاً، بدلاً من أن تكون خلافة أبي بكر بالشورى، وعمر

---

(١) كنز العمال ٦: ٦٧.

(٢) تاريخ ابن كثير ٦: ١٩٨، الغدير ٥: ٣٥٣.

بالتعيين، وعثمان بن عفان باختيار أكثرية أعضاء اللجنة التي عيَّنها عمر لذلك الغرض. ثم إن التاريخ سجل اعتراف الخلفاء الثلاثة بعدم وجود النص على خلافة أحد. وهذه الشواهد تدل على أنها وضعت لخدمة غيرهم من الذين اغتصبوا الخلافة من أهلها الشرعيين بأساليب غير شرعية، كالأمويين والعباسيين.

والرواية الأخيرة وهي من بين مئات الروايات الملفَّقة التي وضعت لهذا الغرض، تشير بشكل صريح إلى الذين بذلوا الأموال الطائلة على واضعيها الكاذبين، ممن برعوا في فبركة تلك الروايات المختلقة الهادفة إلى إضفاء الشرعية على خلافة أسيادهم، وتبرير جرائمهم وأعمالهم المشينة. ونستنتج مما تقدم أن الاحتمال الثاني المطروح على بساط البحث هو الاحتمال الصحيح الذي ثبت بالدليل الأثري والمنطقي والعملي بصورة واضحة جلية لا غموض فيها.

إذا ثبت بالأدلة القطعية أن المراد بالصادقين بعض المؤمنين فلا بد إذن من معرفتهم ومعرفة خصائصهم التي تميزهم عن غيرهم كي نتمكن أن نكون معهم. امتثالاً لأمر المولى عزَّ وجلَّ.

والسؤال الذي يفرض نفسه بنفسه هو هل أن الأمر الذي تضمنته الآية الكريمة مختصّ بزمن نزولها أم أنه يستمر باستمرار الدين الإسلامي بالبقاء؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال يجب معرفة الصادقين وتعيين ما يختصون به من السمات التي تميزهم عن الآخرين.

جاء في مجمع البيان في تعريف الصادقين وبيان صفاتهم قائلاً: الذين يصدقون في أخبارهم، ولا يكذبون، ومعناه: كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله، وصاحبوهم ورافقوهم، كقولك أنا مع فلان في المسألة أي: أقتدي به فيها. وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله: **﴿ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر﴾** إلى قوله: **﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾**[1] فأمر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء الصادقين المتقين. وقيل: المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله: **﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه﴾** يعني حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب.

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧.

﴿**ومنهم من ينتظر**﴾[1] يعني علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى الكلبي: عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كونوا مع الصادقين، مع عليّ وأصحابه. وروى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾ قال: مع آل محمد صلى الله عليه وآله . . .[2].

ـ وفي الدر المنثور للسيوطي في ذيل تفسير الآية الشريفة في سورة التوبة قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿**اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾، قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

[وقال أيضاً] وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾ قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام [3].

وخلاصة تفسير الآية أن محمداً صلى الله عليه وآله ومن استشهد بين يديه من المجاهدين، وعلي بن أبي طالب وأصحابه المقتدين به، ومن نص على خلافته، وإمامته من بعده، أولئك من أبرز مصاديق الآية.

وإذا عرفنا الصادقين بما لهم من خصائص مميزة لا تخفى على كل ذي عقل ودراية مهما أثير من حولهم من غبار الريب والتضليل.

نعود الآن للإجابة على السؤال المطروح فنقول: إذا كان الأمر مختصاً بزمن النزول فقط، فيكون معنى الآية يا أيها المؤمنون كونوا مع محمد صلى الله عليه وآله، وأصحابه الصادقين كعلي بن أبي طالب عليه السلام ما داموا على قيد الحياة، ومن بعدها لكم الخيرة بأن تكوَنوا مع من تشاؤون من أصحابه سواء الصادقون منهم أو الكاذبون. ولكن هذا يتنافى مع مداليل الآية من جهة، وحكمة الله ولطفه ورحمته بعباده من جهة أخرى.

فالله الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله على فترة من الرسل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، أيصحُّ منه أن يدع عباده ليعودوا إلى الظلمات ثانية، ثم

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣.
(٢) مجمع البيان ٥:١٣٩.
(٣) فضائل الخمسة ١:٣٢٩.

يحاسبهم على ما اقترفوا من معاصٍ وآثام في فترة التيه والضلال؟

أضف إلى ذلك أن الله افترض على عباده المؤمنين الاستقامة على دينه، وأداء التكاليف ما داموا أحياءً، وهذا لا يتم من دون الكون مع الصادقين، إذ لا يمكنهم مواصلة السير في طريق الحق والصواب ما لم يكن لهم مرشد ودليلٌ يرشدهم لما فيه مرضاة الله وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

ومقتضى ذلك وجود أحد الصادقين في كل زمان ليكون المؤمنون معه، يهتدون بهديه ويقتدون بسيرته.

فإذا كان كذلك فمن يا ترى خلفاء محمد ﷺ بعد علي عليه السلام منذ استشهاده إلى يومنا هذا؟

فإن قيل هم الخلفاء الأمويون والعباسيون، قلنا هذا يناقض مداليل الآية إذ أمرت المؤمنين بالكون مع الصادقين، وهؤلاء قلّما نجد فيهم من يصدق القول ويقرنه بالعمل، بل إن معظمهم كان ممن شجع الوعّاظ، وأمدهم بالأموال الطائلة ليقوموا باختلاق الأحاديث وتلفيق التُهم ضدّ الصادقين من أئمة المسلمين ليمهدوا تصفيتهم الجسدية من قبل أسيادهم الجائرين.

فلم يكن أولئك الخلفاء الجائرون من الكاذبين فحسب، بل كانوا من المشجعين على الكذب والافتراء، فوجود مئات الآلاف من الروايات المختلقة التي تظهر فضائلهم المفتعلة لخير دليل على ما نقول.

وحبّذا لو اقتصر الأمر على ذلك، بل قادهم الكذب والافتراء إلى ممارسة أقذر الرذائل، وأبشع الجرائم بحق الصادقين من أصحاب محمد ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين. فقتلى الجمل وصفين ومرج عذراء وكربلاء، وفخ والحرة بعض ما اقترفوا من مجازر وحشية بشعة لا نظير لها في تاريخ القتلة المجرمين.

فلنغضّ الطَّرف عن سجل الإجرام الأموي والعباسي مؤقتاً، ولنفترض أنهم خلفاء الرسول ﷺ بعد الإمام علي وابنه الحسن المجتبى عليهما السلام، ولكن هذا لا ينسجم مع مبدأ بقاء الصادقين واستمرارهم إلى قيام الساعة، لانقطاع السلسلة بانتهاء الدور العباسي في أواخر القرن الرابع الهجري. فمن يتولى هداية الناس وإرشادهم لطريق الخير والصلاح بعدهم؟

إذن لا يمكن اعتبار الأمويين والعباسيين هم الصادقين حتى إذا غضضنا النظر عن سجل إجرامهم.

إن تداعي الاحتمالات المفترضة الواحد تلو الآخر يؤكد أن الصادقين المراد متابعتهم والكون معهم غير أولئك المجرمين. وعبثاً يحاول من يريد بإفكه أن يجعلهم أئمة المسلمين وخلفاء الرسول ﷺ من بعده. فالصادقون المشار إليهم في الآية الكريمة هم حملة وحي الله، وخلفاء رسوله، وأمناء شرعه، وحماة دينه، أئمة الهدى، ومصابيح الدُّجى، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، وهم علي وابناه الحسن والحسين والتسعة المعصومون من ذريته عليهم السلام، وآخرهم الحجّة ابن الحسن (عج)، الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

الدليل الثالث: حديث الثقلين

إن حديث الثقلين من أهم الأدلة القوية البارزة بعد حديث الغدير في الاستدلال على لزوم إمامة الإمام علي بعد النبي بلا فصل، ومن بعده أبناؤه بالتعاقب إلى قيام الساعة.

هذا الحديث الذي جعل عترة الرسول ﷺ عدل القرآن من القوة والمتانة بمكان إذ لو لم يكن للشيعة دليل على خلافة علي عليه السلام وأبنائه غيره لكفاهم ذلك حجة دامغة على من أنكر خلافتهم.

ولذا سترى عزيزي القارىء كيف حاول خصوم أهل البيت عليهم السلام أن يسوّفوا هذا الحديث، ويقللوا من أهميته العلمية بتغير ألفاظه ومصطلحاته ليتسنى لهم تغيير معانيه الأصلية، أو طمسها بشدة الالتباس والإبهام بحيث يصعب على الباحث أن يستخلص المعنى الذي أراده الرسول ﷺ منه، أو القضية الأساسية التي أراد إثباتها به.

ولأجل إعطاء صورة جلية واضحة للقارىء الكريم ـ عن ألفاظ الحديث ومعانيه لإيجاد صيغة مشتركة تحظى باتفاق المسلمين وإجماعهم ـ لا بد لنا أن نبحث جميع الأمور المتعلقة بالسند والمتن واختلاف الألفاظ والمعاني والدلالة

وما إلى ذلك من الأمور المهمة الجديرة بالبحث والدراسة.

البحث في سند حديث الثقلين:

لا ريب في صحة سند حديث الثقلين، لأنه كما قيّمه علماء الرجال حديث مستفيض بل متواتر أجمع المسلمون سنةً وشيعةً على صحته وسلامة طرقه ورواته من الجرح والتعديل.

رواه عدد لا يستهان به ـ وبطرق متعددة ـ من أجلّاء الصحابة ومشاهيرهم ممن عرفوا بالصدق والتقوى والاستقامة، والتفاني في ذات الله ونصرة رسوله، كعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن العباس، والحسين بن علي عليهما السلام، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وحمزة الأسلمي.

ورواه غير هؤلاء أيضاً كأنس بن مالك، وعبدالله بن حنطب، وابن أبي الدنيا، وجبير بن مطعم، وعبد بن حميد، ومحمد بن خلادة، وأبي هريرة وغيرهم كثير.

وروته من النساء المؤمنات الفاضلات فاطمة الزهراء عليها السلام، وأم سلمة، وأم هانيء[1].

وأما عن طرق الحديث فقال المناوي في فيض القدير: حيث قال:

قال السمهودي: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة، بل قال ابن حجر في صواعقه: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً لا حاجة لنا ببسطها[2].

وفيما يلي نذكر بعض هذه الطرق وما قاله المحدثون وعلماء الرجال فيها.

---

(١) فضائل الخمسة ٢: ٦١، صحيح مسلم ٢: ٣٦٢، مستدرك الحاكم ٣: ١٦١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٩٤، مسند أحمد ٣: ١٧، أسد الغابة ٢: ١٢، تاريخ ابن عساكر ٢: ٤٦ ح٥٤٧.

(٢) فيض القدير ٣: ١٤، الصواعق: ١٣٦.

ـ في مستدرك الصحيحين رواه بسنده عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: . . . ثم ذكر نص الحديث. . . ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[1].

ـ وفيه بسند آخر عن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي الطفيل، عن ابن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم. . وبعد أن ذكر الحديث قال: حديث ابن سلمة بن كهيل صحيح على شرطهما أي البخاري ومسلم، ثم قال: أقول: وذكره ابن حجر أيضاً في صواعقه مختصراً، وقال: هي رواية صحيحة[2].

ـ وفي كنز العمال رواه عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب. . ثم ذكر الحديث وقال: أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار وصححه[3]. .

ـ وفي كتاب فضائل الخمسة قال الفيروزآبادي: أما السند فهو قوي جداً، فإنه حديث صحيح مستفيض بل متواتر. .[4].

ـ وقال الدكتور التيجاني في كتابه مع الصادقين: وهذا الحديث صحيح ثابت، أخرجه المحدّثون من الفريقين السنة والشيعة، ورووه في مسانيدهم، وفي صحاحهم عن طريق ما يزيد على ثلاثين صحابياً. . ثم ذكر قائمة بأسماء الكتب التي روته[5].

ـ وقال الشيخ التبريزي في كتابه من هو المهدي(ع): ثم إن حديث الثقلين متواتر بين الفريقين، روته العامة، وقد صدر منه ﷺ في مواضع مختلفة. . .[6].

ـ ويقول صاحب كتاب الإمامة حول هذا الحديث: . . . وهو من المتواتر

---

(1) مستدرك الصحيحين ٣:١٠٩ و١٤٨، كنز العمال ١:٩٦.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) فضائل الخمسة ٢:٦١.
(5) مع الصادقين: ١٤٨.
(6) من هو المهدي: ١١.

عند الفريقين ـ السنة والشيعة ـ وبأشكال مختلفة. . [1].

ـ وقال الدكتور محمد بيومي مهران: ولا ريب في أن الحكمة الإلهية إنما تقتضي تواتر هذا الحديث، وكثرة النقلة له، ليتم بذلك وضوح المضمون في الغرض الأسمى، وقطعية السند، ليكون قاطعاً للعذر بإقامته الحجة ـ سنداً ومتناً ـ. . . [2].

إن هذه الأمثلة التي أدرجناها أعلاه تثبت بما لا ريب فيه إجماع علماء المسلمين على صحة الحديث وتواتره، فالذي يحاول أن يطعن بسنده ولا يعير أهمية لهذا الإجماع فهو مكابر معاند لا يذعن لمنطق الحجة والبرهان.

البحث في متن الحديث واختلاف ألفاظه:

١ ـ صحيح مسلم: روى بسنده عن يزيد بن حيَّان، عن حصين بن سيرة، وعمر بن مسلم، عن زيد بن أرقم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أما بعد ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

[فأجابه] زيد قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي عليه السلام وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

أقول: ورواه مسلم بأسانيد أخر أيضاً عن زيد بن أرقم قال في بعضها: فقلنا: من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا، وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

---

(١) الإمامة في الكتاب والسنة: ١٧٥.

(٢) الإمامة وأهل البيت ٢:٨٦.

ـ ورواه أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده باختلاف يسير في اللفظ، ورواه الدارمي أيضاً في سننه مختصراً، ورواه البيهقي أيضاً في سننه، ورواه المتقي أيضاً في كنز العمال مختصراً، وعبد بن حميد في مسنده بطريقين وقال في كل منهما: أخرجه ابن جرير، ورواه الطحاوي أيضاً في مشكل الآثار[1].

٢ ـ صحيح الترمذي: روى بسنده عن أبي سعيد والأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

أقول: ورواه ابن الأثير الجزري أيضاً في أسد الغابة، والسيوطي أيضاً في الدر المنثور في ذيل تفسير آية المودة في سورة الشورى وقال: أخرجه ابن الأنباري في المصاحف[2].

٣ ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي». (قال) وفي الباب عن أبي ذر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن أسيد (أقول) وذكره المتقي أيضاً، وقال: أخرجه ابن أبي شيبة، والخطيب في المتفق والمفترق عن جابر[3].

٤ ـ مستدرك الصحيحين: روى بسنده عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال: «كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا

---

(١) مسند أحمد ٤:٣٦٦، سنن الدارمي ٢:٤٣١، سنن البيهقي ٢:١٤٨، كنز العمال ١:٤٥، مسند عبد بن حميد ٧:١٠٢، مشكل الآثار ٤:٣٦٨.

(٢) أسد الغابة ٢:١٢.

(٣) كنز العمال ١:٤٨، صحيح الترمذي ٢:٣٠٨.

حتى يردا عليَّ الحوض». ثم قال: إن. . .

(أقول): ورواه النسائي أيضاً في خصائصه، والمتقي في كنز العمال أيضاً، وقال: للطبراني في الكبير عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم[1].

٥ ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي الطفيل، عن ابن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم. . . ثم قال: «أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله، وأهل بيتي عترتي. . .»[2].

٦ ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن مسلم بن صبيح، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»، قال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين[3].

٧ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: روى بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما».

وذكره المتقي في كنز العمال، وذكره الهيثمي في مجمعه وقال: رواه الطبراني في الأوسط[4].

ورواه ابن سعد أيضاً في طبقاته[5].

---

(١) المستدرك ٣:١٠٩، الخصائص: ٢١، كنز العمال ١:٤٨. الكبير للطبراني ٦:٣٩٠، فضائل الخمسة ٢:٥٤.

(٢) المستدرك ٣:١٠٩، الصواعق: ٨٩

(٣) المستدرك ٣:١٤٨.

(٤) مسند أحمد ٣:١٧ و١٤ و٢٦ و٥٩ باختلاف يسير في اللفظ، كنز العمال ١:٤٧ وفي نفس الصفحة رواه ثانية باختلاف يسير، وفي ص٤٨ أيضاً باختلاف يسير، الهيثمي ٩:١٦٣.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢:٢.

٨ ـ في مسند الإمام أحمد: روى بطريقين عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو ما بين السماء الى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض». ذكره في كنز العمال، والمناوي في فيض القدير في المتن، وقال في الشرح ـ بعد أن نقل عن الهيثمي توثيق رجاله ـ. . .[١].

٩ ـ في حلية الأولياء: روى بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون عليَّ الحوض، فإني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا، ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبَّأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض». ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، والمتقي في كنز العمال، والهيثمي في مجمعه[٢].

١٠ ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن علي عليه السلام قال: خطب رسول الله ﷺ بالجحفة فقال: «أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى، قال: «فإني كائن لكم على الحوض فرطاً وسائلكم عن اثنتين عن القرآن وعن عترتي» (الحديث). ذكره ابن الأثير في أسد الغابة، والهيثمي في مجمعه[٣].

١١ ـ كنز العمال: ولفظه: «إني لكم فرط وإنكم واردون عليَّ الحوض، عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، قيل: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزلوا ولن تضلوا، والأصغر عترتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض،

---

(١) مسند أحمد ٥:١٨١، كنز العمال ١:٤٤ و٤٧، فيض القدير ٣:١٤، والصواعق: ١٣٦.

(٢) حلية الأولياء ١:٣٥٥، تاريخ بغداد ٨:٤٤٢، كنز العمال ٧:٢٢٥، مجمع الهيثمي ١٠:٣٦٣.

(٣) حلية الأولياء ٩:٦٤، أسد الغابة ٣:١٤٧، مجمع الهيثمي ٥:١٩٥.

وسألت لهما ذلك ربي، ولا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم...»[1].

١٢ ـ وفيه أيضاً: قال: عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، علي بن أبي طالب عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله سبب بيد الله وسبب بأيديكم، وأهل بيتي». قال: أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار وصححه.

أقول: وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه، ولفظه: عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني مقبوض، وإني قد تركت فيكم الثقلين ـ يعني كتاب الله وأهل بيتي ـ وإنكم لن تضلوا بعدهما» (الحديث) قال: رواه البزاز[2].

١٣ ـ وفي مجمع الهيثمي: ـ في حديث طويل ـ عن حذيفة بن أسيد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون علي الحوض، حوض ما بين بصرى الى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيد الله عزّ وجلّ، وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبّأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض»، قال: رواه الطبراني.

ذكره المتقي في كنز العمال، وقال: للحكيم الترمذي في نوادر الأصول، والطبراني في الكبير، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد وذكره في ج٣: وقال: أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار[3].

١٤ ـ وفيه أيضاً: عن زيد بن أرقم ـ في حديث طويل ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «فإني فرط على الحوض وأنتم واردون عليَّ الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في

---

(١) كنز العمال ١:٤٧.

(٢) كنز العمال ١:٩٦، مجمع الهيثمي ٩:١٦٣.

(٣) مجمع الهيثمي ٩:١٦٤، كنز العمال ١:٤٨، وج٣:٦١.

الثقلين»، فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر عشيرتي، وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض، فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم...».

وذكره في كنز العمال وقال فيه: والآخر عترتي بدل عشيرتي[1].

١٥ ـ وفيه أيضاً: قال: وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً، كتاب الله. ونسبي ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»، قال: رواه البزاز[2].

١٦ ـ وفي الصواعق: قال: وفي رواية أنه ﷺ قال في مرض موته: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، إلا أني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل، وعترتي أهل بيتي، ...»[3].

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة المختلفة لحديث الثقلين، وسنبحث الآن في صور الاختلاف والاتفاق لعلنا نستطيع أن نستخلص صيغة مشتركة تحظى باتفاق المسلمين سنّةً وشيعةً ليتمكن الجميع من التمسك بالثقلين، والاهتداء بهديهما إن شاء الله.

صور الاختلاف في حديث الثقلين

أولاً: جاء في الحديث الأول: وإني تارك فيكم ثقلين ولم يذكر لفظ الثقلين في الثاني والثالث، وقال في الخامس أمرين وفي الثامن خليفتين، وفي الخامس عشر لفظ اثنين فقط، ولم تذكر لفظة الثقلين في بعضها.

ثانياً: لفظ ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي في الحديث الثاني قد تغيرت

---

(١) مجمع الهيثمي ٩:١٦٣، كنز العمال ١:٤٨.
(٢) مجمع الهيثمي ٩:١٦٣.
(٣) الصواعق: ٧٥.

الى ما إن أخذتم، وفي الحديث الخامس والثاني عشر، لم يذكرها وذكر بعد لفظة لن تضلوا: (إن اتبعتموهما)، وفي السادس لم يذكر لفظة (ما إن تمسكتم به)، وكذا في الحديث السابع والثامن، وفي الحديث التاسع بعد أن تغيرت ألفاظ الحديث ذكر (فاستمسكوا به)، وقريباً من هذا في الحادي عشر، والثالث عشر والرابع عشر، ولم تذكر اللفظة في الخامس عشر والسادس عشر.

ثالثاً: لفظة: أولهما في الحديث الأول تبدلت الى أحدهما في الثاني والرابع، ولم يذكرها في بقية الأحاديث.

هذه أهم الاختلافات اللفظية التي لاحظناها في الأمثلة المذكورة، وهي كما ترى ليس لها أثر في تغيير معنى الحديث.

صور الاتفاق في حديث الثقلين:

بعد حذف الأوصاف المذكورة للكتاب والسنة في بعض الصور اللفظية المذكورة في بعض الأحاديث نرى انحسار الاتفاق في الصور التالية:

أولاً: لفظة (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) في معظم الأمثلة المذكورة، ما عدا الحديث الأول قال فيه: وأهل بيتي دون أن يذكر (عترتي)، وكذا في الحديث السادس، وفي الحديث العاشر اكتفى بلفظة (عترتي) لوحدها، وكذا في الحديث الحادي عشر، وفي الحديث الخامس عشر وهو عن أبي هريرة لفظة (نسبي بدل عترتي)، وفي الحديث الرابع عشر لفظة (عشيرتي) بدلها.

ثانياً: وردت عبارة (إنهما لن يفترقا ـ أو يتفرّقا ـ حتى يردا عليّ الحوض) في معظم الأمثلة المذكورة.

ثالثاً: وردت إضافات في بعضها مثل: فانظروا كيف تخلفوني فيهما في الحديث الثاني والرابع، والثالث عشر. وفي الحديث السابع عبارة: فانظروني بم تخلفوني فيهما.

ووردت في الحديث الحادي عشر عبارة: ولا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم، وفي الحديث الرابع عشر نفس المعنى باختلاف يسير في الألفاظ.

صيغة حديث الثقلين الموحدة:

بعد أن بيّنا صور الاختلاف والاتفاق وحذف بعض الأوصاف والتعاريف تكون صيغة الحديث كالآتي: إني تارك أو مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم أو أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا أو يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

فبمثل هذه الصيغة أو قريباً منها يوجد الحديث في كتب السنة والشيعة[1]، وهذا يدل بشكل صريح على أن أصل الحديث واحد، لكن الوضاعين هم الذين أحدثوا التغيير والتبديل والتقديم والتأخير في ألفاظ الحديث، وأضافوا له بعض الإضافات بهدف تغيير معانيه.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار حركة الوضّاعين المدعومة من قبل الحكّام الجائرين، وكثرة الأحاديث الموضوعة التي طالتها يد الوضاعين نعلم جيداً بأن التغيير الذي طرأ على حديث الثقلين كان من صنع الوضّاعين ليس إلاّ.

وبعد أن انتهينا من تعيين صيغة الحديث الموحّدة نشرع الآن في تفنيد ما زعمه البعض بأن الحديث ينص على كتاب الله والسنة وليس العترة كما ذكرنا.

وسنترك المجال للدكتور التيجاني ليردّ على هؤلاء بالدليل القاطع الكفيل بتفنيد زعمهم في البحث الآتي:

بحث الصيغة المفتعلة لحديث الثقلين

إن الصيغة التي افتعلها البعض لحديث الثقلين هي: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) صحيح الترمذي ١٣: ٢٠٠، سنن الدارمي ٢: ٤٣١، صحيح مسلم ٧: ١٢٢، والاعتقاد للبيهقي: ١٦٤ مستدرك الحاكم ٣: ١٤٨.
تاريخ بغداد ٨: ٤٤٢، ينابيع المودة: ٤٠، أسد الغابة ٣: ١٤٧، الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤، أرجح المطالب: ٣٣٧ و٣٣٨ و٣٤١، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، البحار ٢٣: ١١٨ و١٣٣، إكمال الدين: ١٢٧، إثبات الهداة ٢: ٥٠١، بصائر الدرجات: ٤٣٤.
عبقات الأنوار ١: ٣٥٩، وفيه ج٢: ٣٧ وغير هذه الكتب.

أوصى بكتاب الله وسنة رسوله، لكن هذه الرواية غريبة تحمل في طياتها عوامل ضعفها. لذا نرى أن الدكتور التيجاني يتصدى بحزم لبيان منافاتها للأدلة الثبوتية، والواقع المعاش، والوقائع التاريخية التي لا ريب في وقوعها.

فبعد أن أثبت التيجاني إجماع الفريقين على صحة الصيغة السابقة بدأ يناقش هذا البعض الذي افتعل الصيغة الثانية قائلاً:

فلماذا يشكِّك البعض في هذا الحديث ويحاولون جهدهم أن يبدِّلوه بـ«كتاب الله وسنتي»؟؟!، ورغم أن صاحب كتاب «مفتاح كنوز السنة» يخرج في صفحة ٤٧٨ بعنوان وصيته ﷺ بكتاب الله وسنة رسوله، نقلاً عن البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة، غير أنك إذا بحثت في هذه الكتب الأربعة المذكورة فسوف لن تجد فيها إشارة ـ من قريب أو بعيد ـ إلى هذا الحديث، نعم قد نجد في البخاري «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» ولكنك لا تجد لهذا الحديث وجوداً.

وغاية ما يوجد في صحيح البخاري وفي الكتب المذكورة حديث يقول: «حدثنا طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى (رضي الله عنهما) هل كان النبي ﷺ أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله[1].

ولا وجود لحديث لرسول الله يقول فيه: (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي)، وحتى على فرض وجود هذا الحديث في بعض الكتب فلا عبرة به؛ لأن الإجماع على خلافه كما تقدم.

ثم لو بحثنا في حديث «كتاب الله وسنتي» لوجدناه لا يستقيم مع الواقع، لا نقلاً ولا عقلاً، ولنا في ردِّه بعض الوجوه:

الوجه الأول: اتفق المؤرخون والمحدّثون[2] بأن رسول الله ﷺ منع من كتابة أحاديثه، ولم يدّع أحد أنه كان يكتب السنة النبوية في عهده ﷺ، فقول الرسول ﷺ: «تركت فيكم كتاب الله وسنتي»، لا يستقيم.

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١٠٠٦/ ح٢٥٨٩/ كتاب الوصايا، سنن ابن ماجة ٢: ٩٠٠، صحيح مسلم ٢: ١٥، انظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح: ٧ ـ ٨.

(٢) المصدر نفسه.

أما بالنسبة لكتاب الله فهو مكتوب ومحفوظ في صدور الرجال، وبإمكان أي صحابي الرجوع إلى المصحف ولو لم يكن من الحفاظ.

وأما بالنسبة للسنة النبوية فليس هناك شيء مكتوب أو مجموع في عهده ﷺ، فالسنة النبوية ـ كما هو معلوم ومتفق عليه ـ كل ما قاله الرسول أو فعله أو أقرَّه، ومن المعلوم أيضاً أن الرسول لم يكن يجمع أصحابه ليعلّمهم السنة النبوية، بل كان يتحدث في كل مناسبة، وقد يحضر بعضهم وقد لا يكون معه إلا واحد من أصحابه، فكيف يمكن للرسول ـ والحال هذه ـ أن يقول لهم: تركت فيكم سنتي؟

الوجه الثاني: لمّا اشتدّ برسول الله وجعه ـ وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام ـ طلب منهم أن يأتوه بالكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبداً، فقال عمر بن الخطاب: إن رسول الله ليهجر، وحسبنا كتاب الله![1].

فلو كان رسول الله ﷺ قد قال لهم من قبل: «تركت فيكم كتاب الله وسنتي» لما جاز لعمر بن الخطاب أن يقول: حسبنا كتاب الله؛ لأنه بذلك يكون هو والصحابة الذين قالوا بمقالته رادّين على رسول الله، ولا أظن أن أهل السنة والجماعة يرضون بهذا.

ولذلك فهمنا أن الحديث وضعه بعض المتأخرين الذين يعادون أهل البيت وخصوصاً بعد إقصائهم عن الخلافة، وكأنّ الذي وضع حديث «كتاب الله وسنتي» استغرب أن يكون الناس تمسكوا بكتاب الله وتركوا العترة واقتدوا بغيرهم، فظن أنه باختلاق الحديث سيصحّح مسيرتهم ويُبعد النقد والتجريح عن الصحابة الذين خالفوا وصية رسول الله ﷺ.

الوجه الثالث: من المعروف أنّ أول حادثة اعترضت أبا بكر في أوائل خلافته هي قراره محاربة مانعي الزكاة، رغم معارضة عمر بن الخطاب له واستشهاده بحديث رسول الله ﷺ:

(١) صحيح البخاري ٤:١٦١٢/ ح٤١٦٨/ كتاب المغازي ـ باب مرض النبي ووفاته، صحيح مسلم ٢:١٦/ كتاب الوصية.

«من قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله عصم مني ماله ودمه إلا بحقها، وحسابه على الله»[1].

فلو كانت سنة الرسول ﷺ معلومة ما كان أبو بكر يجهلها، وهو أولى الناس بمعرفتها.

ولكن عمر بعد ذلك اقتنع بتأويل أبي بكر للحديث الذي رواه، وقول أبي بكر بأنّ الزكاة هي حق المال، ولكنهم غفلوا أو تغافلوا عن سنة الرسول الفعلية التي لا تقبل التأويل، وهي قصة ثعلبة الذي امتنع عن دفع الزكاة لرسول الله ﷺ ونزل فيه قرآن، ولم يقاتله رسول الله ولا أجبره على دفعها، وأين أبو بكر وعمر من قصة أسامة بن زيد الذي بعثه رسول الله في سرية، ولما غشي القوم وهزمهم لحق رجلاً منهم فلما أدركه قال: لا إله إلا الله! فقتله أسامة.

ولما بلغ النبي ذلك قال: «يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟» قال: كان متعوّذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[2].

ولكل هذا لا يمكن أن نصدّق بحديث «كتاب الله وسنتي» لأن الصحابة أول من جهل السنة النبوية، فكيف بمن جاء بعدهم؟ وكيف بمن بعُد مسكنه عن المدينة؟

الوجه الرابع: من المعروف أيضاً أن كثيراً من أعمال الصحابة بعد الرسول ﷺ كانت مخالفة لسنته.

فإما أن يكون هؤلاء الصحابة يعرفون سنته ﷺ وخالفوها عمداً، اجتهاداً منهم في مقابل نصوص النبي ﷺ، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري ٦:٢٦٥٧/ ح٦٨٥٥/ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) صحيح البخاري ٦:٢٥١٩/ ح٦٤٧٨/ كتاب الديات، صحيح مسلم ١:٥٤/ كتاب الإيمان.

(٣) الأحزاب: ٣٦.

وإما أنهم كانوا يجهلون سنته ﷺ، فلا يحقّ لرسول الله ﷺ والحال هذه أن يقول لهم: (تركت فيكم سنتي) وهو يعلم أن أصحابه وأقرب الناس إليه لم يحيطوا بها علماً، فكيف بمن يأتي بعدهم ولم يعرفوا ولم يشاهدوا النبي؟!

الوجه الخامس: من المعلوم أيضاً أنه لم تدوّن السنة إلا في عهد الدولة العباسية، وأنّ أول كتاب كتب في الحديث هو موطّأ الإمام مالك، وذلك بعد الفتنة الكبرى، وبعد واقعة الحرّة واستباحة المدينة المنورة وقتل الصحابة فيها صبراً، فكيف يطمئن الإنسان بعد ذلك إلى رواة تقرّبوا للسلطان لنيل الدنيا؛ ولذلك اضطربت الأحاديث وتناقضت، وانقسمت الأمة إلى مذاهب، فما ثبت عند هذا المذهب لم يثبت عند غيره، وما صحّحه هذا يكذّبه ذاك.

فكيف نصدق بأن رسول الله قال: «تركت كتاب الله وسنتي» وهو الذي كان يعلم بأن المنافقين والمنحرفين سوف يكذبون عليه، وقد قال:

(كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار)[1] فإذا كانت الكذابة قد كثرت في حياته فكيف يكلف أمته باتباع سنته، وليس لهم معرفة بصحيحها من سقيمها وغثّها من سمينها؟!

الوجه السادس: يروي أهل السنة والجماعة في صحاحهم بأن رسول الله ﷺ ترك ثقلين، أو خليفتين، أو شيئين، فمرة يروون (كتاب الله وسنة رسوله) ومرة يروون (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)، ومعلوم بالضرورة أن الحديث التالي يضيف ـ إلى كتاب الله وسنة رسوله ـ سنة الخلفاء، فتصبح مصادر التشريع ثلاثة بدلاً من اثنين، وكل هذا يتنافى مع حديث الثقلين الصحيح والمتفق عليه من السنة والشيعة، ألا وهو «كتاب الله وعترتي» والذي قدمنا في ذكره أكثر من عشرين مصدراً من مصادر أهل السنة الموثوقة، فضلاً عن مصادر الشيعة التي لم نذكرها.

الوجه السابع: إذا كان رسول الله ﷺ يعلم علم اليقين بأنّ أصحابه الذين نزل القرآن بلغتهم ولهجاتهم ـ كما يقولون ـ لم يعرفوا كثيراً من تفسيره ولا تأويله،

---

(١) صحيح البخاري ١: ٥٢/ ح١٠٦ ـ ١١٠/ كتاب العلم.

فكيف بمن يأتي بعدهم؟! وكيف بمن يعتنق الإسلام من الروم والفرس والحبش وكل الأعاجم الذين لا يفهمون العربية ولا يتكلمونها؟!

وقد ثبت في الأثر أن أبا بكر سُئل عن قوله تعالى: ﴿**وفاكهةً وأبّاً**﴾ فقال: أيّ سماء تظلني، وأيّ أرض تقلني أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم[1].

كما أن عمر بن الخطاب أيضاً لم يعرف هذا المعنى، فعن أنس بن مالك قال: إن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿**فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهةً وأبّاً**﴾[2].

قال: كل هذا عرفناه فما الأبّ؟ ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأبّ، اتبعوا ما بيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه».

وما يقال هنا في تفسير كتاب الله يقال هناك في تفسير السنة النبوية الشريفة، فكم من حديث نبوي بقي موضوع خلاف بين الصحابة وبين السنة والشيعة، سواء كان الخلاف ناتجاً عن تصحيح الحديث أو تضعيفه أم عن تفسيرات الحديث وفهمه[3].

هذا ما أردنا نقله من كتاب مع الصادقين للتيجاني وهو خير رد لخصوم أهل البيت عليهم السلام، الذين يحاولون بشتى السبل إخفاء الحقائق، وحجب نور الشمس بغربال.

وبما تقدم ثبت أن حديث: (كتاب الله وسنتي) حديث مفتعل لا أصل له، إذ إن الأدلة القاهرة التي قدمها الدكتور التيجاني قد أفحمت مفتعلي الحديث المذكور، وفنّدت حججهم الواهية، وجعلتهم أمام أمرين لا ثالث لهما: إما أن يذعنوا لمنطق الحجة والبرهان، ويقروا بصحة الصيغة الأولى للحديث وهي: (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وهو المطلوب، أو أنهم يتمادون في غيِّهم، ويصرون على باطلهم، وبذا يفقدون اعتبارهم وأهميتهم العلمية؛ لأنهم نقضوا الإجماع،

---

(١) إرشاد الساري للقسطلاني ١٠: ٣١١، فتح الباري لابن حجر ١٣: ٢٣٠.
(٢) عبس: ٢٧ ـ ٣١.
(٣) مع الصادقين للدكتور التيجاني: ١٥٠ ـ ١٥٧.

واستهانوا بالأدلة القاهرة التي لا مناص لهم من الإذعان لها.

وبهذا انتهينا من موضوع الصيغة الموحدة لحديث الثقلين، وسنشرع بمناقشة دلالته، ولكن قبل الشروع بالبحث لا بد لنا من معرفة أهل البيت وتعينهم، كي نعرف مفاد الأمر الذي يلزمنا بالتمسك بهم وبالكتاب معاً.

من هم أهل البيت عليهم السلام

قبل البدء بالإجابة عن السؤال المطروح نودّ ذكر نماذج من الأحاديث التي وردت في تعريف (أهل البيت عليهم السلام) إثر نزول آية التطهير، وكانت بمثابة تفسير لها حيث ذكرت جملة من القرائن الدالة على تعيّنهم، والخصائص المهمة التي تميزهم عن غيرهم، وتمنع دخول من لا يتصف بها معهم بأي حال من الأحوال.

النموذج الأول:

ـ جاء في صحيح مسلم: في كتاب فضائل الصحابة، في باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بسنده عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[(1)].

النموذج الثاني:

ـ صحيح الترمذي: روى بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله قال: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعلي عليه السلام خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي

---

(١) ورواه الحاكم في مستدرك الصحيحين ٣:١٤٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ورواه البيهقي في سننه ٢:١٤٩، ورواه ابن جرير في تفسيره ٢٢:٥ عن عائشة.

الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير»[1].

النموذج الثالث:

ـ صحيح الترمذي: روى بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة عليها السلام ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[2].

ـ وروى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة**﴾ في آخر سورة طه، قال: وأخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿**وأمر أهلك بالصلاة**﴾ كان النبي ﷺ: يجيء إلى باب علي عليه السلام صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: «الصلاة رحمكم الله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾».

النموذج الرابع:

ـ مستدرك الصحيحين: روى بسنده عن أم سلمة أنها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير، وهؤلاء أهل بيتي آل بيتي أحق»، (أقول) هذا حديث صحيح على شرط البخاري[3].

---

(١) صحيح الترمذي ٢:٢٠٩، وج٢:٣١٩ بسند آخر واختلاف يسير و٣٠٨، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار ١:٣٣٥، وفي أسد الغابة ٢:١٢، وتفسير الطبري أيضاً ٢٢:٦ و٧ وقال: عن أم سلمة.

(٢) صحيح الترمذي ٢:٢٩، تفسير الطبري ٢٢:٥ مستدرك الصحيحين ج٣:١٥٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، مسند أحمد ٢:٢٥٢، أسد الغابة ٥:٥٢١، كنز العمال ٧:١٠٣.

(٣) مستدرك الصحيحين ٢:٤١٦، وج٣:١٤٧، سنن البيهقي ٢:١٥٠، مشكل الآثار ١:٣٣٤، تاريخ بغداد ٩:١٢٦، تفسير الطبري ٢٢:٧، أسد الغابة ٥:٥٢١ و٥٨٩، ذخائر العقبى: ٢٣.

النموذج الخامس:

ـ مسند أحمد بن حنبل: روى بسنده عن أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه، فقال لها: «ادعي زوجك وابنيك» قالت: فجاء علي والحسن والحسين عليهم السلام فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له، وكان تحته كساء له خيبري قالت: وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهلي بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إنك إلى خير»[1].

النموذج السادس:

ـ أسد الغابة: قال: وروى الأوزاعي عن شداد بن عبد الله قال: سمعت واثلة ابن الأسقع وقد جيء برأس الحسين عليه السلام فذكره رجل من أهل الشام وذكر أباه عليه السلام، فقام واثلة وقال: والله لا أزال أحب علياً والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول فيهم ما قال، لقد رأيتني ذات يوم وقد جئت النبي ﷺ في بيت أم سلمة فجاء الحسن عليه السلام فأجلسه على فخذه اليمنى وقبّله، ثم جاء الحسين عليه السلام فأجلسه على فخذه اليسرى وقبله، ثم جاءت فاطمة عليها السلام فأجلسها بين يديه ثم دعا بعليٍّ عليه السلام ثم قال: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[2].

هذه بعض النماذج المنتخبة من عشرات الروايات التي أشارت الى أهل

---

(١) مسند أحمد ٦:٢٩٢ وفيه أيضاً بسند آخر وباختلاف في تفاصيل الحادثة، أسباب النزول: ٢٦٧، مشكل الآثار ١:٣٣٢ و٣٣٤ وفيه بطريقين، ذخائر العقبى: ٢٣ وفي آخره: «أنا حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم، عدو لمن عاداهم».

(٢) أسد الغابة ٢:٢٠ وفيه في ذيل الحديث: قلت لواثلة: ما الرجس؟ قال: الشك في الله عزّ وجلّ.

البيت عليهم السلام، وذكرت خصائصهم[1].

ومن هذه الروايات نستخلص الأمور التالية:

أولا: وإن كان أهل البيت لغةً هم عشيرة الرجل وذوو قرباه[2]، إلا أن المراد بهم في آية التطهير هم: علي وفاطمة والحسن والحسين والرسول لا غير، بدليل تجليله إياهم بالكساء، وقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي... أضف إلى ذلك التصريح في بعض الروايات بأن الآية نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين. وكل تلك القرائن تشير بصراحة الى انحصار أهل البيت فيهم فقط.

ثانياً: دلت آية التطهير على عصمة هؤلاء وطهارتهم من الرجس دون سواهم، وبهذا القيد خرج أقرباء الرسول وعشيرته وأزواجه من بين مصاديق الآية؛ لأن الوقائع التاريخية أثبتت عدم عصمتهم وطهارتهم، لكثرة ما ارتكبوا من أخطاء، بل جرائم بشعة ارتكبت بحق الإسلام عموماً وبحق علي وآله على وجه الخصوص.

ثالثاً: أشارت بعض الروايات إلى حرمة الصدقة على هؤلاء وذريتهم، لأنهم أهل البيت والصدقة عليهم حرام، بينما لا تحرم على أقرباء الرسول وعشيرته، وهذا يدل على الحصر أيضاً فتأمل.

وإذا عرفنا أن المراد بأهل البيت عليهم السلام ـ المشار إليهم بآية التطهير ـ هؤلاء لا غيرهم، فلا بد أن يكونوا هم المعنيين في حديث الثقلين ليس إلا.

بحث في مداليل حديث الثقلين

ـ جاء في شرح مضامين حديث الثقلين شروحات كثيرة لا يسعني أن أذكرها جميعاً، فلذا اخترنا منها اثنين: أحدهما للعلامة الفيروزآبادي، والآخر للفقيه ابن

---

(١) راجع خصائص النسائي: ٤، تفسير الطبري ٢٢:٥، ذخائر العقبى: ٢٤، مجمع الزوائد ٩:١٦٧، المرقاة ٥:٥٩٠، الرياض النضرة ٢:١٨٨، الاستيعاب ٢:٥٩٨، أسد الغابة ٥:٦٦ و١٧٤ وج٣:٤١٣، تفسير الطبري ٢٢:٦، مسند أبي داود ٨:٢٧٤، مشكل الآثار ١:٣٣٢ و٣٣٣ و٣٣٦ و٣٣٨ وغيرها.

(٢) لسان العرب ١:١٦٣ ط/ بيروت ـ دار المعارف.

حجر في صواعقه:

شرح الفيروزآبادي للحديث:

وأما الدلالة: فهي قوية أيضاً، بل في أعلى مراتب القوة بعد رعاية القرائن القطعية، والشواهد الجلية المحفوفة به، كقوله ﷺ: إني مقبوض ـ أو إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، أو إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، أو قوله ﷺ: وأنا تارك فيكم الثقلين، أو إني تارك فيكم الثقلين، أو خليفتين، أو فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أو كيف تخلفوني في الثقلين، أو قوله ﷺ ولا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلموهما فإنهم أعلم منكم، أو فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم.

فإن جميع ذلك قرائن قطعية، وشواهد جلية على أن النبي ﷺ قد دنا أجله، وقربت وفاته فصار في مقام الاستخلاف وتعيين الخليفة من بعده، فعيّن الكتاب وأهل بيته، وبيّن للناس أنهما أعلم منهم، وقد نهاهم عن تقدمهما، وعن التقصير عنهما، وإذا ثبت من مجموع تلك القرائن والشواهد أن النبي ﷺ قد استخلف الكتاب، وأهل بيته وترك في الأمة هذين الثقلين، ثبتت خلافة علي عليه السلام من بين أهل البيت الطاهرين بالخصوص، فإنه أعلمهم وأفضلهم، ولم يدع منهم أحد منصب الخلافة والإمامة ما دام علي عليه السلام كان حياً موجوداً في دار الدنيا. (هذا كله) مع قطع النظر عن الأحاديث التي كان فيها تصريح باسم علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن النبي ﷺ بعدما قال: إني قد تركت فيكم الثقلين، أو إني تارك فيكم أمرين كتاب الله وأهل بيتي ـ قد أخذ بيد علي عليه السلام وقال: من كنت مولاه ـ أو أولى به من نفسه ـ فعلي مولاه، أو وليّه[1].

شرح ابن حجر للحديث:

قال: تنبيه، سمى رسول الله ﷺ القرآن وعترته ـ وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون ـ ثقلين: لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان

(١) فضائل الخمسة ٢: ٦٢.

كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم اللّدنية، والأسرار والحكم العلمية، والأحكام الشرعية، ولذا حثَّ ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم منهم.

وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت، وقيل: سمِّيا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحثُّ عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) وتميّزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها، وسيأتي الخبر الذي في قريش (وتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم) فإذا ثبت هذا لعموم قريش فأهل البيت أولى منهم بذلك لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش، وفي أحاديث الحثِّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض ـ كما يأتي ـ ويشهد لذلك الخبر السابق: (في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي) (إلى آخره)، ثم أحقّ من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) لما قدمنا من مزيد علمه، ودقائق مستنبطاته، ومن ثم قال أبو بكر: عليّ عترة رسول الله ﷺ: أي الذين حثّ على التمسك بهم فخصَّه لما قلنا، وكذلك خصَّه ﷺ بما مرّ يوم غدير خم (انتهى)[1].

والذي يقرأ النص المذكور يتصور لأول وهلة أن كاتبه أحد علماء الشيعة الإمامية؛ لأنه أكثر وضوحاً وصراحة من سابقه، وأدق تعبيراً، وأشمل دلالة حيث إنه استوعب جميع دلالات الحديث بدون استثناء.

كان باستطاعتنا أن نكتب شرحاً مفصلاً ولعلّه يكون أوفى من هذين الشرحين ولكنه لا يحقق ما نصبو إليه: وهو أن نثبت للقارئ الكريم بالدليل القاطع أن هناك فهماً مشتركاً لحديث الثقلين من قبل الفريقين من المسلمين سنة وشيعة، بالإضافة إلى الصيغة الموحدة له، المجمع على صحتها بين الخاصة والعامة.

ومن هذا نفهم أن المراد بالحبل المذكور بالقرآن الكريم ـ ﴿**واعتصموا بحبل**

---

(١) الصواعق: ٩٠.

الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[1] ـ هو الكتاب والعترة، لا الكتاب وحده كما تصور البعض، لأن الاعتصام بالكتاب لوحده دون العترة يزيدنا فرقة وتمزقاً، لاختلاف وجهات النظر بين المفسرين، ذلك الاختلاف الذي أفرز هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمة مكرهة، لأنه حاصل عوامل الضعف والفرقة والتشتت، ومخالفة أمر الله، وارتكاب معاصيه.

إذن لا بد من وجود العترة بجانب الكتاب لكي نحصل على تفسير دقيق، وشامل وموحد يلتزم به المسلمون قاطبة امتثالاً لأمر الله بالاعتصام بحبله.

ولهذا السبب بالذات نرى أن القرآن الكريم يحثنا أن نسأل أهل الذكر وهم الأئمة الأطهار عليهم السلام ؛ لأنهم أعلم منا بالكتاب بل هم محيطون بعلومه، لا يغيب عن بالهم شيء من معانيه.

ومعلوم أن وحدة التفسير تؤدي حتماً إلى انسجام المسلمين فكرياً وعقائدياً وهذا مما يزيد من تماسك المسلمين وتراصّهم، وتلاحم صفوفهم.

الأمور المستنبطة من حديث الثقلين

ونصل شيئاً فشيئاً إلى نهاية البحث بعد دراسة الحديث من جميع جهاته واستيعاب معانيه. لقد آن الأوان لنستخلص منه النتائج المطلوبة التي تؤكد سلامة عقيدتنا بالإمام المهدي (عج)، وتثبت وجوده المبارك، وتزيدنا إيماناً به، وثباتاً على نهجه النيّر الذي يوصلنا إلى أعلى مراحل السمو والكمال الإنساني.

وحاصل بحثنا الأمور التالية:

الأمر الأول: إن القرآن والعترة توأمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر بأي حال من الأحوال. وإن أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن وحملة علومه، ومنجزو أحكامه، وخير الدعاة له بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويستفاد من قوله صلى الله عليه وآله : كتاب الله وعترتي أهل بيتي أن لأهل البيت عليهم السلام منزلة رفيعة، ومقاماً شامخاً مساوياً لمقام القرآن ورفعته. وهذا يلزمنا بإطاعة

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

أوامرهم واجتناب نواهيهم ورعاية حقوقهم تماماً كما نرعى حقوق القرآن الكريم ونأتمر بأوامره، ونحكمه بكل شؤون حياتنا دون استثناء.

الأمر الثاني: إن القرآن والعترة كلاهما صمّام أمان المسيرة الجهادية، يمنع انحراف الأمة وضلالها طالما تمسكت بهما وسارت على ضوء تعاليمهما وإرشاداتهما. وهذا مستفاد من قوله ﷺ: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا.

الأمر الثالث: إن ملازمة أهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم، وعدم افتراقهم عنه حالة مستمرة إلى يوم القيامة، والورود على الحوض كما أشار رسول الله ﷺ لذلك. وهذا يعني وجود إمام منهم مقترن بالقرآن في كل زمان، ليتسنى لنا التمسك بهما، وصيانة المسيرة وحفظها من الضلال.

فإذا كان الإمام الحسن بن علي العسكري آخر الأئمة من أهل البيت توفي سنة ٢٦٠ للهجرة فمن خلفه في تولّي مهمة الإمامة من بعده؟

فإن قلنا إن الأمر تُرك سدى فلم يخلفه أحد، انتقض قوله ﷺ: لن يفترقا، حيث حصل الافتراق فعلاً باستشهاد الإمام العسكري، وعدم وجود من يخلفه. وسيعقب هذا الافتراق ضلال لا محال. وهذا ما لا يرتضيه الله سبحانه وتعالى لعباده، إذ كيف يتركهم ليضلوا بعد أن هداهم للإيمان.

فإذا كان هذا غير معقول، ومنافياً لحكمة الله ولطفه فلا بد إذن أن يكون إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام يحل محله وينجز مهامه.

فمن عساه أن يكون غير الإمام المهدي (عج)، الذي ذكرت التواريخ سنة ولادته، ولم تعلمنا بسنة وفاته كما سترى ذلك في تفاصيل ترجمة حياته، وحياة سفرائه الأربعة ضمن الأدلة الخاصة في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

الدليل الرابع: وجوب معرفة الإمام

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

قبل الشروع بالبحث نذكر الأحاديث الدالة على ذلك في كتب العامة، ومن ثم نناقشها بإسهاب لكي نعرف الإمام المراد معرفته، وما هي أوصافه وصفاته،

وهل هو معصوم أو غير معصوم، وما نظر القرآن المجيد فيه؟؟

الأحاديث:

ـ مسند الطيالسي: روى فيه: قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له[1].

ـ وقال في نفحات اللاّهوت: وروي من قول النبي ﷺ: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[2].

ـ وقال في ينابيع المودة: في المناقب بالسند عن عيسى بن السري قال: قلت لجعفر الصادق عليه السلام حدثني عما ثبت عليه دعائم الإسلام إذا أخذت بها زكا عملي ولم يضرني جهل ما جهلت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحق الأموال من الزكاة، والإقرار بالولاية التي أمر الله بها، ولاية آل محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله عزّ وجل: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ فكان علي (صلوات الله عليه) ثم صار من بعده الحسن، ثم الحسين، ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، وهكذا يكون الأمر. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام، ومن مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية[3].

ـ وقال العلامة الشيخ رجب بن أحمد في شرح الطريقة: قال رسول الله ﷺ: من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية[4].

ـ روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن محمد، عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع ـ حين كان من أمر الحرَّة ما كان زمن

---

(١) مسند الطيالسي: ٢٥٩ ط/ حيدرآباد الدكن.

(٢) نفحات اللاهوت: ١٣ ط/ الغري.

(٣) ينابيع المودة: ١١٧ ط/ استامبول.

(٤) شرح الطريقة: ٢١٦ ط/ مصر.

يزيد بن معاوية ـ فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية[١].

بمجرد إلقاء نظرة عابرة وبدون أدنى عناء وتأمل على النصوص السابقة الذكر نستخلص منها حكم وجوب معرفة الإمام من قبل المكلفين كي تكون له في أعناقهم بيعة؛ لئلا يموتوا ميتة جاهلية، ويكونوا مصداقاً لقوله ﷺ، وبالتالي سيلقون الله يوم القيامة ولا حجة لهم، وسيؤول مصيرهم إلى جهنم وعقاب أليم..

وهذا ما لا يرتضيه أي مكلَّف مؤمن عاقل يدفع عن نفسه الأذى وسوء العواقب، ولا يلقي بها في التهلكة.

فإذا كان كذلك فيلزم وجود إمام في كل وقت ليتعرف عليه المكلفون وإلاّ لا يتم وجوب معرفته بدون وجوده المبارك.

ولذا سنعرض الأدلة الدالة على الوجوب من الكتاب والسنة والإجماع. ونضيف إلى ذلك جملة من الروايات من كتب الخاصة تؤكد وجود الإمام في كل وقت؛ لأن عدم وجوده يؤدي إلى إساخة الأرض بأهلها.

أدلة الوجوب من الكتاب والسنة والإجماع

فأما الكتاب، فلقد قال الله تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾**[٢].

وقال تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾**[٣].

---

(١) صحيح مسلم ١٢: ٢٤٠ شرح النووي ط/ بيروت سنة ١٩٨٣.
(٢) سورة البقرة: آية ٣٠.
(٣) سورة النور: آية ٥٥.

وقال تعالى: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق**﴾[1].

قال القرطبي في تفسيره حول الآية الأولى: إن هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليقة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة، ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصمّ، وكذلك كل من قال بقوله، واتبعه على رأيه ومذهبه، قال: إنها غير واجبة في الدين، بل يسوغ ذلك، وأن الأمة متى أقاموا حجّهم وجهادهم، وتناصفوا فيما بينهم، وبذلوا الحق من أنفسهم، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات على أهلها، وأقاموا الحدود على من وجبت عليه، أجزأهم ذلك، ولا يجب عليهم أن ينصِّبوا إماماً يتولى ذلك.

ودليلنا على إقامة إمام، قول الله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ وقوله تعالى: ﴿**يا داود إنا جعلناك في الأرض خليفة**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض**﴾ أي يجعل منهم خلفاء، إلى غير ذلك من الآي[2].

ويقول ابن كثير: وقد استدلَّ القرطبي وغيره بهذه الآية ـ آية ٣٠ من البقرة ـ على وجوب نصب الإمام، ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفواحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها، إلا بالإمام، وما يتمّ الواجب إلا به، فهو واجب[3].

وأما السنة: فلقد روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن محمد عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع ـ حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية ـ فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك

---

(١) سورة ص: آية ٢٣٦.

(٢) تفسير القرطبي ١: ٢٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير ١: ١١٠ ط/ بيروت سنة ١٩٨٦، وانظر: تفسير الطبري ١: ٤٣٩ ـ ٤٨٠، تفسير النسفي ١: ٤٠، تفسير المنار ١: ٢١ ـ ٢١٨، الإمامة وأهل البيت ١: ٣٣.

لأجلس، أتيتك لأحدثك سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية[1].

ـ وروى أيضاً في صحيحه بسنده عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: إنما الإمام جنَّة، يقاتل من ورائه، ويتقى، فإن أمر بتقوى الله عز وجل، وعدل، كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره، كان عليه منه[2].

ـ وروى الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ـ ت ١٢٥٥هـ) في «نيل الأوطار ـ شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار» (باب وجوب نصب ولاية القضاء والإمارة وغيرهما) عن عبدالله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض، إلا أمَّروا عليهم أحدهم[3]. قال: رواه أحمد.

وعن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قال: إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمِّروا عليهم أحدهم ـ قال: رواه أبو داود، وله من حديث أبي هريرة مثله.

هذا وحديث عبدالله بن عمرو، وحديث أبي سعيد، قد أخرج نحوهما البزار بإسناد صحيح من حديث عمر بن الخطاب بلفظ «إذا كنتم ثلاثة في سفر، فأمِّروا أحدكم، ذاك أمير، أمره رسول الله ﷺ»[4].

وأما الإجماع: فهو يتجلى صريحاً بأقوال علماء الدين الشيعة والسنة، وسنذكر بعض تلك الأقوال للدلالة على الإجماع المذكور:

ـ ويقول القرطبي: إن الإمام إنما نصّب لدفع العدو، وحماية البيضة، وسد الخلل، واستخراج الحقوق، وإقامة الحدود، وجباية الأموال لبيت المال، وقسمتها على أهلها[5].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢: ٢٤٠.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢: ٢٣٠.
(٣) نيل الأوطار ٨: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٤) نفس المصدر السابق.
(٥) تفسير القرطبي ١: ٣٢.

ـ وقال ابن تيمية: يجب أن يعرف أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس[1]، حتى قال النبي ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمِّروا أحدهم ـ رواه أبو داود عن نافع عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري ـ[2].

ثم قال: ومن ثم فقد أوجب النبي ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه ـ من الجهاد والعدل، وإقامة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، ولا تتم إلا بالقوة والإمارة[3].

ـ وقال ابن حزم الأندلسي ـ من أئمة الظاهرية ـ: اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيها أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة، التي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج (أصحاب نجدة بن عمير الحروري ـ أحد بني حنيفة[4]، فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمام، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد، وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي، القائم باليمامة[5].

ـ وقال ابن خلدون: إن نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله ﷺ، عند وفاته، بادروا إلى بيعة أبي بكر (رضي الله عنه)، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقر ذلك

---

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: ١٦٠ مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ ١٣٧٩هـ.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٣٤ ط/ حلب ١٩٥٣م.

(٣) السياسة الشرعية: ١٦٠.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ١٠٦.

(٥) نفس المصدر السابق.

إجماعاً، دالاً على وجوب نصب الإمام[١].

وقد ذهب بعض الناس إلى أن مُدرك وجوبه العقل، وأن الإجماع الذي وقع إنما هو قضاء بحكم العقل فيه، قالوا: إنما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر، واستحالة حياتهم، ووجودهم منفردين، ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض، فما لم يكن الحاكم الوازع أفضى ذلك إلى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم، مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوءات في البشر، وقد نبهنا على فساده، وأن إحدى مقدماته أن الوازع إنما يكون بسطوة الملك، وقهر أهل الشوكة، أو لم يكن شرع، كما في أمم المجوس، وغيرهم ممن ليس له كتاب، أو لم تبلغه الدعوة؟

أو نقول: يكفي في دفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه، بحكم العقل، فادعاؤهم أن ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع هنا، ونصب الإمام هنا غير صحيح، بل كما يكون بنصب الإمام، يكون بوجود الرؤساء وأهل الشوكة، أو بامتناع الناس عن التنازع والتظالم، فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة، فدلّ على أن مُدرك وجوبه إنما هو بالشرع، وهو الإجماع الذي قدمناه[٢].

وقد شذَّ بعض الناس، فقال بعدم وجود هذا النصب رأساً، لا بالعقل ولا بالشرع، ومنهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم، والواجب عند هؤلاء، إنما هو إمضاء لحكم الشرع، فإذا تواطأت الأمة على العدل، وتنفيذ أحكام الله تعالى، لم يحتج إلى إمام، ولا يجب نصبه، وهؤلاء محجوجون بالإجماع[٣].

ـ وقال الشيخ الطوسي في (كتاب الغيبة): إذا ثبت وجوب الإمامة في كل حال، وأن الخلق مع كونهم غير معصومين لا يجوز أن يخلوا من رئيس في وقت من الأوقات، وأن من شرط الرئيس أن يكون مقطوعاً على عصمته، فلا يخلو ذلك

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ١٩١.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) نفس المصدر السابق.

الرئيس من أن يكون ظاهراً معلوماً، أو غائباً مستوراً، فإذا علمنا أن كل من يدعى له الإمامة ظاهراً ليس بمقطوع على عصمته، بل ظاهر أفعالهم وأحوالهم ينافي العصمة، علمنا أن من يقطع على عصمته غائب مستور. . .[١].

ـ وقال الشيخ محمد رضا المظفر في (كتابه عقائد الإمامية): نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، . .

وعلى الأقل أن الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها إيجاباً أو سلباً. .[٢].

إذا ثبت بالأدلة السابقة الذكر وجوب معرفة الإمام، وأن هذا متوقف على وجوده المبارك، وإلاّ لما كلف بمعرفته، ولكن من هو هذا الإمام وما هي أوصافه؟ فإن كان المراد بالإمام ذا المواصفات الخاصة فهو المطلوب، وإن كان المراد به هو الحاكم الإسلامي المتربع على دفة الحكم مهما كانت أوصافه ـ مؤمناً كان أو فاسقاً، عالماً أو جاهلاً، تقياً أو شقياً، عادلاً أو جائراً، صغيراً أو كبيراً، شجاعاً أو جباناً، سليم الخلقة أو مشوَّهاً، ذكياً أو غبياً، عاقلاً أو مجنوناً، كيِّساً حليماً أو أحمق متهوراً، حراً أو عبداً، وغير ذلك من الخصائص والصفات ـ فهذا منافٍ للشرع والعقل معاً، لأن حاكماً كهذا غير مؤهل لإنجاز المهام المناطة به ـ كإقامة الحدود، وإجراء العدل بالقضاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة أعداء الإسلام ـ إلاّ إذا تحلى بالصفات الحميدة وأصلح نفسه، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. .

وعلى فرض القبول بحاكم كهذا فإن ذلك لا ينسجم مع الواقع المعاصر لأن تجزئة العالم الإسلامي إلى دول ومقاطعات عديدة أدت إلى تعدد الحكام والأمراء فلأي حاكم منهم يبايع المسلم المكلف حتى لا يموت ميتة جاهلية، أو كيف يمكنه التعرف على الإمام المفترض الطاعة بدون وجود خصائص خاصة تميزه عن غيره؟ إن في ظرف كهذا يصبح أمر التعرف على من تجب له البيعة مستحيلاً، وباستحالة الأمر يسقط التكليف؛ لأنه ليس بمقدور المكلف إنجازه.

---

(١) الغيبة: ٣.

(٢) عقائد الإمامية: ٦٥.

فبثبوت بطلان الاحتمال الثاني يثبت الاحتمال الأول وهو المطلوب.

وبناءً على ما تقدم يثبت وجوب وجود الإمام المراد معرفته، وأنه غير هؤلاء الحكام المعروفين لدى الجميع، وأن وجوب معرفة الإمام لا يتعلق بهم، فلا بد أن يكون الإمام غيرهم، وأنه موجود في كل وقت، ولا تخلو الأرض منه مطلقاً. وهذا ما نذهب إليه نحن الشيعة الإمامية ونؤيده بجملة من الروايات الصحيحة السند المروية في كتبنا الروائية.

ثم إذا علمنا بأن التكليف لا يسقط بأي حال من الأحوال، وأن المكلف ملزم بأداء تكاليفه، وأنه يحتاج إلى من يرشده لأدائها، أو يمكنه من إنجازها فيما إذا التبس الأمر عليه، إذا علمنا ذلك وجب الإقرار بوجوده في كل وقت، وأن الأرض لا تخلو منه سواءً كان ظاهراً كما كان الحال في زمن الخلافة الأموية والعباسية، أو غائباً منذ أواخر العصر العباسي إلى الوقت الحاضر.

وبذا قد ثبت وجوب وجود الإمام، وبقاء التكليف[١].

ومن هذه الروايات التي تشير إلى عدم خلو الأرض منه: ما رواه الصدوق عن محمد بن الحسن (رحمه الله) قال: حدثنا سعد بن عبدالله، وعبدالله بن جعفر جميعاً، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن حمزة بن حمران، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة، ولو ذهب أحدهما بقي الحجة[٢].

ـ وروى محمد بن يعقوب الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن ابن الطيار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة[٣].

ـ محمد بن يحيى عمن ذكره، عن الحسن بن موسى الخطاب، عن جعفر بن محمد، عن كرام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام، وقال: إن آخر من يموت الإمام لئلا يحتج أحد على الله عزّ وجلّ أنه تركه

(١) الغيبة للطوسي: ٣ ـ ٤.
(٢) كمال الدين ١: ٢٣٣.
(٣) الكافي ١: ١٣٧.

بغير حجة الله عليه[1].

ـ أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن النهدي، عن أبيه، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: لو لم يكن في الأرض إلاّ اثنان لكان الإمام أحدهما[2].

ـ حدثنا عبد الواحد بن عبدالله، قال: حدثنا محمد بن جعفر القرشي، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أبي الخطاب، قال: حدثنا محمد بن سنان، عن أبي عمارة حمزة الطيار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان الثاني منهما حجة[3].

ـ عنه ـ أي أبي المفضل ـ قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام، قال: حدثنا عبدالله بن جعفر، عن محمد بن أحمد، عن يحيى، عن محمد بن ابراهيم، عن زيد الشحام، عن عمه داود بن علا، عن أبي حمزة، عن بعضهم عليهم السلام أنه، قال: ما خلت الدنيا منذ خلق الله السماوات والأرض من إمام عادل إلى أن تقوم الساعة حجة لله فيها على خلقه[4].

ـ الصحيفة السجادية: اللّهم إنك أيّدت دينك في كل أوان بإمام أقمته على عبادك، ومناراً في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أمره، والانتهاء (والوقوف خ ل) عند نهيه، وأن لا يتقدمه متقدم، ولا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين (الدعاء)[5].

ـ إثبات الهداة: وروى الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج بإسناده يأتي في النصوص على أمير المؤمنين عليه السلام، عن علقمة بن محمد، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام ـ في حديث طويل ـ: إن الله أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله أني لم أقبض نبياً من أنبيائي

---

(١) الكافي ١:١٣٨.
(٢) الكافي ١:١٣٨.
(٣) غيبة النعماني: ٦٩.
(٤) دلائل الإمامة: ٢٢٩.
(٥) شرح الصحيفة السجادية: ٥٤٤.

ولا رسولاً من رسلي، إلا بعد إكمال ديني، وكشف حجتي، وقد بقيت عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج أن تبلّغهما قومك، فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، وأني لم أخل أرضي من حجة، ولن أخليها أبداً، إلى أن قال: فإني لم أقبض نبياً من الأنبياء إلا من بعد إكمال حجتي وديني، وإتمام نعمتي بولاية أوليائي، ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدي وديني، وإتمام نعمتي على خلقي، باتباع وليّي وطاعته، وذلك أني لم أترك أرضي بغير ولي ولا قيّم ليكون حجة لي على خلقي[1].

ـ حدثنا محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان، عن فضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت في علي سنة ألف نبي، وقال: إنّ العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه، وإنّ العلم ليتوارث أنّ الأرض لا تبقى بغير عالم[2].

ـ تفسير العياشي: وعن عمّار الساباطي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تترك الأرض بغير إمام يحل حلال الله، ويحرّم حرام الله، وهو قول الله تعالى: ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾ ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية(الحديث)[3].

ـ الاحتجاج: وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليه السلام ـ في حديث ـ قال: ولم تخل الأرض منذُ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله[4].

ـ مناقب ابن شهراشوب: عن النبي صلى الله عليه وآله في كل خلف من أمتي عدل من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[5].

---

(١) إثبات الهداة: ١٣٣.
(٢) بصائر الدرجات: ١١٤.
(٣) تفسير العياشي ٢: ٣٠٣.
(٤) الاحتجاج ٢: ٤٨.
(٥) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٤٥.

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي اختيرت من بين مائة وسبعة أخبار تتعلق بهذا الموضوع.

وخلاصة ما جاء في هذه النصوص وآراء العلماء حول الإمام هي: أن الإمام يلزم أن يكون عادلاً، معصوماً، عالماً، مجاهداً، عابداً، زاهداً، ورعاً، كيّساً، فطناً، تقيّاً، ليقوم مقام الرسول في إقامة الدين بنشر تعاليمه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وإجراء الأحكام، يحل حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويجاهد في سبيل الله، وينفي عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين..

إن هذه الأوصاف لم تنطبق على أحد عدا علي والأئمة من أبنائه عليهم السلام، وآخرهم الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام.

وسنذكر فيما يأتي عددهم كما جاء في كتب العامة وهم اثنا عشر خليفة، ونناقش آراء العلماء في العدد، ومن ثم نذكر أسماءهم كما نصَّ عليها الرسول الأكرم في جملة من الروايات الصحيحة المتواترة الواردة في كتب الحديث الخاصة، وسترى عزيزي القارئ الكريم مدى انطباق تلك الأوصاف عليهم عليهم السلام.

الدليل الخامس: حديث الأئمة الاثني عشر

«يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، كلهم من قريش»:

- روى البخاري في صحيحه بسنده عن شعبة، عن عبد الملك، قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال: كلهم من قريش[1].

- وروى مسلم في صحيحه بسنده عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن

(١) صحيح البخاري ٩:١٠١، مسند أحمد: ٥/ ٩٠ و٩٢ رواه بطريقين.

سمرة يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش[1].

ـ وروى أيضاً في كتاب الإمارة في باب الناس تبع لقريش، روى بسندين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال ثم تكلم بكلام خفي علي، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: قال: كلهم من قريش[2].

ـ وفيه أيضاً: روى بسندين عن عامر بن سعد، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ ـ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي ـ يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، الحديث[3].

ـ صحيح الترمذي: روى بسندين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر أميراً، قال: تكلم بشيء لم أفهمه فسألت الذي يليني فقال: قال: كلهم من قريش. رواه أحمد في مسنده، وكذا ابن حجر في صواعقه[4].

ـ مسند أحمد: روى عن جابر بن سمرة، فقال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش (الحديث)[5].

ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ أو قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (الحديث).

ورواه أبو نعيم أيضاً في حليته، والمتقي في كنز العمال[6].

---

(١) صحيح مسلم ١٢: ٢٠٢ ط/ بيروت ـ دار الكتب العلمية.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب الناس تبع لقريش.
(٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب الناس تبع لقريش، ورواه أحمد في مسنده ٥: ٨٩.
(٤) صحيح الترمذي ٢: ٣٥، مسند أحمد ٥: ٩٢ و٩٤ و٩٩ و١٠٨، الصواعق: ١١٣
(٥) مسند أحمد ٥: ٨٦.
(٦) مسند أحمد ٥: ٩٢، حلية الأولياء ٤: ٣٣٣، كنز العمال ٦: ٦٠.

ـ مستدرك الصحيحين: روى بسنده عن مسروق قال: كنا جلوساً ليلة عند عبد الله يقرئنا القرآن فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟

فقال عبد الله: ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه فقال: اثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل.

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده بطريقين، وذكره الهيثمي في مجمعه، والمتقي في كنز العمال، وفيض القدير في الشرح وغيرهم[1].

ـ مسند الإمام أحمد: روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة[2].

ـ المتقي في كنز العمال: ولفظه: يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة قيماً لا يضرهم من خذلهم، كلهم من قريش.

ورواه الهيثمي في مجمعه وقال: لا يضرهم عداوة من عاداهم، فالتفت خلفي فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فأثبتوا لي الحديث كما سمعت، قال: رواه الطبراني[3].

مناقشة الحديث وطرح آراء العلماء فيه

الغرض من مناقشة الحديث المذكور هو معرفة الاثني عشر من الأئمة والخلفاء من هم؟ وهل هذا العدد الذي ذكره الرسول ﷺ ينطبق على غير الأئمة الأطهار من أهل بيته، كالخلفاء الأمويين والعباسيين أم لا؟

وقبل الشروع بمناقشته نذكر آراء العلماء العامة والخاصة حول هذا

---

(١) مستدرك الصحيحين ٤:٥٠١، مسند أحمد ١:٣٨٩ و٤٠٦، مجمع الزوائد ٥:١٩٠، كنز العمال ٣:٢٠٥ وفيه: أن عدة الخلفاء بعدي عدد نقباء موسى، فيض القدير ٢:٤٥٨.

(٢) مسند أحمد ٥:١٠٦.

(٣) كنز العمال ٦:٢٠١، مجمع الزوائد ٥:١٩٠.

الموضوع، لأجل الإحاطة به من جميع جوانبه، والتوصل إلى معرفة النتيجة الموضوعية المنطقية التي تنسجم مع ما توصلنا إليه من نتائج مقنعة تثبت وجود الإمام في كل زمان إلى قيام الساعة، ووجوب معرفته من قبل المكلفين.

ولخَّص ابن أبي الحديد، آراء الفرق المختلفة في كون الأئمة من قريش، بقوله: اختلف الناس في اشتراط النسب في الإمامة، فقال قوم من قدماء أصحابنا: إن النسب ليس بشرط فيها أصلاً وأنها تصلح في القرشي وغير القرشي، إذا كان فاضلاً مستجمعاً للشرائط المعتبرة، واجتمعت الكلمة عليه، وهو قول الخوارج.

وقال أكثر أصحابنا (المعتزلة) وأكثر الناس: إن النسب شرط فيها، وإنها لا تصلح إلا في العرب خاصة، ومن العرب في قريش خاصة، وقال أكثر أصحابنا: معنى قول النبي ﷺ «الأئمة من قريش» أن القرشية شرط، إذا وجد في قريش من يصلح للإمامة، فإن لم يكن فيها من يصلح، فليست القرشية شرطاً فيها.

وقال بعض أصحابنا: معنى الخبر أنه لا تخلو قريش أبداً ممن يصلح للإمامة فأوصوا بهذا الخبر من يصلح من قريش لها في كل عصر وزمان.

وقال معظم الزيدية: إنها في الفاطميين خاصة من الطالبيين، لا تصلح في غير البطنين (أبناء الحسن والحسين)، ولا تصلح إلا بشرط أن يقوم بها، ويدعو إليها فاضل زاهد عالم، شجاع سائس، ومعظم الزيدية يجيز الإمامة في غير الفاطميين من ولد علي عليه السلام، وهو من أقوالهم الشاذة.

وأما الراوندية: فقد خصصوها للعباس وولده، من بين بطون قريش كلها، وهذا القول ظهر في أيام المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥م).

وأما الإمامية فقد جعلوها سارية في ولد مولانا الإمام الحسين بن علي عليه السلام في أشخاص مخصوصين، ولا تصلح عندهم لغيرهم.

وجعلها الكيسانية[١] في محمد بن الحنفية[٢] وولده، ومنهم من نقلها منه

---

(١) راجع الفرق بين الفرق: ٣٨ ـ ٥١، مروج الذهب ٣:٨٧، مقالات الإسلاميين ١:٨٩، التنبيه لأبي الحسين الملطي: ٢٩ و ١٤٨ و١٥٢، الملل والنحل للشهرستاني ١:١٤٧.

(٢) محمد بن الحنفية: هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة من بني حنيفة، قيل: كانت من سبي =

إلى ولد غيره[1].

ـ في شرح العقيدة الطحاوية: وكان الأمر كما قال النبي ﷺ: الخلفاء الراشدون الأربعة ومعاوية وابنه يزيد وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال، وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً منغّصاً، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون وأهل الحق أذل من اليهود، وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر[2].

ـ وجاء في هامش مختصر سنن أبي داود: وأما الخلفاء الاثنا عشر فلم يقل في خلافتهم: إنها خلافة نبوة، ولكن أطلق عليهم اسم الخلفاء، وهو مشترك، واختص الأئمة الراشدون منهم بخصيصة في الخلافة. وهي خلافة النبوة وهي المقدرة بثلاثين سنة: خلافة الصديق: سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وخلافة عمر بن الخطاب: عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال، وخلافة عثمان: اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وخلافة علي: خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يوماً. وقتل علي: سنة أربعين، فهذه خلافة النبوة ثلاثون سنة.

= اليمامة، وصارت إلى الإمام علي، وقيل: كنت سبية سوداء، وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم، وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق، ولم يصالحهم على أنفسهم.
وأما كنية أبي القاسم فيقال إنها رخصة من رسول الله ﷺ، وإنه قال للإمام علي: سيولد لك بعدي غلام، وقد نحلته اسمي وكنيتي، ولا تحل لأحد من أمتي بعده، وكان ابن الحنفية عالماً فاضلاً شجاعاً، وكان شديد القوة، وقد حكى المبرد في الكامل قصصاً كثيرة عن قوته، وكانت راية أبيه معه يوم صفين، وكان بينه وبين ابن الزبير عداء، وقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (أي ٢١هـ ـ ٦٤٢م)، وتوفي عام ٨١هـ أو ٨٢هـ، بل قيل: ٧٢هـ أو ٧٣هـ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان، والي المدينة يومئذ، ودفن بالبقيع، وقيل: إنه خرج إلى الطائف هرباً من ابن الزبير، ومات هناك.
وقيل: مات ببلاد أيلة (وفيات الأعيان ٤:١٧٣، تهذيب التهذيب ٩:٣٥٤، العبر ١:٩٣، أنساب الأشراف ٥:٢١٤، ٢٦٠ ـ ٢٧٣، حلية الأولياء ٣:١٧٤ ـ ١٨٠، صفة الصفوة ٢:٤٢، شذرات الذهب ١:٨٨ ـ ٩٠، طبقات الشيرازي: ٦٣، الكامل للمبرد ٢:١١٤، و٣:٢٦٦.

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٨٦.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ٥٥٢ ـ ٥٥٣.

وأما الخلفاء: اثنا عشر: فقد قال جماعة ـ منهم: أبو حاتم بن حبان وغيره ـ إن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربعة، ثم معاوية، ثم يزيد ابنه، ثم معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم عبد الملك ابنه، ثم الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز. وكانت وفاته على رأس المائة. وهي القرن المفضل الذي هو خير القرون، وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة. ثم وقع ما وقع.

والدليل على أن النبي ﷺ إنما أوقع عليهم اسم الخلافة بمعنى الملك في غير خلافة النبوة: قوله في الحديث الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة «سيكون من بعدي خلفاء يعملون بما يقولون ويفعلون ما يؤمرون، وسيكون من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يقولون، ويفعلون ما لا يؤمرون، من أنكر برئ ومن أمسك سلم...»[1].

ـ ذكر الدكتور محمد بيومي مهران في كتابه (الإمامة وأهل البيت) جملة من الملاحظات على رأي الطحاوية في الأئمة الاثني عشر الذين ورد ذكرهم في الحديث السابق الذكر، فقال: والواقع أن لنا على هذا الاتجاه عدة ملاحظات: منها (أولاً): عهد الإمام الحسن بن علي عليه السلام، مع أن الإمام الطحاوي[2] نفسه يذكره فيقول: وكانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين

---

(١) مختصر سنن أبي داود: ١٥٦، المهدي عند أهل السنة (١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) الإمام الطحاوي: هو أبو جعفر بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك... الأزدي الطحاوي ـ نسبة إلى قرية في صعيد مصر ـ الإمام المحدث الفقيه الحافظ، ولد عام ٢٣٩هـ، وتوفي عام ٣٢١هـ، تلقى العلم على خاله إسماعيل بن يحيى المزني، أفقه أصحاب الإمام الشافعي، ثم أخذ ينظر في كتاب الحنفية حتى تحول إلى المذهب الحنفي، وله مصنفات كثيرة أشهرها: العقيدة الطحاوية، ومشكل الآثار، وأحكام القرآن، والمختصر، وشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وكتاب الشروط والنوادر الفقهية والرد على أبي عبيد، والرد على عيسى بن أبان وغيرها.

انظر عن ترجمته: شذرات الذهب ٢: ٢٨٨، وفيات الأعيان ١: ٧١ ـ ٧٢، العبر ٢: ١٨٦، النجوم الزاهرة ٣: ٢٣٩، غاية النهاية ١: ١١٦، تهذيب ابن عساكر ٢: ٥٤، المنتظم ٦: ٢٥٠، الجواهر المضية ١: ١٠٢، مقدمة شرح العقيدة الطحاوية: ٩ ـ ١١. وانظر الإمامة وأهل البيت ٢: ٥٦ ـ ٥٧ الهامش.

ونيّفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وعلي أربع سنوات وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر، وأول ملوك المسلمين معاوية (رضي الله عنه)، وهو خير ملوك المسلمين، لكنه إنما صار إماماً حقاً، لما فوّض إليه الحسن بن علي (رضي الله عنه) الخلافة، فإن الحسن (رضي الله عنه)، بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر فوض الأمر إلى معاوية[1]، فظهر صدق قول النبي ﷺ: إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[2].

ومنها (ثانياً) أنه بدأ ملوك بني أمية بمعاوية وولده يزيد، ثم تجاهل معاوية الثاني (٦٤هـ/ ٦٨٣م) آخر ملوك السفيانيين من بني أمية، ثم تجاهل كذلك «مروان بن الحكم» (٦٤ ـ ٦٥هـ/ ٦٨٣ ـ ٦٨٥م) وهو الذي نقل الخلافة من السفيانيين إلى المروانيين، وهم فرع آخر من بني أمية.

ومنها (ثالثاً): أنه وقف عند (عمر بن عبد العزيز) ـ وهو ليس الخليفة رقم ١٢ بعد النبي ﷺ ـ وإما لشهرة عمر بن عبد العزيز بالورع والتقى، وإما ليكمل العدد ١٢، فدولة أمية لم تنته بعمر بن عبد العزيز، وإنما استمرت بعده، كما كانت قبله.

ومنها (رابعاً): أن دولة بني أمية (معاوية ـ يزيد ـ معاوية الثاني ـ مروان ـ عبد الملك ـ الوليد ـ سليمان ـ عمر بن عبد العزيز ـ يزيد الثاني ـ هشام ـ الوليد الثاني ـ يزيد الثالث ـ إبراهيم ـ مروان الثاني) وهي التي أنهت الخلافة الراشدة إنما كانت دولة عربية، أكثر منها إسلامية، كما كانت انتقالاً جديداً في تاريخ الإسلام، وفرصة انتهزتها الجاهلية التي كانت لا تزال بالمرصاد، فعاشت النزعات التي قضى عليها الإسلام، وعادت العصبيات القبلية والنخوة الجاهلية التي نعاها النبي ﷺ في خطبه، وأصبح بيت المال ـ الذي كان على أيام الرسول والخلفاء الراشدين ملكاً للأمة ـ أصبح في عهد بني أمية ملكاً خاصاً للخليفة، خاضعاً لشهواته، وقد حدَّث المؤرخون أن الأخطل (حوالى ٦٤٠هـ/ ٧١٠م) الشاعر النصراني، أصبح

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٥٤٥ ـ ٥٤٦، على أن الأمر المثير للانتباه هنا: يذكر الخلفاء: أبا بكر، وعمر، وعثمان، (دونما أية إشارة) بينما يردف بعد اسم معاوية (رضي الله عنه).

(٢) متفق عليه، من حديث أبي بكر.

يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن، وعليه جبّة خز، وفي عنقه صليب ذهب، ولحيته تنفض خمراً، ثم لا يتورَّع أن يهجو المسلمين من الأنصار... إلى غير ذلك من تصرفات بعيدة عن الإسلام ومبادئه.

ومنها (خامساً): أن ملوك بني أمية الذين رأى الإمام الطحاوي أن الإسلام لم يزل عزيزاً في أيامهم، إنما كانت أفعالهم، كثيراً ما تبعد عن الإسلام ومبادئه، فأول ملوكهم معاوية بن أبي سفيان، وهو الذي سنَّ تلك البدعة الخسيسة، بدعة سبِّ الإمام علي وأهل البيت على منابر المسلمين، وهو صاحب الموبقات الأربع، روى الطبري وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم عن الإمام الحسن البصري أنه قال: أربع خصال كنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهنَّ إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها، بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكِّيراً خمِّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وقتله حجراً ويلاً له من حجر مرتين.

وأما ولده يزيد، فيكفي أن نشير إلى قول سعيد بن المسيب: كانت سنوات يزيد شؤماً، في السنة الأولى قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله ﷺ (مذبحة كربلاء)، وفي الثانية: استبيح حرم رسول الله ﷺ، وانتهكت حرمة المدينة[1]، وفي الثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة[2].

وأما مروان بن الحكم ـ رأس البيت المرواني ـ فهو الذي قتل طلحة بن عبيد الله ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ غدراً في موقعة الجمل، ثم هو ابن الحكم لعين رسول الله ﷺ، وقد لعنه النبي، ومروان في صلبه، وروي أن السيدة عائشة قالت لمروان: أشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه فهو فضض (قطعة) من لعنة الله ورسوله[3].

---

(١) قال اليعقوبي في تاريخه ٢: ١٦٥، وأباح حرم رسول الله، حتى ولدت الأبكار لا يُعرف من أولادهنّ، ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية.

(٢) أسد الغابة ٢: ٣٧ ـ ٣٨، الاستيعاب ١: ٣١٧ ـ ٣١٩، الإصابة ١: ٣٤٥ ـ ٣٤٦، البداية والنهاية ٨: ٢٨٠، الطبقات الكبرى ٥: ٢٤ ـ ٢٦.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢١٨ ـ ٢١٩ ط ـ القاهرة سنة ١٩٦٤، الذهب المسبوك: ٣٩، طبقات =

وأما عبد الملك بن مروان فقد كان طاغية جباراً، لا يبالي بما يصنع، وهو القائل ـ بعد أن ولي الخلافة ـ وكان يقرأ في مصحف: هذا فراق بيني وبينك، وقيل إنه قال: هذا آخر العهد بك، ثم هو الذي خطب في الناس فقال: لا يأمرني أحد بتقوى الله، بعد مقامي هذا، إلا ضربت عنقه، ثم هو القائل: لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف، وهو القائل: وإني لست بالخليفة المستضعف (يعني عثمان)، ولا الخليفة المداهن (يعني معاوية)، ولا الخليفة المأمون (يعني يزيد بن معاوية). وفي عهده ظهر الحجَّاج الثقفي لينشر الخراب والقتل في كل مكان باسم الأمويين[1]، وعبد الملك هذا ـ كما يقول السيوطي ـ أول من غدر في الإسلام، وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف[2].

وأما الوليد فكان فاجراً ماجناً فاسقاً، حتى اشتهر بلقب (خليع بني أمية) بسبب ولعه بالنساء وحتى اتهم باتصاله الجنسي بأمهات أولاد أبيه، وحتى أن رأسه ـ بعد أن طيف به على رمح في دمشق ـ دفع إلى أخيه سليمان، فلما نظر إليه قال: بعداً له، أشهد أنه كان شروباً للخمر، ماجناً فاسقاً، ولقد راودني عن نفسي الفاسق[3].

ولعل أول من شرب المسكر من الخلفاء، إنما هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقد روي أنه كان لا يمسي إلا سكران، ولا يصبح إلا مخموراً، فقيل له «يزيد الخمور»، وكان عبد الملك بن مروان يشرب في كل شهر مرة، حتى لا يعقل: أفي السماء أو في الماء؟

وكان يقول: إنما أقصد من هذا إلى إشراق العقل، وتقوية منّة الحفظ، وتصفية موضع الفكر، غير أنه إذا بلغ آخر الشراب ـ أو السكر ـ أفرغ ما كان في بدنه حتى لا يبقى في أعضائه منه شيء، وأما ولده الوليد بن عبد الملك فكان ـ فيما رووا ـ يشرب يوماً، ويدع يوماً، واعتاد هشام بن عبد الملك الشرب يوم

= ابن سعد ٥: ١٧٦ ـ ١٧٧، الكامل في التاريخ ٤: ٢٩٧ ـ ٣٠٣.

(١) الإمام زين العابدين: ١٢٣ لكاتبه الدكتور محمد بيومي.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٠٣.

(٣) الكامل في التاريخ ٥: ٢٨٠ ـ ٢٨٨.

الجمُعة بعد الصلاة[١].

وأما الوليد الثاني فقد بز الجميع في الشراب والتهتك، وقد حكي أنه اتخذ بركة في قصره، فكان يملؤها خمراً، ثم ينزع ثيابه ويغتسل فيها، ويشرب منها، ويظل كذلك حتى يظهر النقص في البركة، وكان يقضي معظم أيامه في قصوره في البادية، في قريتين تقعان في منتصف الطريق بين دمشق وتدمر[٢]، وقد أورد صاحب الأغاني خبراً يصوِّر مجلساً من مجالس شربه، رواه شاهد عيان، ووصف فيه ما كان يمارسه هذا الخليفة من التهتك والمجون[٣].

ولم يكتف ملوك بني أمية بالشراب، بل استهواهم الغناء والموسيقى وبعض ضروب الرقص، فإذا كان الخليفة ممن لا يريد أن يشهر عنه ذلك، جعل ستارة بينه وبين الندماء، ولم يكن الوليد الثاني ممن يتحاشى الرفث والمجون.

وكان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أول من سنّ الملاهي، واستجلب المغنين إلى الشام، وكان شاعراً، فجعل يقيم الحفلات الكبرى في بلاطه، ومن ثم فقد أصبح الغناء والشراب صنوين متآلفين في تاريخ الدولة الإسلامية، وقد شمل عبد الملك بن مروان برعايته «ابن مسجح» من مغنّي الحجاز، واستقدم ولده الوليد «ابن سريج» و«معبداً» إلى دمشق، واحتفى بهما، ثم أعاد الوليد الثاني الشعر والموسيقى الى البلاط، بعد أن حال دونهما الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

هذا وقد شاع الغناء في عهد ملوك بني أمية شيوعاً عظيماً، وعظم الشغف به في حواضر الدولة الإسلامية، حتى يزور مغن مثل «حنين» ـ الحيري النصراني، وكان يعيش في العراق ـ يزور المدينة، ويجتمع الناس في أحد منازل المدينة، ويزدحمون على السطح ويكثرون ليسمعوه، فيسقط الرواق على من تحته، ويموت المغني «حنين» (حوالى عام ٧٢٠م) ـ على أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ/ ٧٢٠ ـ ٧٢٤م)[٤] تحت الهدم.

---

(١) التاج في أخلاق الملوك: ١٦٥، تاريخ العرب: ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٢) نفس المرجع السابق: ٢٩٥.

(٣) الأغاني ٢: ٧٢.

(٤) المرجع السابق: ٣٦، الأغاني ٢: ١٢٧، المرجع السابق: ٣٤٣ ـ ٣٤٨، أحمد أمين: فجر الإسلام: ١٧٦.

ويقول الدكتور أحمد أمين: واجتمع في زمن واحد من مشاهير المغنين والمغنيات في الحجاز: جميلة، وهيت، وطويس (٦٣٢ ـ ٧١٥م) والدّلالا، والفؤال، ونومة الضحى، وهبة، ومعبد (ت ٧٤٣م) ومالك، وابن عائشة، ونافع ابن طنبورة، وعزة الميلاء، وحبابة، وسلامة، وبليلة ، ولذة العيش، وسعيدة والزرقاء... الخ، ويروون أن هؤلاء حجّوا فتلقاهم في مكة سعيد بن مسجح (ت ٧١٤م)، وابن سريج (٦٣٤ ـ ٧٢٦م) والغريض ـ واسمه عبد الملك ـ وابن محرز (ت ٧١٥م)، وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون الى حسن هيئتهم[(١)].

هذا وقد اشتهر (يزيد بن عبد الملك) باللهو والخلاعة، والتشبيب بالنساء، كما كان يبالغ في المجون بحضرة الندماء، كما سوّى بين الطبقة العليا والسفلى، وأذن للندماء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه، فلم يتورعوا عن الردّ عليه، وحذا حذوه ولده الوليد[(٢)].

هذه بعض معالم الفساد التي كانت تنخر في كيان الدولة الأموية وتثبت بالدليل القاطع أنها غير إسلامية، وأن حاكمها لا يمكن أن يكون خليفة لرسول الله ﷺ، لأنه كان من المفسدين في الأرض بالإضافة إلى مخالفاته الصريحة لكتاب الله والسنة، وهذه بعض النماذج التي تشير لذلك.

وأما المخالفات للكتاب والسنة فهي كثيرة لا يمكن حصرها، ولذا سنذكر بعضها.

فأول من غيّر وبدّل السنن وخالف الكتاب والسنة معاوية بن أبي سفيان إذ استثمر دم عثمان وقميصه لتأليب الناس على إمام زمانه وخليفة عصره الذي حظي بإجماع الأمة، فكان ناتج فعله وتشجيعه للناكثين حصول واقعة الجمل التي راح ضحيتها خلق كثير، فهو أول من أرسى دعائم الفتنة وتسبب في إحداث الحروب الداخلية المتتالية التي لا يحصي ضحاياها إلا الله.

وكان أول من شقَّ عصا الطاعة وتمرّد على الحاكم الشرعي خليفة رسول

---

(١) فجر الإسلام: ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي ١: ٣٣١ ـ ٣٣٥، الإمامة وأهل البيت ٢: ٥٦ ـ ٦٢.

الله ﷺ، وقاد الجيوش لحربه فكانت واقعة صفّين وما تلاها من وقائع أخرى لا تعدُّ ولا تحصى[1].

وأول من داهن وساوم وأرشى وجمع من حوله المارقين أمثال عمرو بن العاص الذي أقرّ بنفسه بأن خروجه على علي بن أبي طالب مفسدة لآخرته، وخير لدنياه[2].

وكان معاوية أول من استخفَّ بكتاب الله وحمله على الرماح كي يخدع الناس به عندما أيقن بالهزيمة والفشل في صفين، ثم مارس الخداع والتضليل في التحكيم[3]، كل ذلك من أجل استحواذه على الحكم وإشباع شهواته السلطوية، وغرائزه الحيوانية حتى إذا كان ذلك على حساب الأمة، وفناء الدين، وإجراء بحر من دماء المسلمين.

ثم صالحه الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على أن يكون الخليفة من بعده، لكنه نقض عهده ووضع العهود والمواثيق تحت رجليه، كما صرَّح بذلك وهو على منبر الكوفة.

وكان معاوية أول من ردَّ السنة في قضية نسب زياد ابن أبيه، أو زياد بن عبيد، بأبي سفيان، قال ابن الأثير: أول ما ردّت أحكام الشريعة علانية، فإن رسول الله ﷺ قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضى معاوية بغيره[4].

وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن مخالفات معاوية للسنة: قال المغيرة عن الشعبي: أول من خطب جالساً معاوية، حين كثر شحمه، وعظم بطنه، وقال قتادة عن سعيد بن المسيب: أول من أذَّن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية، وقال الإمام أبو جعفر الباقر: كانت أبواب مكة لا أغلاق لها، وأول من اتخذ لها

---

(١) وقعة صفين: ٣٢.

(٢) وقعة صفين: ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) وقعة صفين: ٤٧٨.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٢١٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٨ ـ ٢١٩، الكامل في التاريخ ٣: ٤٤١ ـ ٤٤٥، العقد الفريد ٥: ٢٦٦، مروج الذهب ٢: ٥ ـ ٨، الاستيعاب ١: ٥٧٠ ـ ٥٧١، الإمام علي(ع) للدكتور بيومي ج ١: ٢٣٥، صحيح البخاري ٨: ١٩٤.

الأبواب معاوية، وقال أبو اليمان عن شعيب عن الزهري: مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر، وأول من ورّث المسلم من الكافر معاوية، وقضى بذلك بنو أمية بعده، وبه قال الزهري، ومضت السنّة أن دية المعاهد كدية المسلم، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف، وأخذ النصف لنفسه[1].

وذكر بعض المؤرخين أن معاوية قد أخرج المنابر إلى المصلِّين في العيدين، وأنه خطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس كانوا ـ إذا صلّوا ـ انصرفوا لئلا يسمعوا لعن الإمام علي بن أبي طالب (والعياذ بالله) فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب (فدكاً) لمروان بن الحكم، ليغيظ بذلك آل رسول الله ﷺ[2].

على أن أهل السنة إنما ينسبون ذلك الى مروان بن الحكم ـ رأس البيت المرواني ـ روى البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ، كان يصلي في الأضحى والفطر، ثم يخطب[3]، وعن ابن عباس قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم)، فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة[4].

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عطاء: أن ابن عباس أرسل إلى ابن الزبير ـ أول ما بويع له ـ أنه لم يكن يؤذَّن للصلاة يوم الفطر، فلا تؤذن لها، فلم يؤذن لها ابن الزبير يومه، وأرسل إليه مع ذلك، إنما الخطبة بعد الصلاة، وأن ذلك قد كان يفعل، قال: فصلّى ابن الزبير قبل الخطبة.

وعن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ، كان يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر، فيبدأ بالصلاة، فإذا صلى صلاته وسلّم، قام فأقبل على الناس، وهم جلوس في مصلاهم، فإن كان له حاجة يبعث ذكره للناس، أو كانت له حاجة بغير ذلك، أمرهم بها وكان يقول: تصدقوا تصدقوا تصدقوا، وكان أكثر من يتصدق النساء، فلم يزل كذلك، حتى كان مروان بن الحكم، فخرجت مخاصراً مروان،

---

(١) البداية والنهاية ٨: ١٥٠ ـ ١٥١، صحيح البخاري ٨: ١٩٤.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٣.
(٣) صحيح البخاري ٢: ٢٢.
(٤) صحيح البخاري ٢: ٢٣.

حتى أتينا المصلى، فإذا كثير بن الصلت قد بنى منبراً من طين، فإذا مروان ينازعني يده، كأنه يجرني نحو المنبر، وأنا أجره نحو الصلاة، فلما رأيت ذلك منه قلت: أين الابتداء بالصلاة؟ فقال: لا، يا أبا سعيد قد تُرك ما تعلم، قلت: كلا، والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم، ثلاث مرات ثم انصرف[1].

وفي الموطأ عن مالك، عن ابن شهاب: أن رسول الله ﷺ كان يصلي يوم الفطر ويوم الأضحى قبل الخطبة[2]، وعن مالك: أنه بلغه أن أبا بكر وعمر كانا يفعلان ذلك[3].

وقال أبو عبيد: ثم شهدت العيد مع عثمان بن عفان، فجاء فصلى، ثم انصرف فخطب، وقال: إنه قد اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان، فمن أحب من أهل العالية أن ينتظر الجمعة، فلينتظرها، ومن أحب أن يرجع فقد أذنت له[4].

وقال أبو عبيد: ثم شهدت العيد مع علي بن أبي طالب عليه السلام و(عثمان محصور) فجاء فصلى، ثم انصرف فخطب[5].

وروى الإمام الشافعي في «الأم» بسنده عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر: أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، كانوا يصلون في العيدين قبل الخطبة[6]، وعن ابن عمر: أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان يصلون في العيدين قبل الخطبة[7].

وعن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أن أبا سعيد قد أرسل إلى مروان، وإلى رجل قد سمَّاه، فمشى بنا حتى أتى المصلى، فذهب ليصعد فجذبته إليّ، فقال: يا أبا سعيد تُرك الذي تعلم، قال أبو سعيد: فهتفت ثلاث مرات، فقلت: والله لا تأتون إلا شراً منه[8].

---

(١) صحيح مسلم ٦: ١٧٦.
(٢) صحيح مسلم ٦: ١٧٧ ـ ١٧٨، وفاء الوفاء ٣: ٧٨٧ ـ ٧٨٩.
(٣) الموطأ: ١٢٧ (كتاب الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠).
(٤) الموطأ: ١٢٨.
(٥) الموطأ: ١٢٨.
(٦) الأم ١: ٢٠٨ (كتاب الشعب ـ القاهرة ١٩٦٩).
(٧) الأم ١: ٢٠٨.
(٨) الأم ١: ٢٠٨.

وعن عبد الله بن يزيد الخطمي: أن النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يبتدئون الصلاة قبل الخطبة، حتى قدم معاوية (ابن أبي سفيان) فقدَّم الخطبة[1].

وفي نهج البلاغة عن عمرو بن علي بن الحسين، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا (أي عثمان بن عفان) من صاحبكم (أي الإمام علي بن أبي طالب) قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر، إلا بذلك[2].

ـ وعن ابن أبي سيف: خطب مروان ـ والحسن عليه السلام جالس ـ فقال من علي عليه السلام، فقال الحسن: ويلك يا مروان! أهذا الذي تشتم شرُّ الناس! قال: لا، ولكنه خير الناس[3].

ـ وعن أبي سعيد قال: كان النبي ﷺ، يخرج الفطر والأضحى إلى المصلَّى (وكان خارج المسجد على مبعدة ألفي ذراع)، وأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس ـ والناس جلوس على صفوفهم ـ فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، وإن كان يريد أن يقطع بعثاً، أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف، قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك، حتى خرجت مع مروان، وهو أمير المدينة (في عهد معاوية) في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلَّى، إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه، فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيّرتم والله، فقال: أبا سعيد، قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلها قبل الصلاة (متفق عليه)[4].

ـ وعن عبد الله بن السائب قال: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد، فلما قضى الصلاة، قال: إنَّا نخطب، فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن

---

(١) الأم ١: ٢٠٨، الكامل في التاريخ ٤: ١٩٤، البداية والنهاية ٨: ٢٧٨.
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٠.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٠ ـ ٢٢١.
(٤) فقه السنة ١: ٢٧١ ط ـ بيروت ـ ١٩٧٧.

أحب أن يذهب فليذهب[1].

ـ وروى أبو داود في سننه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: أخرج مروان المنبر في يوم عيد، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل فقال: يا مروان، خالفت السنة، أخرجت المنبر في يوم عيد، ولم يكن يخرج فيه، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، فقال أبو سعيد: من هذا؟ فقالوا: فلان بن فلان، قال: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكراً، فاستطاع أن يغيّره بيده، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[2].

هذا وقد قالت الإمامية: تجب الخطبتان في العيدين، تماماً كما في الجمعة، وقالت بقية المذاهب بالاستحباب، واتفق الجميع على أن مكانها بعد الصلاة، بخلاف خطبتي الجمعة، فإنهما قبلها[3].

وقالت السنة: يسنّ للإمام أن يخطب بعد صلاة العيد خطبتين، يعلم الناس فيها أحكام زكاة الفطر في عيد الفطر، وأحكام الأضحية، وتكبير الإشراق في عيد الأضحى.

وخطبتا العيدين كخطبتي الجمعة في الأركان والشروط والسنن والمكروهات، إلا في أمور: منها أن خطبتي الجمعة يشترط فيهما أن يكونا قبل الصلاة، بخلاف خطبتي العيد، فإنه يشترط فيهما تأخيرهما عن الصلاة، فإن قدمهما لا يعتد بهما، ويندب إعادتهما بعد الصلاة.

هذا وكان الوليد بن يزيد يستخف بالصلاة ـ عماد الدين ـ وسخر من أهلها، روى الفقيه ابن عبد ربه عن إسحاق بن محمد الأزرق قال: دخلت على المنصور ابن جمهور الكلبي ـ بعد قتل الوليد بن يزيد ـ وعنده جاريتان من جواري الوليد، فقال: اسمع من هاتين الجاريتين ما تقولان؟ قالتا: قد حدثناك، قال: بل حدثاه كما حدثتماني، قالت إحداهن: كنا أعز جوارٍ عنده، فنكح هذه، فجاء المؤذنون

---

(١) فقه السنة ١: ٢٧.

(٢) سنن أبي داود ١: ١٦٠ ـ ١٦١.

(٣) الفقه على المذاهب الخمسة ١: ١٢٣ ط ـ بيروت ١٩٨٤.

يؤذنونه بالصلاة، وأخرجها، وهي سكرى متلعثمة، فصلّت بالناس[1].

ولم يكتف هذا الوليد ـ الذي كتب على المسلمين أن يكون إمامهم ـ بمجونه هذا، واستهتاره بالصلاة، وبالمسلمين، وإنما زاد في فسوقه، حتى اعتدى على المصحف الشريف، وروي أنه قرأ ذات يوم، قول الله تعالى: ﴿**واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * ومن ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد**﴾[2]، فدعا بالمصحف، فنصبه غرضاً للنشاب، وأقبل يرميه، وهو يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فهأنذا جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا ربّ خرقني الوليد

وأذّن يوماً المؤذن ـ وقد أخذ منه السكر ـ فقال لمغنية: غنيني في ديني واعتقادي وقال:

تذكرني الحساب ولست تدري أحقاً ما تقول من الحساب
فقل للرب يمنعني طعاماً وقل للرب يمنعني شرابي[3]

ويقول محمد بن يزيد المبرد النحوي في كتابه الكامل، إن الوليد لحن في شعر له، ذكر فيه النبي ﷺ، وأن الوحي لم يأته عن ربه ـ كذب أخزاه الله ولعنه ـ ومن ذلك قوله:

تلعّب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب[4]

ثم لم ينته الفاجر عند ذلك، وإنما أخذ يفسر القرآن الكريم بهواه، من ذلك، قول الله تعالى: ﴿**والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**﴾.

يزعم الفاجر كذباً: أن المراد هو الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة ـ أخرج البخاري وابن المنذر والطبراني وابن مردويه

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٠٥.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٥ ـ ١٦.
(٣) مروج الذهب ٢: ١٩٩ ـ ٢٠٠، الكامل ٥: ٢٩٠، الأغاني ٦: ١٢٥، سير الملوك والخلفاء والسلاطين: ٧٩.
(٤) سير الملوك والخلفاء والسلاطين: ٧٩، مروج الذهب ٢: ٢٠٠.

والبيهقي، عن الزهري، أنه قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك بن مروان فقال: الذي تولى كبره منهم علي، فقلت: لا، حدثني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ـ وكلهم سمع عائشة تقول: الذي تولى كبره، عبد الله بن أبيّ.

وقد بيّنت رواية ابن مردويه سبب مقالة الوليد هذه، قال الزهري: كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور مستلقياً، فلما بلغ هذه الآية: ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم...**﴾ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿**والذي تولى كبره**﴾ جلس ثم قال: يا أبا بكر، من تولى كبره منهم؟ أليس علي بن أبي طالب؟ قال: قلت في نفسي: ماذا أقول، لئن قلت لا، لقد خشيت أن ألقى منه شراً، ولئن قلت نعم، لقد جئت بأمر عظيم، قلت في نفسي: لقد عوّدني الله على الصدق خيراً، قلت: لا، قال: فضرب بقضيبه على السرير، ثم قال: فمن، حتى ردد ذلك مراراً، قلت: لكن عبد الله بن أبيّ.

هذا وكان هشام بن عبد الملك يعتقد مثل هذا كأخيه الوليد، فلقد أخرج ابن أبي شيبة في مسنده عن الإمام الشافعي، عن عمه محمد بن علي بن شافع قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان: الذي تولى كبره من هو؟ قال: ابن أبيّ، قال هشام: كذبت، هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري، فقال هشام: يا ابن شهاب، من تولى كبره، قال: ابن أبيّ، قال هشام: كذبت، هو علي، فقال الزهري: أنا أكذب، لا أبا لك، والله لو نادى مناد من السماء، أن الله أحل الكذب، ما كذبت[1].

هذا وقد وصف الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة ـ بني أمية، فقال: والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً، إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلُّوه، وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر، إلا دخله ظلمهم، ونبا به سوء رعيتهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان، باك يبكي لدينه، وباك يبكي لدنياه،

(١) سورة النور، آية: ١١، صحيح البخاري ٣: ٢٢٧ ـ ٢٣١، ٥: ١٤٨ ـ ١٥٥، صحيح مسلم ٨: ١٠٢ ـ ١١٦، مسند أحمد ٦: ٥٩، سنن الترمذي ٥: ١٣، فتح الباري ٧: ٤٣٧، المغازي النبوية: ١١٩، تفسير ابن كثير ٣: ٤٣٦ ـ ٤٣٧، تفسير الطبري ١٨: ٨٩، غزوة بني المصطلق: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم، كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، وحتى يكون أعظم فيها غناء، أحسنكم بالله ظناً[1].

وبعد هذا الاستعراض الموجز لمخازي الأمويين الأخلاقية، ومخالفتهم لكتاب الله، وسنة رسوله، وجرائمهم الوحشية بحق الإسلام والإنسانية، أخذ الدكتور بيومي مهران يتساءل بقوله:

فهل هؤلاء يمكن أن يقارنوا بأهل بيت النبوة، والذين هم ـ كما قال عبد الله ابن عمر بن الخطاب ـ أهل بيت لا يقاس بهم[2]، وقدمهم رسول الله ﷺ في حديث الثقلين، وغيره من الأحاديث الشريفة.

وقال الإمام علي فيهم: هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وهمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير، ووعاته قليل[3].

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله مصابيح الدجى، والعروة الوثقى، وسلّم تسليماً كثيراً[4].

وقال الإمام علي فيهم: فاستودعهم الله في أفضل مستودع، وأقرّهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف، قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد ﷺ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزِّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب فيها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٧٨.
(٢) الرياض النضرة ٢: ٢٧٥.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٣: ٣١٧، محمد عبده، نهج البلاغة: ٢٨٤.
(٤) محمد عبده: نهج البلاغة: ٢٨٤.

سرج لمع ضوءه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته المقصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله الله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم...[1].

وقال الإمام علي: انظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتهلكوا[2].

وقال الإمام علي: ألا إن مثل آل محمد ﷺ كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون[3].

وقال الإمام علي: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى[4].

ثم قال: إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم[5].

ومن ثم فالرأي عندي أن الاثني عشر أميراً ـ أو خليفة ـ إنما هم أئمة أهل البيت النبوي الشريف، وهم سادتنا الكرام البررة: الإمام علي بن أبي طالب ـ الإمام الحسن بن علي ـ الإمام الحسين بن علي ـ الإمام علي زين العابدين ـ الإمام محمد الباقر ـ الإمام جعفر الصادق ـ الإمام موسى الكاظم ـ الإمام الرضا ـ الإمام الجواد ـ الإمام علي الهادي ـ الإمام الحسن العسكري ـ الإمام الحجة محمد المهدي(عج)[6].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٦٢.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٧٦.
(٣) شرح نهج البلاغة ٨: ٨٤.
(٤) شرح نهج البلاغة ٩: ٨٤.
(٥) شرح نهج البلاغة ٩: ٨٤.
(٦) الإمامة وأهل البيت ٢: ٦٢ ـ ٧٢.

وحول هذا الموضوع قال السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في كتابه فضائل الخمسة: أقول: وأخبار الباب المتقدم كما عرفت هي من الأدلة القاطعة والنصوص الجلية الواضحة على حقيقة مذهب الشيعة الاثني عشرية، وعلى بطلان سائر المذاهب طرّاً، وذلك لعدم انطباقها على ما يعتقده العامة من خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة أو الخمسة بانضمام الحسن بن علي عليهما السلام إليهم لكونهم أقل عدداً، أو خلافة من سواهم من بني أمية، أو بني العباس لكونهم أكثر عدداً، مضافاً إلى أن بني أمية وبني العباس أغلبهم من أهل الفسق والفجور قد قضوا أعمارهم بشرب الخمور وبالملاهي والملاعب، واستماع الغناء وضرب الدفوف، وبسفك الدماء المحرمة وغير ذلك من المحرمات فكيف يجوز أن يكونوا خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تنطبق الأخبار أيضاً على ما تعتقده سائر فرق الشيعة من الزيدية والإسماعيلية والفاطمية وغيرهم لكون أئمتهم أقل، فينحصر انطباقها على ما يعتقده الشيعة الاثنا عشرية من إمامة الأئمة الاثني عشر الذين هم عترة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم المهدي الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام الذي ستأتي الأخبار الواردة فيه مفصلاً في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى، وقد ذكر القندوزي في ينابيع المودة في الباب السابع والسبعين عن بعض علماء العامة أنه قد روى حديث جابر بن سمرة، وقال في آخره: كلهم من بني هاشم، وقد روى الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي[1].

هذه مجمل آراء العلماء من العامة والخاصة في حديث الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، سنبدأ بمناقشتها على ضوء الحديث المذكور والنصوص القرآنية، والسنة النبوية، لنرى هل أنها تنسجم معها أم لا؟ وبالتالي سنستخلص منها الرأي الصائب المطابق للشرع والعقل.

---

(١) حلية الأولياء ١: ٨٦، فضائل الخمسة ٢: ٣٣ ـ ٣٤.

خلاصة مضامين الحديث وآراء العلماء فيه

إن ملخص مضامين الحديث كما هو واضح يؤكد بأن الأئمة والخلفاء بعد رسول الله ﷺ ينحصر عددهم باثني عشر خليفة عدد نقباء بني إسرائيل، وأنهم جميعاً من قريش بإجماع المحدثين، وأن الدين لا يزال قائماً بهم حتى قيام الساعة دون انقطاع.

وبما أنهم خلفاء رسول الله ﷺ منصوص عليهم من قبله، يلزم طاعتهم، والاقتداء بهم كطاعتنا له، واقتدائنا به.

وأما آراء العلماء فهي مختلفة في حصر العدد وتعيّن النسب بالرغم من بساطة ألفاظ الحديث ووضوح معانيه. وهذا يثبت بأن الاختلاف مفتعل لا موجب له، وأن وراءه غايات ونوايا خبيثة تهدف إلى صرف الحديث عن مصاديقه الحقيقية، وإحلال مصاديق كاذبة محلها حسب ما تقتضيه مصالح الأطراف المختلفة.

فالأمويون والعباسيون اتفقوا على لزوم نسبة القرشية للخلفاء إلا أنهم اختلفوا في تعيينهم، فمنهم من حصر العدد المذكور بالأمويين فقط، ومنهم من شمل بعض خلفاء بني العباس في تحديده. وراح البعض منهم يلغي شرط الانتساب لقريش، ويؤكد على أن الإمام أو خليفة رسول الله ﷺ لا ينحصر بالقرشي، بل كل شخص فاضل مستجمع للشرائط يكون إماماً وإن كان حبشياً.

وأما رأي الشيعة الإمامية فهم يعتقدون بالأئمة الاثني عشر الذين ذكر الرسول الأعظم أسماءهم في جملة من الروايات التي يأتي ذكرها فيما بعد. وهم: علي بن أبي طالب، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري، والحجة ابن الحسن المهدي عليهم السلام.

فالمراد بالأئمة الاثني عشر في نظر الشيعة هم هؤلاء المنصوص عليهم ليس إلاّ، لأنهم يؤمنون بأن الإمام يكون بالنص لا بالاختيار من قبل أهل الحل والعقد أو بالشورى كما يعتقد الآخرون.

مناقشة آراء العلماء واستخلاص النتائج

وبناءً على ما تقدم سنشرع بمناقشة آراء العلماء السالفة الذكر من جميع الوجوه حتى نتوصل في نهاية البحث الى الحقيقة التي استهدفها الرسول الأعظم ﷺ من وراء حديثه المذكور، والتي حاولت الأقلام المأجورة المسخَّرة من قبل وعَّاظ السلاطين إخفاءها، وطمس معالمها بإثارة الاختلافات المفتعلة من حولها، كما فعلت مع بقية الأحاديث المتواترة الصحيحة كحديث الثقلين وغيره.

إن هذا النمط من التعامل مع الأحاديث ـ الهادف إلى التبديل والتغيير والتحريف والتسويف ـ لم يكن طارئاً بل عوَّدتنا الأقلام المأجورة على ممارسته منذ أمد بعيد تمتد جذوره إلى بدايات تأسيس الدولة الأموية. وقد قدمنا نماذج عديدة من الوضَّاعين والموضوعات للتدليل على تشجيع الدولة ودعمها لحركة تحريف الحديث وتبديله واختلاقه.

ومن الأحاديث التي تأثرت بعوامل التغيير والتبديل حديث الاثني عشر إماماً أو خليفة إذ حاول كل فريق من الفرق المتنافسة على السلطة أن يغيره بما ينسجم مع أغراضهم السياسية الهادفة إلى إضفاء الصفة الشرعية على نظام حكمهم المنافي للكتاب والسنة في جميع ممارساته وإجراءاته التعسّفية المشينة التي سوَّدت معظم صفحات التاريخ.

لقد حاول كل طرف من الأطراف المتنافسة تسخير الحديث المذكور لأغراضه الخاصة، فالأمويون جعلوه مختصّاً بهم وبخلفائهم ابتداءً من معاوية وانتهاء بعمر بن عبد العزيز، بينما حاول العباسيون تجييره لصالحهم وجعله مختصّاً ببني العباس فقط.

ولغرض معرفة حقيقة هذه الادعاءات ومدى انطباقها على كل طرف من الأطراف لا بد من مناقشة آراء العلماء من جميع الوجوه للوصول الى ما نهدف إليه.

الوجه الأول: إن لقب خليفة لا ينطبق على معاوية بن أبي سفيان، لأنه استحوذ على السلطة بصورة غير شرعية، إذ اتخذ من قميص عثمان ذريعة للخروج

على إمام زمانه الخليفة الذي أجمعت الأمة على بيعته وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، وجنّد الناس لحربه، وحاربه بشتى السبل الماكرة، والوسائل الشيطانية.

وليس هذا فحسب منشأ عدم لياقته وتأهيله للخلافة بل هناك أمور لا تقل خطورة عما ذكرنا، تثبت تعطش الرجل للسلطة، واستعداده التام لارتكاب أبشع الجرائم في سبيل ذلك.

ومن هذه الأمور: عدم التزامه بالعهود والمواثيق، فعندما صالح الإمام الحسن عليه السلام جاء إلى النخيلة «فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون. ألا وإني كنت منّيت الحسن أشياء، وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيء منها له»[1].

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياماً فلما استتمت البيعة له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونال منه، ونال من الحسن عليه السلام ما نال.

وكان الحسن والحسين عليهما السلام حاضرين فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السلام وأجلسه، ثم قام فقال: أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدّك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقالت طوائف من أهل المسجد آمين آمين[2].

ومنها: لما نقض تعهده بالمعاهدة بدأ يلغي بنودها بنداً بنداً، ولم يتورع عن قتل خيرة أصحاب علي عليه السلام كحجر بن عدي وأصحابه، ومن ثم أخذ يتآمر على

---

(١) الإرشاد: ١٩١ ط ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي، أعيان الشيعة ٤: ٢٦، ابن قتيبة ١: ١٥١، شرح نهج البلاغة ١٦: ٤٦.
(٢) الإرشاد: ١٩١.

قتل الإمام الحسن بالحيلة والمكر. فقال أبو الفرج: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن، وسعد بن أبي وقاص، فدسّ لهما سمّاً فماتا فيه[١].

وكان سمُّه للإمام بواسطة زوجته جعدة بنت الأشعث، بعد أن أغراها معاوية بالمال، وأن يزوجها من ابنه يزيد إن هي فعلت ما طلبه منها، ولكنه على عادته لم يف لها إلا بالمال[٢].

ومنها: نقضه للشرط الثاني من معاهدة الصلح: وهو جعل الأمر بعده للحسن ثم للحسين أو أن لا يعهد إلى أحد من بعده.

فقد أجمع المؤرخون بأن معاوية لم يف بشرطه هذا، بل نقضه بجعله الولاية لابنه يزيد من بعده، متخطياً شرطه الذي أجمع عليه المؤرخون، وهو بأن لا يعهد لأحد من بعده.. غير الإمام الحسن.

وقد كانت بيعته ليزيد من أشد ما ابتلي به الإسلام من المحن، ولعلها الدليل الواضح على لعب معاوية وهزئه بمنصب الخلافة، واعتباره ملكاً لبني أمية، فينزو عليه صبيانهم وأدعياؤهم، من غير أن يكون لأحد حق الاعتراض أو النقض.

ومن هو يزيد.. شارب الخمر، وخدن القرود والفهود، حتى يتولى الخلافة، ويتسلَّط على رقاب المسلمين؟[٣].

وبهذه الأعمال المشينة، والممارسات الخسيسة التي مارسها معاوية قد تجاوز كل السنن والأعراف الاجتماعية، والقوانين الوضعية، بالإضافة لتجاوزه حدود الكتاب والسنة.

ونحن بدورنا نسأل أرباب العقول والدراية، أيصحّ مثل هذا الجاني الماكر الخدّاع أن يكون خليفة لرسول الله ﷺ؟

وحتماً ستكون الإجابة هي النفي المطلق، لأن هذا لا يصلح أن يكون حاكماً عادياً لمجتمع غير مسلم، لا أن يكون خليفة لرسول الله ﷺ.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٣، شرح النهج ١٦: ٤٩، الإرشاد: ١٩٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) صلح الإمام الحسن: ١٥٨ لمؤلفه محمد جواد فضل الله.

فإذا ثبت عدم لياقة معاوية للخلافة شرعاً وعقلاً، فإن عدم لياقة غيره من خلفاء بني أمية أولى؛ لأنهم أكثر منه استهتاراً بالقيم والمعايير الإسلامية، وأشد منه قسوة وإجراماً، وأظهر منه ممارسة للفسق والفجور.

الوجه الثاني: لا يجوز تسمية هؤلاء ـ يعني معاوية وخلفاء بني أمية وبني العباس ـ باسم الخلفاء بنص الكتاب والسنة، لأنهم ظالمون مغتصبون للخلافة، لا يحكمون بما أنزل الله.

أما الكتاب: فقد جاء فيه قوله تعالى:

﴿**إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمون**﴾[1].

وقوله عزَّ من قائل: ﴿... **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾[3].

فالآية الأولى: وما ماثلها كآية ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة...**﴾[4]، تنص بأن الخلافة بالجعل الإلهي لا باختيار أهل الحلّ والعقد، ولا بالانتخاب والشورى، وأن الظالمين من عبدة الأوثان ومقترفي الفسق والفجور وسفاكي الدماء البريئة لا ينالون عهد الله: والمراد بعهد الله كما هو ظاهر الخلافة والإمامة.. ولو فرضنا أن الخلافة ليست بالجعل الإلهي، وإنما بالاختيار والشورى، أو بتعيين أهل الحل والعقد فبأي طريق من هذه الطرق جاء الخلفاء الأمويون والعباسيون؟

ولو تصفحنا التاريخ لوجدناهم قد استحوذوا على السلطة بطرق ملتوية غير شرعية متَّسمة بالقهر والإرهاب، وخصوصاً المتمرد العاصي معاوية بن أبي سفيان حيث تمرد على إمام زمانه ـ علي بن أبي طالب عليه السلام ـ واستطاع بالتالي بأساليب المكر والخداع أن يغتصب الخلافة من الإمام الحسن عليه السلام، بعد أن تسبب في

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٤.
(٢) سورة المائدة، آية: ٤٥.
(٣) سورة هود، آية: ١١٣.
(٤) سورة البقرة: آية: ٣٠.

سفك دماء عشرات الآلاف من المسلمين، فأي ظلم أشد من هذا وأفظع منه؟

وأما الآية الثانية: فقد وسمت كل من لم يعمل بكتاب الله، ولم يحكم بحكمه فهو من الظالمين أو الكافرين أو الفاسقين في آيات أخر من سورة المائدة[1].

ومعلوم أن الكثير من الخلفاء الأمويين والعباسيين لم يحكموا بما أنزل الله تعالى، بل كانوا أغلبهم من العصاة المتمردين على أحكامه، المدمنين على شرب الخمر، المروجين للغناء والرقص كما عرفت ذلك من خلال النماذج المارة الذكر.

ولذا نهانا الله في الآية الثالثة عن طاعة مثل هؤلاء والركون إليهم والسكوت عن ظلمهم وإجرامهم، لأنهم من أبرز مصاديق الظلم والعدوان.

وأما السنة: فمما لا ريب فيه أنها حكمت بعدم لياقة معاوية وما شاكله من العصاة الجاحدين الذين جحدوا حق أئمة الحق والهدى من أهل بيت الرسول الأعظم ﷺ.

ـ فمما جاء في (أسد الغابة) في ترجمة معاوية بن صخر، وهو معاوية بن أبي سفيان، قال: روى عبد الرحمن بن أبزى عن عمران قال: هذا الأمر من أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أُحد ما بقي منهم أحد، ثم في كذا وكذا، وليس فيها لطليق، ولا لولد طليق، ولا لمسلمة الفتح شيء (أقول) ورواه ابن سعد أيضاً في طبقاته[2].

ـ الاستيعاب: في ترجمة عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: ويعرف بصاحب معاذ لملازمته له، وسمع من عمر بن الخطاب، وكان من أفقه أهل الشام، وهو الذي فقه عامة التابعين بالشام، وكانت له جلالة وقدر، وهو الذي عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص إذ انصرفا من عند علي عليه السلام رسولين لمعاوية، وكان مما قال لهما: عجباً منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به تدعوان علياً أن يجعلها شورى وقد علمتما أنه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز وأهل العراق.

وأن من رضيه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه، وأي مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة وهو وأبوه من

---

(١) المائدة، آية: ٤٤ و٤٥ و٤٧.

(٢) أسد الغابة ٤: ٣٨٧، الطبقات الكبرى ٣: ٢٤٨.

رؤوس الأحزاب، قال: فندما على مسيرهما وتابا منه بين يديه. وذكره ابن الأثير في أسد الغابة أيضاً، باختلاف يسير في اللفظ[1].

ـ ميزان الاعتدال: قال: روى عباد بن يعقوب عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه..[2].

ـ تهذيب التهذيب: في ترجمة عباد بن يعقوب الرواجني، قال: روى عن شريك، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله مرفوعاً: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[3].

ـ كنوز الحقائق للمناوي: ولفظه: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، قال: أخرجه الديلمي ـ يعني عن النبي ﷺ [4].

وقال الفيروزآبادي بعد ذكر هذه الروايات:

أقول: يحتمل قوياً أن يكون المراد من المنبر في قول النبي ﷺ: (إذا رأيتم معاوية على منبري) هو مطلق المنبر بدعوى أن كل منبر يصعد عليه في الإسلام ويخطب عليه فهو منبر النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون المراد منه خصوص منبر النبي ﷺ، في المدينة كما يؤيده بل يدل عليه ما تقدم في حديث أبي سعيد إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد (الخ)، وعلى كل حال فإن معاوية حسب الأحاديث المتقدمة ممن يجب قتله بحكم النبي ﷺ وقد سامح فيه المسلمون، أما وجوب قتله على الاحتمال الأول فواضح، وأما على الثاني فلما رواه ابن سعد في الطبقات من مجيء معاوية إلى المدينة وصعوده على منبر النبي ﷺ قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي، عن أيوب، عن نافع قال: لما قدم معاوية المدينة حلف على منبر رسول الله ﷺ ليقتلن ابن عمر، ثم رواه بطريق آخر عن نافع فراجع[5].

---

(١) الاستيعاب ٢: ٤٠٢، أسد الغابة ٣: ٣١٨.
(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٧ و١٢٩ بسند آخر واعترف بصحته.
(٣) تهذيب التهذيب ٥: ١١٠.
(٤) كنوز الحقائق للمناوي: ٩.
(٥) كنوز الحقائق للمناوي: ٩، الطبقات الكبرى ٤: ١٣٦، فضائل الخمسة ٣: ٣٠٠.

ـ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله، ولا دين لمن دان بفرية باطل على الله، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله[1].

ـ قال: أخبرني أبو غالب أحمد بن محمد الزراري ـ رحمه الله ـ قال: حدثني عمّي علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن خالد الطيالسي قال: حدثني العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله، ولا دين لمن دان بفرية باطل على الله، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله[2].

ـ محمد بن علي، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله والحق، قد ضلوا أعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ذلك هو الضلال البعيد[3].

ـ عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن ابن بكير، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أربعة من قواصم الظهر، منها إمام يعصي الله ويطاع أمره[4].

ـ الهيثمي في مجمعه: قال: عن عمرو بن الحمق قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية (وساق الحديث الى أن قال) ثم هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فبينا أنا عنده ذات يوم فقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية الجنة تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟ قلت: بلى بأبي أنت قال: هذا وقومه ـ وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية النار تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟ قلت: بلى بأبي أنت،

(١) الكافي ٢: ٣٧٣، الحواريون ٣: ٥٦٨.
(٢) أمالي المفيد: ٧/٣٠٨، ما رواه الحواريون ٣: ٥٦٨.
(٣) المحاسن: ٩٣، البحار ٢٥: ١١٠، ما رواه الحواريون ٣: ٢٧٤.
(٤) المحاسن: ٩٤، البحار ٢٥: ١١٠، ما رواه الحواريون ٣: ٤٧٤.

قال هذا وقومه آية النار ـ وأشار الى رجل ـ فلما وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله ﷺ: ففررت من آية النار الى آية الجنة (الى أن قال) والله إن كنت في جحر في جوف جحر لاستخرجني بنو أمية حتى يقتلوني، حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ إن رأسي أول رأس يُحتزُّ في الإسلام، وينقل من بلد إلى بلد قال: رواه الطبراني في الأوسط[1].

وبهذا الإسناد، عن محمد بن مسلم، عن داود بن فرقد قال: حدثني محمد ابن سعيد الجمحي قال: حدثني هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ابتليت بأهل النصب ومجالستهم فكن كأنك على الرضف حتى تقوم، فإن الله يمقتهم ويلعنهم، فإذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الأئمة فقم، فإن سخط الله ينزل هناك عليهم[2].

ـ عن ابن بابويه القمي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ قال: لا تجالسوا شارب الخمر، ولا تزوّجوه، ولا تتزوجوا إليه، وإن مرض فلا تعودوه، وإن مات فلا تشيِّعوا جنازته، إن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه، مائلاً شدقه، سائلاً لعابه، دالعاً لسانه من قفاه[3].

وبهذه الأمثلة القليلة ـ من الكتاب والسنة ـ أثبتنا عدم لياقة معاوية وخلفاء بني أمية لخلافة المسلمين؛ لأنهم أئمة الجور والضلال، وممن ناصب علياً وأهل بيت النبي ﷺ العداء واستباحوا حرمهم، واغتصبوا منهم الخلافة اغتصاباً وهم عدل الكتاب، وأئمة الهدى، وأعلام الدين.

ثم مارسوا الفسق والفجور بأحسن أشكاله لا سيما شرب الخمر والزنى بالمحارم، وقتل خيار الأمة وصلحائها وهم خيرة صحابة رسول الله ﷺ، وأفضل المجاهدين في سبيل الله كعمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدي

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ٤٠٥، فضائل الخمسة ٣: ١٤٥.
(٢) الكافي ٢: ٣٧٩، مرآة العقول ١١: ٩٦، ما رواه الحواريون ٣: ٥٧٠.
(٣) الخصال ٢: ٦٣٥، ما رواه الحواريون ٣: ٥٧١.

وأصحابه الأبرار وغيرهم من حملة علوم أهل البيت، وأصلب الدعاة لمذهبهم الذين بذلوا دونه نفوسهم وأعز ما يملكون.

ومن أفظع الجرائم بشاعة قتلهم لسبط رسول الله ﷺ، وريحانته سيد شباب أهل الجنة، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه في كربلاء، وسبي نسائهم، وانتهاك حرمهم.

أكمثل هؤلاء يكونوا خلفاء لرسول الله ﷺ وهم قتلة ذريته، ومخالفو سنته؟ فأي عاقل يرتضي بقتلة أبناء الأنبياء والصلحاء من المسلمين أن يكونوا خلفاء لرسول الله ﷺ ناهيك عن الكتاب والسنة؟

فلم يكتفِ هؤلاء بنقض الكتاب، ومخالفة أحكامه، بل راح بعضهم يسعى إلى تمزيقه بجعله هدفاً لسهامه الحاقدة، استهانة به، وامتعاضاً منه. وحاول الكثير منهم بجد القضاء على عدل الكتاب، وحملة علومه الذين حثّنا الله تعالى بسؤالهم إذا استعصت مسألة من مسائله بقوله: **﴿واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**[1]، وهم عترة رسول الله ﷺ، وكأن الرسول أوصاهم بهجر الكتاب والعترة لا بالتمسك بهما..

ولو صرفنا النظر عن سجل جرائمهم فإن رذيلة شرب الخمر التي استمر الخلفاء الأمويون على ممارستها ـ طيلة فترة حكمهم البغيض ـ وحدها كافية لمقاطعتهم، واجتناب تزويجهم، وعدم عيادة مريضهم والمشاركة في تشييع جنائزهم، ناهيك عن بيعتهم، والإقرار بخلافتهم، وإطاعة أوامرهم، وكيف لا وقد نهانا الكتاب عن الركون إليهم.

الوجه الثالث: يدور حول معرفة العدد المذكور في حديث رسول الله ﷺ، وهو اثنا عشر خليفة، وهل ينطبق هذا العدد على خلفاء بني أمية أو بني العباس؟

إن الملاحظ لأقوال العلماء وآرائهم في هذا الموضوع يرى حالة الاضطراب

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣، وسورة الأنبياء، آية: ٧، روى الطبري بسنده عن جابر الجعفي، قال: لما نزلت **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** قال علي (ع): نحن أهل الذكر. الطبري ١٧ : ٥، فضائل الخمسة ١ : ٣٢٩.

والارتباك واضحة على عباراتهم، لشدة عجزهم عن تطبيق الرقم على شريحة من الخلفاء الأمويين، أو العباسيين، أو الفاطميين، أو الزيديين، أو غيرهم ممن زم زمام الأمور بشكل من الأشكال غير المشروعة.

إن حالة العجز المشار إليها تثبت بطلان تلك التطبيقات، وعدم انسجامها مع الواقع المعاش، حيث إن أمد تلك الخلافات الجائرة ينتهي بأواخر القرن الرابع الهجري، والحديث النبوي يفرض استمرار الخلفاء الاثني عشر إلى قيام الساعة، وملازمتهم للكتاب كما في حديث الثقلين إلى لحظة ورودهم على الحوض.

ومما يؤكد بطلان تلك التطبيقات أيضاً هو عدم صلاحية أولئك الخلفاء لخلافة رسول الله ﷺ، الذي ثبت من خلال ممارساتهم العملية المشينة، ومخالفاتهم الصريحة للكتاب والسنة.

وببطلان خلافة الأمويين والعباسيين بموجب الحديث المذكور لعدم انطباقه عليهم، تبطل خلافة الخلفاء الراشدين عدا علي عليه السلام، ويثبت رأي الشيعة الإمامية في تعداد الأئمة الاثني عشر ابتداءً من علي عليه السلام وانتهاءً بالحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام.

وللتدليل على ذلك نذكر جملة من الروايات الصحيحة المسندة التي استدلّ بها الشيعة الإمامية على صحة عقيدتهم بالأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام.

ـ ينابيع المودة: عن مجاهد، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قدم يهودي يقال له نعثل فقال: يا محمد أسألك، عن أشياء تلجلج في صدري إلى أن قال: فقال رسول الله: إن وصيّي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين، قال: يا محمد فسمِّهم لي، قال: إذا مضى الحسين، فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمد فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر. إلى أن قال: وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج

فيظهر الله الإسلام به ويجدده[1].

ـ في فرائد السمطين: روى بسند ينتهي إلى مجاهد قال: قال ابن عباس: سمعت النبي ﷺ إلى أن قال: فدخل النبي ﷺ على فاطمة عليها السلام فهنّأها وعزّاها فبكت فاطمة ثم قالت: يا ليتني لم ألده قاتل الحسين في النار، فقال النبي ﷺ: وأنا أشهد بذلك يا فاطمة؛ ولكنه لا يقتل حتى يكون منه إمام يكون منه الأئمة الهادية.

[ثمّ] قال عليه السلام: والأئمة بعدهم:

الهادي علي عليه السلام.

والمهتدي الحسن عليه السلام.

والعدل الحسين عليه السلام.

والناصر عليّ بن الحسين عليه السلام.

والسفّاح محمد بن عليّ عليه السلام.

والنفّاع جعفر بن محمّد عليه السلام.

والأمين موسى بن جعفر عليه السلام.

والمؤتمن علي بن موسى عليه السلام.

والإمام محمد بن علي عليه السلام.

والفعّال الحسن بن علي بن محمد عليه السلام.

والعلام الحسن بن علي عليه السلام.

ومن يصلّي خلفه عيسى ابن مريم عليه السلام...[2].

ـ مناهج الفاضلين: روى بسنده عن أبي ذر، ومقداد، وسلمان، وغيرهم أنه قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي أنت خليفتي من بعدي وأمير المؤمنين، وإمام المتقين، وحجة الله على خلقه ويكون بعدك أحد عشر إماماً من أولادك وذريتك واحداً بعد واحد إلى يوم القيامة، هم الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وبطاعتي كما

---

(١) ينابيع المودة: ٤٤٠، فرائد السمطين ٢: ١٣٣.

(٢) فرائد السمطين ٢: ١٥٢.

قال: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم.

قال: يا رسول الله بيِّن لي اسمهم قال: ابني هذا ثم وضع يده على رأس الحسن، ثم ابني هذا ثم وضع يده على رأس الحسين، ثم سميّك يا علي وهو سيد الزهاد وزين العابدين، ثم ابنه محمد ابه سميّي باقر علمي، وخازن وحي الله تعالى وسيولد في زمانك فاقرأه يا أخي مني السلام، ثم يكمل أحد عشر إماماً معهم من ولدك مع مهدي أمتي محمّد الذي يملأ الله الأرض به قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[1].

وعشرات غير هذه الروايات الواردة عن طريق العامة، وكذا من طرق الخاصة كأصول الكافي، وكامل الزيارات، وبصائر الدرجات، والغيبة للنعماني، والمحاسن للبرقي، وكشف الغمّة للإربلي، ومشارق الأنوار للحافظ رجب البرسي، وبشارة المصطفى: لمحمد بن أبي القاسم الطبري، وكمال الدين، والمجالس للصدوق، والأمالي للصدوق، والاعتقادات للصدوق، والخصال للصدوق، وصفات الشيعة للصدوق، وعيون أخبار الرضا للصدوق، ومعاني الأخبار للصدوق، والاحتجاج للطبرسي، والروضة في الفضائل، والغيبة للشيخ الطوسي، والتهذيب للطوسي أيضاً، وكذا مصباح المتهجد وأماليه، والاختصاص والإرشاد للمفيد، وعشرات الكتب الأخرى من كتب الخاصة.

وبعد الانتهاء من عرض الأدلة العامة التي أثبتت بما لا ريب فيه وجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، وأن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، وإن خلَت منه لساخت بأهلها. . .

بعد هذا نتناول الأدلة الخاصة التي تشتمل على تاريخ الإمام المهدي في حياة أبيه وبعد استشهاده، واستلامه لمقاليد الإمام، وحياة سفرائه الأربعة ونشاطهم الديني والاجتماعي الذي يشمل سنوات الغيبة الصغرى وسيرتهم مع حكّام عصرهم واتباع سياسة التقية معهم، وعدم إظهار المعارضة لهم بأي شكل من الأشكال. . .

وسيشمل هذا القسم أيضاً الرد على إشكالات المشككين بوجود الإمام المبارك وبقائه حياً لمدة طويلة تبدأ من ساعة ولادته عام ٢٥٥هـ إلى يومنا هذا.

---

(١) مناهج الفاضلين ٢: ٢٣٩.

الفصل الثاني

الأدلة الخاصة

الدليل الأول: إثبات ولادته بالنصوص الخاصة.

لم يختلف المسلمون في شيء كاختلافهم في مسألة ولادة الإمام المهدي (عج)، ونسبه وحسبه، وهل أنه مولود أم سيولد فيما بعد.

واشتدّ التنازع بعد وفاة الإمام الحسن العسكري بين عشرين فرقة كما يقول ابن حجر العسقلاني في صواعقه[1]، فبعضهم ينفي أن يكون للحسن العسكري عليه السلام ولد، لأن أخذ ميراثه من قبل أخيه جعفر لدليل قاطع على ما يذهب إليه المنكرون حسب اعتقادهم، إذ لو كان له ولد لورثه بدلاً من جعفر.

وزعم البعض الآخر أن المهدي مولود من أب آخر ليس هو الحسن العسكري عليه السلام: وأنه حيٌّ يُرزق يعيش في مكان ما، وسيبعث في يوم ما ليحقّ الحق، ويبطل الباطل، ويُحل العدل محل الجور.. والقائلون بهذا كثيرون منهم: الكيسانية، والفطحية، والواقفية، والمحمدية.

ومنهم من يقول بعدم ولادته، وإنه سيولد فيما بعد في المدينة المنورة، وأن الله يصلحه في يوم وليلة، ثم يبعثه ليقوم بأداء دوره في إصلاح الأرض ونشر العدل.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٧٦، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢٦. ط ـ أصبهان ـ إيران ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

ومنهم من يقول بولادته، وأنه محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وهو حي يرزق يعايش المسلمين في آمالهم وآلامهم منذ ولد في عام ٢٥٥هـ، في زمن الخليفة المهتدي العباسي إلى يومنا هذا.

وبعد أن توفي أبوه في عام ٢٦٠ استلم مقاليد الإمامة بعده اعتباراً من تاريخ وفاته. وهذا هو رأي الشيعة الإمامية الاثني عشرية ولهم من الأدلة ما يكفي لإثباته.

هذه أهم الاختلافات المذكورة في ولادة المهدي (عجل الله فرجه)، سنطرحها على بساط البحث تباعاً، ونناقشها بموضوعية تامة مجردة عن العصبية المذهبية والقبلية لنعرف مدى صحتها ومطابقتها للأدلة النقلية والعقلية، والواقع المعاش منذ يوم ولادته إلى الوقت الحاضر.

المنكرون لولادته(عج)

ـ جاء في وفيات الأعيان: أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد عليهم السلام قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي..[1].

وجاء في كتاب الصواعق: ... والكثير على أن العسكري لو لم يكن له ولد لطلب أخوه جعفر ميراثه من تركته لمّا مات، فدل طلبه أن أخاه لا ولد له، وإلاّ لم يسعه الطلب. وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لإثباته. وأن أخاه جعفراً أخذ ميراثه. وجعفر هذا ضللته فرقة من الشيعة ونسبوه للكذب في ادعائه ميراث أخيه...[2].

ـ وفي كتاب لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: أما زعم الشيعة أن اسمه محمد بن الحسن، وأنه محمد بن الحسن العسكري فهذيان، فإن

---

(١) وفيات الأعيان: ٥٦٢، المهدي عند أهل السنة ١: ٢١٤.

(٢) الصواعق: ١٦٦، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢٦.

محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن[1].

الردّ على المنكرين:

ارتكز رأي المنكرين على ركيزة واهية لا تصمد أمام الحقائق الدامغة التي تثبت ولادة المهدي (عج) ووجوده المبارك منذ سنة ولادته عام ٢٥٥هـ، إلى الوقت الحاضر.

إن الأدلة العامة السالفة الذكر بالإضافة إلى ما سنذكره من الأدلة الخاصة التي تشير بصراحة إلى بعض مفردات حياته المباركة تؤكد ولادته ووجوده بشكل لا ريب فيه.

فاعتماد المنكرون على دعوى جعفر الكذّاب، واستحواذه على إرث أخيه بحجة عدم وارث له غيره، لا تنفي حياة الإمام الحافلة بالخير والبركة التي امتدت لسبعين سنة كان الإمام عليه السلام يتصل بقواعده الشعبية من خلال سفرائه الأربعة، وكان ممن رآه في تلك الفترة عمه جعفر في عدة مواقف، واعترف أمام السلطات بوجوده وحرّضها على اعتقاله مرات عديدة[2].

فكيف يمكن الاعتماد على قول كذّاب ينتهز الفرص، ويتصيد في الماء العكر، ويظهر الفسق والفجور دون حياء ومراعاة لحسبه ونسبه، ويداهن السلطة الجائرة ويساومها على حساب دينه وعقيدته، ويستعين بها على اغتصاب حق ابن أخيه، وسلب مقام الإمامة منه، مستفيداً من الظروف الحرجة التي حالت دون ظهور الإمام المهدي (عج) على مسرح الحياة خشية ملاحقة السلطات الغاشمة له، والتنكيل به، لتمرير مخططاته المفعمة بالحقد والكراهية.

المعترفون بالولادة، المختلفون بالنسب

ـ زعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) حيّ وهو مقيم بجبل

---

(١) لوائح الأنوار البهية، المهدي عند أهل السنة ٢: ٩.

(٢) الغيبة الصغرى: ٢٩٥ و٢٩٩ ـ ٣٠٣، كشف الغمة ٣: ١٧٥، تاريخ سامراء ٢: ٢٥١، الإرشاد: ٣١٩، أعلام الورى: ٣٥٤، تاريخ سامراء ٢: ٢٥٦.

رضوى، وأنه بين أسدين يحفظانه، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل، وأنه يعود بعد الغيبة ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وهو المهدي المنتظر، وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك، وقيل إلى يزيد بن معاوية. قال: وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل:

ألا قل للوصيّ فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما[1]

وبعد هذا الكلام قال صاحب كتاب نور الأبصار:

وهذه كلها أقوال فاسدة وبضائع كاسدة، ليس بها فائدة، فإن محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) توفي بالمدينة المنورة، وقيل بالطائف كما تقدم. وإنما الخليفة المنتظر هو محمد بن عبدالله المهدي القائم في آخر الزمان وهو يولد بالمدينة المنورة، لأنه من أهلها كما أخبر به وبعلاماته ﷺ[2].

ـ وفي الصواعق ابتكر مهدي آخر قائلاً:

وزعمت فرقة من الشيعة أن المهدي هو أبو القاسم محمد بن علي بن عمر بن الحسين السبط، حبسه المعتصم فنقبت شيعته الحبس وأخرجوه وذهبوا به فلم يعرف له خبر[3].

وفرقة أن الإمام المهدي محمد بن الحنفية، قيل: فقد بعد أخويه السبطين، وقيل: قبلهما وإنه حي بجبال رضوى، ولم تعدّ الرافضة من أهل البيت زيد بن علي بن الحسين مع أنه إمام جليل من الطبقة الثالثة من التابعين..[4].

إن هذا الكلام لا يستحق الرد؛ لأنه يحمل نقائضه بين طياته، وأن محمد بن الحنفية غير منصوص عليه، وأن النصوص التي ذكرت أسماء الأئمة الاثني عشر لم تذكر اسمه، وأنه توفي في المدينة بإجماع من قطع بالأئمة الاثني عشر[5].

---

(١) عن كتاب نور الأبصار في المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥.
(٢) عن كتاب نور الأبصار في المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٦.
(٣) الصواعق: ١٦٦ ط ـ حجري، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢٦.
(٤) الصواعق: ١٦٦، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢٦.
(٥) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٧ ط ـ طهران.

ـ وأما قول الواقفة بأن المهدي (عج) هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فهو واضح البطلان، لأنهم قالوا بأنه حيٌّ وسيبعث في آخر الزمان وهو قد مات في سجن هارون بالسّم، وأخرجوا نعشه وهو مثقل بالسلاسل الحديدية، ووضعوه على الجسر ببغداد.

وقال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة:

وأما الذي يدلُّ على فساد مذهب الواقفة الذين وقفوا في إمامة أبي الحسن موسى عليه السلام وقالوا: إنه المهدي فقولهم باطل بما ظهر من موته عليه السلام، واشتهر واستفاض، كما اشتهر موت أبيه وجده ومن تقدم من آبائه عليهم السلام.

ولو شككنا لم ننفصل من الناووسية والكيسانية والغلاة والمرجئة الذين خالفوا في موت من تقدم من آبائه عليهم السلام.

على أن موته اشتهر ما لم يشتهر موت أحد من آبائه عليهم السلام لأنه أظهر وأحضر القضاة والشهود ونودي عليه ببغداد على الجسر، وقيل: هذا الذي تزعم الرافضة أنه حيٌّ لا يموت، مات حتف أنفه، وما جرى هذا المجرى لا يمكن الخلاف فيه[1].

والذي يؤكد بطلان هذا المذهب هو أن الجماعة التي ابتكرته طمعت بأموال أبي الحسن موسى عليه السلام ورفضت تسليمها للإمام الرضا عليه السلام، بحجة أن الإمام موسى عليه السلام لم يمت، وبذا استولت عليها بدون حق[2].

ـ وأما من خالف من الفرق الباقية: الذين قالوا بإمامة غيره كالمحمدية الذين قالوا بإمامة محمد بن علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام، والفطحية القائلة بإمامة عبدالله بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وفي هذا الوقت بإمامة جعفر بن علي، وكالفرقة القائلة إن صاحب الزمان حمل لم يولد بعد، وكالذين قالوا: إنه مات ثم يعيش، وكالذين قالوا: بإمامة الحسن عليه السلام، وقالوا: هو اليقين، ولم يصح لنا ولادة ولده، فنحن في فترة، فقولهم ظاهر البطلان من وجوه:

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٩.
(٢) معجم الرجال ١١: ٢١٤ ـ ٢١٦.

أحدهما: انقراضهم فإنه لم يبق قائل يقول بشيء من هذه المقالات ولو كان حقاً لما انقرض.

ومنها: أن محمد بن علي العسكري[1] مات في حياة أبيه موتاً ظاهراً، والأخبار في ذلك ظاهرة معروفة، من دفعه كمن دفع موت من تقدم من آبائه عليهم السلام.

فروى سعد بن عبدالله الأشعري، قال: حدثني أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنت عند أبي الحسن العسكري عليه السلام وقت وفاة ابنه أبي جعفر، وقد كان أشار إليه ودلّ عليه وإني لأفكر في نفسي وأقول هذه قصة إبراهيم، وقصة إسماعيل، فأقبل إليّ أبو الحسن عليه السلام وقال: نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي جعفر وصيّر مكانه أبا محمد، كما بدا له في إسماعيل بعدما دلّ عليه أبو عبدالله عليه السلام ونصّبه وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلونَ، أبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده ما تحتاجونه إليه، ومعه آلة الإمامة والحمد لله. والأخبار بذلك كثيرة، وبالنص من أبيه على أبي محمد عليه السلام لا نطول بذكرها الكتاب، وربما ذكرنا طرفاً منها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ـ أما ما تضمنه الخبر من قوله: بدا لله فيه: معناه بدا من الله فيه، وهكذا القول في جميع ما يروى من أنه بدا لله في إسماعيل، معناه أنه بدا من الله، فإن الناس كانوا يظنون في إسماعيل بن جعفر أنه الإمام بعد أبيه، فلما مات علموا بطلان ذلك وتحقّقوا إمامة موسى عليه السلام، وهكذا كانوا يظنون إمامة محمد بن علي بعد أبيه، فلما مات في حياة أبيه علموا بطلان ما ظنّوه.

ـ وأما من قال: إنه لا ولد لأبي محمد عليه السلام، ولكن هاهنا حمل مشهور سيولد، فقوله باطل لأن هذا يؤدي إلى خلوّ الزمان من إمام يرجع إليه، وقد بيّنا فساد ذلك، على أنّا سندل على أنه قد ولد له ولد معروف، ونذكر الروايات في ذلك فيبطل قول هؤلاء أيضاً.

ـ وأما من قال: إن الأمر مشتبه فلا يدرى هل للحسن عليه السلام ولد أم لا؟

---

(١) المراد به ابن الإمام علي الهادي (ع) المدفون بالقرب من الدجيل بين سامراء وبغداد في العراق. وقد لقبه عامة الناس بسبع الدجيل.

وهو مستمسك بالأول حتى يتحقق ولادة ابنه، فقوله أيضاً يبطل بما قلناه من أن الزمان لا يخلو من إمام؛ لأن موت الحسن عليه السلام قد علمناه كما علمنا موت غيره، وسنبين ولادة ولده فيبطل قولهم أيضاً.

ـ وأما من قال: إنه لا إمام بعد الحسن عليه السلام، فقوله باطل بما دللنا عليه من أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً.

ـ وأما من قال: إن أبا محمد عليه السلام مات ويحيى بعد موته، فقوله باطل بمثل ما قلناه؛ لأنه يؤدي إلى خلو الخلق من إمام من وقت وفاته عليه السلام إلى حين يحييه الله تعالى، واحتجاجهم بما روي من أن صاحب هذا الأمر يحيى بعدما يموت وأنه سمي قائماً؛ لأنه يقوم بعدما يموت، باطل لأن ذلك يحتمل لو صحّ الخبر أن يكون أراد بعد أن مات ذكره حتى لا يذكره إلا من يعتقد إمامته، فيظهره الله لجميع الخلق، على أنَّا قد بيَّنا أن كل إمام يقوم بعد الإمام الأول يسمَّى قائماً.

ـ وأما القائلون: بإمامة عبدالله بن جعفر من الفطحية، وجعفر بن علي، فقولهم باطل بما دللنا عليه من وجوب عصمة الإمام، وهما لم يكونا معصومين، وأفعالهما الظاهرة التي تنافي العصمة معروفة نقلها العلماء، وهي موجودة في الكتب فلا نطول بذكرها الكتاب، على أن المشهور الذي لا مريَّة فيه بين الطائفة أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، فالقول بإمامة جعفر بعد أخيه الحسن يبطل بذلك[1].

وإذا ثبت بطلان كل أقوال أصحاب الفرق المخالفة بأدلة الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه)، علمنا بصحة ما قاله الشيعة الإمامية من أن المهدي (عجل الله تعالى فرجه) مولود، وهو ابن الحسن بن علي العسكري عليهما السلام لا غير، وأنه حيّ يرزق من يوم ولدته أمه إلى الوقت الحاضر، غير أنه غائب عن الأبصار.

وهذا ينسجم تماماً مع الأدلة العامة التي تقدم ذكرها، ومع الواقع المعاش، والحياة العملية للإمام الحجة عليه السلام التي امتدت مدة سبعين سنة، وكان من أهم معالمها وجود سفرائه الأربعة الذين كان يوجه قواعده الشعبية من خلالهم.

وسنذكر هنا بعض مفردات حياة الإمام عليه السلام من ساعة ولادته حتى حين

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٥٤ ـ ٥٧.

غيبته الكبرى التي احتجب فيها احتجاباً كاملاً عن قواعده، وقطع بهم اتصاله حيث أنهى دور سفرائه، وأعطى الوكالة العامة للفقهاء العدول بدلاً منهم.

تاريخ ولادة المهدي عليه السلام في كتب الفريقين

ـ ذكرت كتب العامة والخاصة تاريخ ولادة المهدي عليه السلام، وأجمعت على أن ولادته في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ، وبينت نسبه وحسبه وسبب إخفائه من قبل أبيه الحسن بن علي الهادي العسكري عليه السلام.

وفيما يلي سنذكر بعض الأمثلة للتدليل على ذلك.

ـ قال الشيخ عبدالله بن محمد بن غامر الشبراوي الشافعي في الإتحاف بحب الأشراف:

الحجة الإمام قيل: هو المهدي المنتظر ولد الإمام محمد الحجة ابن الإمام الحسن الخالص (رضي الله عنه) بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين قبل موت أبيه بخمس سنين، وكان أبوه قد أخفاه حين ولد وستر أمره لصعوبة الوقت وخوفه من الخلفاء فإنهم كانوا في ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس والقتل ويريدون إعدامه[١].

ـ وفي نور الأبصار قال الشبيلنجي: محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم).

أمه أم ولد يقال لها نرجس وقيل: صقيل، وقيل: سوسن، وكنيته أبو القاسم، ولقّبه الإمامية بالحجة، والمهدي، والخلف الصالح، والقائم، والمنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي[٢].

وفي تاريخ ابن الوردي ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين...[٣].

---

(١) الاتحاف بحب الأشراف: ٦٨ ط ـ مصر.

(٢) نور الأبصار: ٦٨ ط ـ الشعبية.

(٣) عنه في نور الأبصار: ١٦٨، من هو المهدي: ٤٢٩.

ـ وقال الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: أبو محمد حسن العسكري بن علي الهادي مولده بالمدينة، إلى أن قال: ودفن في داره بسر من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه، وخلف ابنه وهو الإمام المنتظر (صلوات الله عليه)[1].

ـ وقال سراج الدين ابن السيد عبدالله الرفاعي، ثم المخزومي في صحاح الأخبار: وأما الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ولقبه التقي، والعالم، والأمير، والدليل، والعسكري، والنجيب، ولد في المدينة سنة أثنتي عشرة ومائتين من الهجرة، وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين بسر من رأى لثلاث خلون من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمد، وجعفر، وعائشة، فالحسن العسكري أعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر ولي الله الإمام محمد المهدي[2].

ـ وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق: ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القاسم المنتظر قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب[3].

ـ وقال الشيخ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي الشذورات الذهبية (الأئمة الاثنا عشر):

وثاني عشرهم ابنه محمد بن الحسن، وهو أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم.

ثاني عشر الأئمة الاثني عشر، على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة إلى أن قال: كانت ولادته (رضي الله عنه)، يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره، رضي الله عنهما، كان عمره خمس سنين.

---

(١) كفاية الطالب: ٤٥٨ ط ـ الغري.
(٢) صحاح الأخبار: ٥٥ ط ـ بومبي سنة ١٣٠٦.
(٣) الصواعق: ١٢٤ ط ـ مصر.

واسم أمه خمط، وقيل نرجس (٢٦ ب)، إلى أن قال:

وذكر ابن الأزرق في «تاريخ ميافارقين»: إن الحجة المذكور ولد تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصحّ[١].

ـ وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشامي الشافعي في مطالب السؤول: الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص، بن علي المتوكل، بن محمد القانع، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين الزكي، بن علي المرتضى بن أبي طالب المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر عليهم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم قال شعراً ثم ذكر بعض أوصافه قائلاً:

وقد رتع من النبوة في أكناف عناصرها، ورضع من الرسالة أخلاف أواصرها، وترع من القرابة بسجال معاصرها، وبرع في صفات الشرف، فعقدت عليه بخناصرها، فاقتنى من الأنساب شرف نصابها، واعتلى عند الانتساب على شرف أحسابها، واجتنى الهداية من معادنها وأسبابها فهو من ولد الطهر البتول، المجزوم بكونها بضعة من الرسول، فالرسالة أملها وأنها لأشرف العناصر والأصول.

فأما مولده فبسرّ من رأى في ثالث وعشرين شهر رمضان ثمان وخمسين ومائتين للهجرة.

وأما نسبه أباً وأمّاً: فأبوه محمّد الحسن الخالص بن علي المتوكل بن محمد القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين. وأمه أم ولد تسمّى صقيل وقيل حكيمة وقيل غير ذلك.

وأما اسمه محمّد وكنيته أبو القاسم، ولقبه الحجة، والخلف الصالح، وقيل المنتظر[٢].

---

(١) الشذورات الذهبية: ١١٧ ط ـ بيروت.

(٢) مطالب السؤول: ٨٩.

ـ وقال ابن خلكان في (وفيات الأعيان) في ذكر محمّد بن الحسن المهدي: وكانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وذكر ابن الأزرق... إلى الخ[1].

ـ وقال سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص): محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبدالله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة صاحب الزمان القائم والمنتظر والتالي وهو آخر الأئمة. وقال: ويقال له ذو الاسمين محمد وأبو القاسم قالوا: أمه أم ولد يقال لها صقيل[2].

ـ وقال السويدي في (سبائك الذهب): وكان عمره أي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام بعد وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع القامة حسن الشعر أقنى الأنف صبيح الجبهة[3].

ـ وقال ابن الصباغ المصري في (الفصول المهمة): ولد أبو القاسم محمد الحجّة بن الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة.

وأما نسبه أباً وأمّاً فهو أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين).

وأما أمّه فأم ولد يقال لها: نرجس خير أمة وقيل: اسمها غير ذلك. وأمّا كنيته فأبو القاسم.

وأما لقبه فالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي[4].

---

(١) وفيات الأعيان ١: ٥٧١ ط ـ بولاق بمصر.
(٢) تذكرة الخواص: ٢٠٤ ط ـ طهران.
(٣) سبائك الذهب: ٧٨ ـ ط ـ مصر.
(٤) الفصول المهمة: ٢٧٤ ط ـ الغري.

ـ وقال أبو العباس أحمد بن يوسف الشهير بالقرماني في (أخبار الدول وآثار الأول): الفصل الحادي عشر في ذكر الخلف الصّالح الإمام أبي القاسم محمد بن حسن العسكري (رضي الله عنه).

وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحيى عليه السلام صبياً، وكان مربوع القامة حسن الوجه والشعر، أقنى الأنف أجلى الجبهة.

إلى أن قال:

واتفق العلماء على أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت وقد تعاضدت الأخبار على ظهوره وتظاهرت الروايات على إشراق نوره وستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره ويتجلى برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره ويسير عدله في الآفاق فيكون أضوأ من البدر المنير في مسيره[1].

ـ وقال عبد الوهاب الشعراني في (اليواقيت والجواهر): يترقب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الإمام حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام ..[2].

ـ وقال الشيخ عثمان العثماني في (تاريخ الإسلام والرجال): الثاني عشر محمّد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضى يكنى أبا القاسم وتلقبه الإمامية بالحجة والقائم والمنتظر وصاحب الزمان إلى أن قال: ولد في سرّ من رأى في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين، وفي «جامع الأصول» في أشراط الساعة وعلاماتها[3].

ـ وقال السالك عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر علوي مفتي الديارالحضرمية في كتابه (بغية المسترشدين): نقل السيوطي عن شيخه العراقي أنّ

---

(١) أخبار الدول وآثار الأول: ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) اليواقيت والجواهر ٢: ١٤٣ ط ـ مصر، وكذا في كتاب الإمامة وأهل البيت ٣: ٢١٦ ط ـ ثانية سنة ١٤١٥هـ.

(٣) تاريخ الإسلام والرجال: ٣٧٠ مخطوط، انظر كتاب من هو المهدي: ٤٤٠.

المهدي ولد سنة ٢٥٥. قال: ووافقه الشيخ علي الخواص فيكون عمره في وقتنا سنة ٩٥٨، ٧٠٣ سنوات[١].

ـ وقال العلامة الخمراوي في مشارق الأنوار: قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر: المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام...[٢].

ـ وقال القندوزي في ينابيع المودة: ... فالخبر المعلوم المحقق عند الثقات أن ولادة القائم عليه السلام كانت ليلة الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين في بلدة سامراء عند القران الأصغر الذي كان في القوس، وهو رابع القران الأكبر الذي كان في القوس، وكان الطالع الدرجة الخامسة والعشرين من السّرطان[٣].

نكتفي بهذا القدر من النماذج المذكورة في كتب إخواننا أبناء العامة عن تاريخ سيدنا ومولانا أبي القاسم وعن يوم وسنة ولادته، وعن حسبه ونسبه وبعض صفاته المعنوية والمادية.

وسنذكر بعد هذا ما قيل عن تاريخه المشرف ونسبه وحسبه وصفته وكيفية ولادته، وما رافقها من كرامات ومعاجز خارقة للعادات في كتب الشيعة الإمامية.

ـ قال ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني: ولد عليه السلام للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين[٤].

وذكر الشيخ الصدوق (أعلى الله مقامه) في كتابه (كمال الدين) روايتين عن ولادة المهدي عليه السلام، تنص الأولى على أن ولادته كانت سنة ست وخمسين ومائتين.

وتنص الثانية على أنه ولد في النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين[٥].

---

(١) بغية المسترشدين: ٢٩٦ ط ـ مصر.
(٢) مشارق الأنوار: ١٥٣ ط ـ مصر.
(٣) ينابيع المودة ٣: ١١٣ ط ـ العرفان ـ بيروت.
(٤) أصول الكافي ١: ٥١٤. كتاب الحجة باب مولد الصاحب (ع).
(٥) كمال الدين ٢: ٤٣٠ ج٣ و٤.

ـ وقال السيد محمد الصدر في كتابه (الغيبة الصغرى): ولد عليه السلام عند الفجر من يوم النصف من شهر شعبان[1].

وقال الشيخ الطوسي بعد أن ذكر الخبر القائل بأن ولادة المهدي كانت في ليلة النصف من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين.

وفي رواية أخرى، عن جماعة من الشيوخ أن حكيمة حدثت بهذا الحديث وذكرت أنه كان ليلة النصف من شعبان...[2].

ـ النجم الثاقب: قال سمعت الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: ولد ولي الله، وحجته على عباده، وخليفتي من بعدي مختوناً ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر، وكان أول من غسله رضوان خازن الجنة مع جمع من الملائكة المقربين بماء الكوثر والسلسبيل، ثم غسلته عمتي الحكيمة بنت الإمام محمد بن علي الرضا عليه السلام..[3].

ـ في كمال الدين للصدوق عن حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام قالت: بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا عمة اجعلي إفطارك عندنا هذه الليلة فإنها الليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه، قالت: قلت له ومن أمه، قال لي نرجس، قلت له: جعلني الله فداك، والله ما بها أثر، فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجئت فلما سلمت، جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي وسيدة أهلي كيف أمسيت، فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمة، قالت: قلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة، قالت: فخجلت واستحيت. فلما فرغت من صلاة العشاء الأخرى أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادثة، ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلت ونامت، قالت حكيمة: وخرجت أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان وهي نائمة فدخلني

---

(١) الغيبة الصغرى: ٢٦١ ط ـ أصفهان ـ إيران.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٤٣.

(٣) عنه في منتخب الأثر: ٣٢٠.

الشك فصاح أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال لي: لا تعجلي يا عمة فهنالك الأمر قد قرب، قالت: فجلست وقرأت الم السجدة ويس فبينما أنا كذلك انتبهت فرعة فوثبت إليها فقلت: بسم الله[1] عليك، ثم قلت: أتحسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت فأخذتني فترة وأخذتها فترة وانتبهت بحسّ سيدي فكشفت عنها فإذا أنا به عليه السلام ساجد يتلقى الأرض بمساجده فضممته عليه السلام فإذا أنا به نظيف متنظف فصاح لي أبو محمد عليه السلام هلمي إليّ ابني يا عمة، فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليتيه وظهره ووضع قدمه في صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمرَّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه، ثم احجم ثم قال أبو محمد عليه السلام: يا عمة اذهبي به إلى أمّه وليسلّم عليها وآتيني به، فذهبت به فسلّم عليها فرددته فوضعته في المجلس، فقال: يا عمّة إذا كان يوم السابع فأتينا قالت حكيمة: فلمّا أصبحت جئت لأسلّم على أبي محمد عليه السلام وكشفت الستر لأتفقد سيدي عليه السلام فلم أره، فقلت جعلت فداك ما فعل سيدي، فقال: يا عمة استودعناه الذي استودعت أم موسى عليه السلام، قالت حكيمة: فلمّا كان في اليوم السابع جئت فسلّمت وجلست، فقال: هلمي إليّ ابني فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقة ففعل به كفعله الأول، ثم أدلى لسانه في فيه كأنما يغذيه لبناً، وعسلاً، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وثنى بالصلاة على محمد، وعلى أمير المؤمنين، وعلى الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) حتى وقف على أبيه عليه السلام، ثم تلا هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**﴾[2].

قالت: فسألت عقبة[3] الخادم عن هذه، فقال: صدقت حكيمة، ورواه

---

(١) وفي نسخة ثانية: اسم الله.

(٢) سورة القصص، آية: ٥ و٦.

(٣) والظاهر هو عقيد.

الشيخ في غيبته بسنده عن موسى بن محمد، وفي ينابيع المودة ما يقرب منه.

وقد روى الشيخ بغير هذا الطريق نحواً من هذا الخبر بطرق متعددة بعضها صحيحة في كتاب الغيبة وفي بعضها عن جماعة من الشيوخ، وروى في كتاب كمال الدين، والبحار وغيره روى أيضاً بسنده عن محمد بن يحيى الشيباني في بدء حال أمّه عليه السلام رواية مفصلة، وروى المسعودي في إثبات الوصية نحواً من هذه الرواية عن جماعة من شيوخ العلماء، منهم علّان وموسى بن محمد، وأحمد بن جعفر بن محمد، بأسانيدهم عن حكيمة[1]، أم المهدي ونسبها.

ـ يحسن بنا، وقد عرفنا تفاصيل أبيه وجده عليه السلام، أن نحمل فكرة كافية عن أمه الراضية المرضية المجاهدة، كما وردت في التاريخ بشكل عام، وفي مصادر خاصة بشكل خاص.

كانت (رضي الله عنها) قبيل حملها بولدها المهدي عليه السلام أمة مملوكة جلبت بواسطة الفتح الإسلامي الذي كان جارياً على قدم وساق في تلك العصور من بعض مدن الكفر إلى سامراء، ودخلت في ملكية بعض أفراد أسرة الإمام العسكري عليه السلام.

وكانت تسمى في ذلك المجتمع بأسماء مختلفة، فهي: ريحانة ونرجس وسوسن وصقيل. وإن كان الغالب عليها بين أفراد العائلة: نرجس[2].

ـ وقال: السيد محمد الصدر في كتابة (الغيبة الصغرى) في مكان آخر: إنها مليكة بنت يشوعاء بن قيصر ملك الروم. وأمها من ولد أحد الحواريين المنتسب إلى وصي المسيح شمعون[3].

ما رافق الولادة الكريمة من أحداث

ـ ونعود ثانية إلى أجواء الولادة الكريمة لنرى ما رافق الولادة من أحداث،

---

(١) ينابيع المودة: ٤٤٩ ـ ٤٥١، الغيبة للشيخ الطوسي: ١٤٠ ـ ١٤١، كمال الدين ٢: ٤٢٤، منتخب الأثر: ٣٢٠.

(٢) الغيبة الصغرى: ٢٤١.

(٣) الغيبة الصغرى: ٢٤٦.

وما فعل الإمام الحجة حال ولادته. فعن محمد بن عثمان العمري قدّس الله روحه يقول: لما ولد الخلف المهدي عليه السلام سطع نور من فوق رأسه إلى أعنان السماء، ثم سقط لوجهه ساجداً لربّه تعالى ذكره، ثمّ رفع رأسه وهو يقول: شهد الله أنّه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام، قال: وكان مولده يوم الجمعة(١).

ـ وعنه أيضاً: أنه قال: ولد السيد عليه السلام مختوناً، وسمعت حكيمة تقول: لم ير بأمه دمٌ في نفاسها، وهكذا سبيل أمهات الأئمة عليهم السلام (٢).

ـ عن أبي علي الخيزراني أنه سمع جاريته التي أهداها لأبي محمد عليه السلام تقول: لمّا ولد السيد (تعني الحجة) عليه السلام رأيت له نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده، ثم تطير، فأخبرنا أبا محمد عليه السلام بذلك فضحك، ثم قال: تلك ملائكة نزلت للتبرك بهذا المولود، وهي أنصاره إذا خرج(٣).

ـ حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رضي الله عنه قال: حدثنا أبي، قال حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الكوفي قال: حدثنا محمد بن عبدالله الطهوي(٤) قال ـ في حديث طويل ـ قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمد عليه السلام مكان والده وكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّي، فقالت: يا مولاتي ناوليني خفّك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي والله لا أدفع إليك خفّي لتخلعيه ولا لتخدميني بل أنا أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال: جزاك الله يا عمة خيراً، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف، فقال عليه السلام: لا يا عمتاه بيتي الليلة عندنا فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ الذي يحيي الله عزّ وجلّ به الأرض بعد موتها،

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٣٣.
(٢) كمال الدين ٢: ٤٣٣.
(٣) كمال الدين ٢: ٤٣١.
(٤) إن ضعف السند الناشيء من مجهولية ـ محمد بن عبدالله الطهوي ـ يجبر بقوة المتن حيث لا نرى فيه ما ينافي عقائدنا وبقية النصوص المتعلقة بهذا الباب.

فقلت: ممّن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهراً لبطن فلم أر بها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت فتبسم ثمّ قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل؛ لأنّ مثلها مثل أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام.

قالت حكيمة: فعدت إليها فأخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت: يا مولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا، قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي لا تقلب جنباً إلى جنب حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجروثبت فزعة فضممتها إلى صدري وسميت عليها فصاح [إليّ] أبو محمد عليه السلام وقال: اقرئي عليها **﴿إنّا إنزلناه في ليلة القدر﴾** فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر [بي] الأمر الذي أخبرك به مولاي فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من . . . يقرأ مثل ما أقرأ وسلم عليّ.

قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمد عليه السلام ويا لعجبي من أمر الله عزّ وجلّ، إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجة في أرضه كباراً، فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب، فغدوت نحو أبي محمد عليه السلام وأنا صارخة، فقال لي: ارجعي يا عمّة فإنك ستجدينها في مكانها.

قالت: فرجعت فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشّى بصري وإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجداً لوجهه، جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبابتيه، وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] وأن جدي محمداً رسول الله، وأن أبي أمير المؤمنين، ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ نفسه».

ثم قال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني وأتمم لي أمري وثبّت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً».

فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال: يا عمّة تناوليه وهاتيه، فتناولته وأتيت به نحوه، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلّم على أبيه فتناوله

الحسن عليه السلام مني [والطيور ترفرف على رأسه] وناوله لسانه فشرب منه، ثمّ قال: امضي به إلى أمّه لترضعه وردّيه إليّ، قالت: فتناولته أمه فأرضعته..[1].

ـ وعن محمد بن علي ماجيلويه، ومحمد بن موسى بن المتوكّل، وأحمد بن محمد بن يحيى العطار (رضي الله عنهم) قالوا: حدثنا محمد بن يحيى العطّار، قال: حدثني إسحاق بن رياح البصري، عن أبي جعفر العمري قال: لمّا ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد عليه السلام: ابعثوا إلى أبي عمرو[2]، فبعث إليه فصار إليه فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل خبز، وعشرة آلاف رطل لحم وفرّقه ـ أحسبه قال: على بني هاشم ـ وعقّ عنه بكذا وكذا شاة[3].

ـ وعن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبدالله بن جعفر الحميري قال: حدثني محمد بن إبراهيم الكوفي أنّ أبا محمد عليه السلام بعث إلى بعض من سمّاه لي شاة مذبوحة وقال: هذه من عقيقة ابني محمد[4].

ـ وعن محمد بن علي ماجيلويه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن الحسن بن علي النيسابوري، عن الحسن بن المنذر، عن حمزة بن أبي الفتح قال: كان يوماً جالساً فقال لي: البشارة ولد البارحة مولود لأبي محمد عليه السلام وأمر بكتمانه، وأمر أن يعقّ عنه ثلاثمائة شاة، قلت: وما اسمه؟ قال: يسمّى محمّداً ويكنى جعفر[5].

ـ وعن محمّد بن موسى بن المتوكل (رضي الله عنه) قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري قال: حدثنا محمد بن أحمد العلوي، عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسمّاه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً[6].

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٢٦ ـ ٤٢٨.
(٢) يعني عثمان بن سعيد.
(٣) كمال الدين ٢: ٤٣٠.
(٤) كمال الدين ٢: ٤٤٣.
(٥) كمال الدين ٢: ٤٣٢.
(٦) كمال الدين ٢: ٤٣١.

شمائل الإمام وأوصافه ومختصاته

ـ في تذكرة الخواص ذكر خبراً، عن عبد العزيز محمود بن البزاز، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي.

وهذا حديث مشهور...[1].

ـ وفي كفاية الأثر: عن محمد بن علي، عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين (الحسن نخ) بن محمد بن عامر، عن عمّه، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي جميلة المفضل بن صالح، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً... وذكر نحوه في ينابيع المودة[2].

ـ وفي كمال الدين: بسند آخر عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ وذكر نحوه[3].

ـ وفيه أيضاً: ... عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنّته سنتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عزّ وجلّ، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبني، ومن صدقه فقد صدقني، إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره، الجاحدين بقولي في شأنه والمضلّين لأمتي عن طريقته «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[4].

ـ وفي منتخب الأثر عن الملاحم والفتن ـ في الباب التاسع والسبعين عن أبي صالح السليلي في كتاب الفتن (في حديث) عن علي عليه السلام قال: ألا إنّه أشبه

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٧٧ ط ـ سنة ١٣٦٩.

(٢) كفاية الأثر: ٦٦، ينابيع المودة: ٤٨٨ و٤٩٣ وفيه: عن جابر.

(٣) كمال الدين ١: ٢٨٧، ينابيع المودة: ٤٩٣، منتخب الأثر: ١٨٢.

(٤) كمال الدين ١: ٤١١.

الناس خلقاً وخلقاً وحسناً برسول الله ﷺ.

- وفي إلزام الناصب: ذكر ملخص شمائله وأوصافه وخصائصه وأسمائه وألقابه وكناه من كتب الفريقين قائلاً:

الثمرة الأولى في شمائله وأوصافه في العلوي: أبيض مشرب حمرة، عن الصادق عليه السلام: أسمر يعتوره مع سمرته صفرة من سهر الليل، عن أهل السنة: لونه عربي، وجسمه إسرائيلي في طول القامة وعظم الجثة، وفي العلوي: شاب مربوع، في النبوي: أجلى الجبين، وعن الصادق: مقرون الحاجبين أقنى الأنف، وعن العلوي: حسن الوجه ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، وعن النبي ﷺ: وجهه كالدينار، على خده الأيمن خال، كأنه كوكب دري وعن علي عليه السلام: أفلح الثنايا حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه، وفي خبر سعد بن عبدالله: وعلى رأسه فرق بين فرقين كأنه ألف بين واوين، وعن الباقر عليه السلام: مشرف الحاجبين غائر العينين بوجهه أثر، وعن الصادق عليه السلام: شامة في رأسه، منتدح البطن، وعن علي عليه السلام: مبدح البطن، وأيضاً عنه عليه السلام: ضخيم البطن، وكلها متقاربة، عن الباقر عليه السلام: واسع الصدر مترسل المنكبين، عريض ما بينهما، وعنه أيضاً: عريض ما بين المنكبين، وعن الصادق عليه السلام: بعيد ما بين المنكبين وعن علي عليه السلام: عظيم مشاش المنكبين بظهره شامتان: شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي ﷺ، وعن علي عليه السلام: كثّ اللحية، أكحل العينين، برّاق الثنايا، في وجهه خال في كتفه علائم نبوة النبي ﷺ، عريض الفخذين، وعنه عليه السلام: أذيل الفخذين، على فخذه اليمنى شامة، وعن الصادق عليه السلام: أحشى الساقين، وعن الصادق عليه السلام والباقر عليه السلام: شامة بين كتفه من جانبه الأيسر، تحت كتفيه ورقة مثل الآس، وعن النبي ﷺ: أسنانه كالمنشار، وسيفه كحريق النار، وعنه ﷺ أيضاً: كأن وجهه كوكب دريّ، في خده الأيمن خال أسود، أفرق الثنايا، وعنه ﷺ: المهدي طاووس أهل الجنة، وجهه كالقمر الدريّ عليه جلابيب النور، وعن الرضا عليه السلام: عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس، وعن علي بن إبراهيم بن مهزيار: كأقحوانة، وأرجوان، قد تكاتف عليها الندى، وأصابها ألم الهوى، كغصن بان أو كقضيب ريحان ليس بالطويل الشامخ، ولا بالقصير الأزق، مربوع القامة، مدور الهامة

صلت الجبين، أزج الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدين، على خده الأيمن خال، كأنه فتات مسك، على رضاضة عنبر، وفي خبر آخر عنه: رأيت وجهاً مثل فلقة قمر لا بالخرق، ولا بالنزق، أدعج العينين، وفي خبر آخر: واضح الجبين أبيض الوجه، دريّ المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، وفي خبر إبراهيم بن مهزيار: ناصع اللون واضح الجبين، أبلج الحاجب، مسنون الخد إن شاء الله[1].

مهام الإمام الحسن العسكري إزاء ولده المهدي (عج)

لقد أثبتنا بما تقدم من الأخبار الواردة بالطرق الخاصة والعامة ولادة المهدي المنتظر عليه السلام، وتاريخ ولادته الكريمة الحاصلة بتاريخ ٢٥٥هـ باتفاق أغلب المؤرخين الذين دونوا تاريخها في كتبهم رغم كونهم من أتباع مدرسة الخلفاء الموالين للسلطة الحاكمة آنذاك، والمعترفين بشرعيتها. فهم حريصون كل الحرص على تماشي جميع الأخبار التي تزعج السلطة وتثير سخطها.

ومن هذه الأخبار خبر ولادة المهدي المنتظر عليه السلام الذي يبعث القلق والاضطراب في نفوس الحاكمين الظالمين، ويسلب استقرارهم النفسي؛ لأنهم علموا فيما سبق بواسطة الأخبار الكثيرة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله بمجيء الإمام الثاني عشر الذي يمحق الظلم وينشر العدل.

فرغم عدم ارتياح معظم المؤرخين لهذه الولادة، ورغم التعتيم الإعلامي المفروض على أخبار الإمام العسكري عليه السلام ونشاطاته، نرى أن المؤرخين ذكروا أخبار ولادة وليده الكريم دون تحفظ. وهذا يدل على انتشاره وشيوعه في أوساط المسلمين بحيث ألزمهم بنشره وتدوينه، إذ لا جدوى من إخفائه وعدم ذكره.

---

(١) إلزام الناصب ١: ٤٧٤ ـ ٤٧٦، الصواعق المحرقة: ، الحاوي للفتاوي ٢: ١٢٣ ـ ١٢٤، كنز العمال ١٤: رقم الحديث: ٣٨٦٦٥ و٣٨٦٦٦، وأخبار الدول وآثار الأول: ١١٧، كمال الدين ٢: ٤٣٦، منتخب الأثر: ١٨٥ ـ ١٨٧، الغيبة الصغرى: ٢٨٣ ـ ٢٨٥، أصول الكافي ١: ، الغيبة للطوسي: ١٥٩، نور الأبصار: ١٦٨، سبائك الذهب: ٧٨، الفصول المهمة: ٢٧٤، نور الأبصار: ٢٢٩، كمال الدين ٢: ٤٤٤، الجامع الصغير رقم الحديث: ٩٢٤٤، وينابيع المودة: ٤٣٠.

وبعد هذا بقي على الإمام العسكري عليه السلام أن ينجز ما تبقى من مهامه الرسالية إزاء ولده المهدي عليه السلام ؛ لأنه ملزم بتسليم مقاليد الإمامة له قبل رحيله، وتثبيت موقعيته الدينية، فلا بد له من تمهيد الأرضية المناسبة لذلك الحدث المرتقب بإعلام شيعته ومواليه بإمامة ولده القائم عليه السلام من بعده، مع المحافظة عليه من أخطار السلطة الغاشمة، وملاحقاتها الإرهابية له.

المهمة الأولى:

فالمهمة الأولى التي يجب على الإمام العسكري عليه السلام إنجازها هي إثبات وجود المهدي عليه السلام بشكل مركّز، والاستمرار بنشر أخباره بين المسلمين لا سيما الموالين منهم حتى تتحول مسألة وجوده المبارك إلى حقيقة ساطعة يؤمن بها الجميع دون ريب ولا إشكال.

وكانت الظروف السياسية المتشنجة آنذاك تفرض على الإمام أن ينجز مهمته هذه بصورة سرية لا يثير فيها الضوضاء، ويتحاشى جميع الأمور التي تجلب انتباه السلطة الظالمة لمجريات الأحداث التاريخية الخطيرة التي ستسهم بشكل فعّال في تثبيت دعائم الإسلام الأصيل المتجسد بمذهب أهل البيت عليهم السلام على المدى البعيد، وبلورة معالمه بوضوح تام لا غبش فيه، ليتمكن السالكون لسبيل الحق الاهتداء بها للوصول إلى أهدافهم المنشودة.

إن إثبات وجود الإمام الثاني عشر المنصوص عليه من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وتسليمه مقاليد الإمامة، وإقامة الصلات بينه وبين الموالين له ضمن تلك الظروف العصيبة ليست بالأمر السهل اليسير، لأن السلطة الظالمة التي كانت تترقب هذا الحدث بحذر تام قد شددت الرقابة على بيت الإمام العسكري عليه السلام، وبثت العيون من حوله لتكون أول من يعلم به، لعلها تستطيع أن تحتويه قبل أن يستفحل خطره.

وسترى عزيزي القارىء كيف ينجح الإمام العسكري عليه السلام في إنجاز هذه المهمة الصعبة، في إطار الظروف الحرجة بأسلوب سليم يؤدّي إلى انتشار الخبر بين صفوف المسلمين وتواتره دون أن يحدث أي ضرر ملحوظ للإمام المهدي عليه السلام.

لقد اختار الإمام العسكري عليه السلام لإنجاز هذه المهمة الإعلامية خيرة أصحابه وأصلبهم عوداً، وأكثرهم حنكة وخبرة، الذين لا يشك بصدقهم أحد من الموالين له، ليقوموا ببث أخبار الولادة الكريمة في أوساط القواعد الشعبية الموالية، وإقامة الحجة عليها بتعيين الإمام الذي سيخلف أبيه في رعاية شؤونهم الدنيوية والدينية.

وباشر الإمام عليه السلام بإنجاز هذه المهمة وذلك بإطلاع أعضاء اللجنة الإعلامية المشار إليها على تفاصيل أخبار الوليد بعد عرضه عليها لتطمئن من وجوده بشكل محسوس لا ريب فيه، كي تقوم بتنفيذ مهمتها بثقة تامة، وتعلم الموالين بأخباره بعد أن رأته وتأكدت من وجوده المبارك.

فأول عمل قام به الإمام العسكري عليه السلام هو عرض الإمام الحجة على أصحابه المقربين أفراداً وجماعات، ويطلب منهم كتمان خبره عمن لا يثقون به.

والأخبار في هذا الباب كثيرة متواترة ننقل بعضها لإثبات ذلك.

ـ منها: عن محمد بن الحسن الكرخي قال: سمعت أبا هارون رجلاً من أصحابنا يقول: رأيت صاحب الزمان عليه السلام ووجهه يضيء كأنه القمر ليلة البدر، ورأيت على سرّته شعراً يجري كالخط، وكشفت الثوب عنه فوجدته مختوناً، فسألت أبا محمد عليه السلام عن ذلك فقال: هكذا ولد، وهكذا ولدنا، ولكنّا سنمر الموسى عليه لإصابة السنة[1].

ـ ومنها: عن معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام، ونحن في منزله، وكنّا أربعين رجلاً، فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا، قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام[2].

(١) كمال الدين ٢: ٤٣٤.

(٢) كمال الدين ٢: ٤٣٥.

وقد مرّ خبر عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث... ولم يكتف الإمام العسكري بعرض ولده الإمام المهدي عليه السلام على أصحابه فحسب بل راسل بعضهم وأخبره بولادته، وطالبه بكتمان خبره. منهم: أحمد بن إسحاق، ففي خبر عن أبي العباس أحمد بن الحسين بن عبدالله بن مهران الآبي الأزدي العروضي بمرو قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي، قال: لمّا ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام إلى جدي أحمد بن إسحاق كتاب فإذا فيه، ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به، مثل ما سرّنا به، والسلام[1].

المهمة الثانية:

أما المهمة الثانية فكانت تنحصر في رعاية الإمام المهدي عليه السلام وحمايته من مطاردة السلطة الظالمة ومخاطرها، إذ إنها جندت كل قواها وأجهزة حكمها بهدف العثور والقبض عليه، واعتقاله تمهيداً لقتله والتخلص من خطره الجدّي الذي يتهدد الدولة العباسية بالانحلال والانقراض في كل حين.

كانت السلطات الظالمة تعلم في قرارة نفسها عدالة الإمام، وأنه أحق منها بالحكم؛ لأنه منصوص عليه من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومكتسب للصفة الشرعية دونها، ولذا ركزت جل اهتمامها للتخلص منه بأي ثمن كان.

وحاولت عدة مرات إلقاء القبض عليه لكن دون جدوى، لأنها انتهت جميع المحاولات ـ التي سيأتي ذكرها ـ بالفشل الذريع؛ لأن السلطة لم تكن تعرفه حق المعرفة، وغير متأكدة من وجوده، لأنها تعتقد بعدم وجود ولد للإمام العسكري عليه السلام، حسب ما قاله الجواسيس المكلفون بمراقبة بيته حيث إنهم لم يعثروا على ولد له بالرغم من كونهم يعيشون معه في دارٍ ليل نهار خصوصاً أيام مرضه وعلته.

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٣٣، الغيبة الصغرى: ٢٨٣.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف استطاع الإمام العسكري عليه السلام ضمن تلك الظروف العصيبة المشبعة بالحقد والكراهية والإرهاب والرقابة المشددة، أن يحفظ ولده المهدي عليه السلام من ملاحقة السلطات، ويخفيه عن عيون جواسيسها المبثوثين في كل مكان، المحيطين بداره من جميع الجهات؟

وتسهل الإجابة على السؤال المذكور لو لاحظنا بدقة الأمثلة المتقدمة التي حكت لنا كيفية عرض الإمام العسكري لولده على أصحابه المقربين عرفنا السر في نجاحه عليه السلام في إنجاز المهمتين ـ إثبات وجوده وحمايته من أعدائه ـ في آن واحد دون أن يجلب للوليد أي ضرر يذكر.

فهو من جهة كان يثبت وجود ابنه المهدي عليه السلام كحقيقة واقعة لا نسج من خيال ـ كما يصوره البعض ـ من خلال عرضه على الموالين المخلصين له، ومن جهة ثانية يلزمهم بكتمان سره عن الناس إلا من يثقون به، ثم يحجبه عن أنظارهم نهائياً، فلم يلح لهم ثانية إلا بعد وفاة أبيه.

بهذا الأسلوب المبطن الدقيق استطاع الإمام العسكري عليه السلام أن يجعل خبر وجود ولده خبراً متوتراً لتعدد طرقه، وأن يمهد له الأرضية المناسبة لاستلام مقاليد الإمامة من بعده دون معوق ملحوظ، وأن يحفظه من شرور السلطة الظالمة بحجبه عن أنظار عيونها المحيطين ببيته، والمقيمين معه في داره أحياناً. .

أضف إلى ذلك أن هذه القضية المهمة لا تخلو من العامل الغيبي والتسديد الإلهي بأي حال من الأحوال، والسبب الموجب لذلك جليّ لا يحتاج إلى توضيح، وهو متجسد في جهاد الإمام العسكري عليه السلام المتمثل في نصرة دين الله، وحفظ خليفة الله الذي سيحل محله فيما بعد. .

فكيف لا يحرسه الله من كل سوء، ولا يسدد خطاه، ولا يمنحه القدرة على حفظ ولده من أعدائه وهو القائل: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾[1]، ومن أصدق من الله وعداً؟

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

استشهاد العسكري وبروز جعفر الكذاب

استشهد الإمام الحسن بن علي العسكري سنة ٢٦٠هـ في زمن الخليفة العباسي المعتمد ويحتمل قوياً أنه دس السم إليه بواسطة وزيره عبيد الله بن يحيى ابن خاقان، وهو حلقة الوصل بين المعتمد العباسي والإمام العسكري[١].

مضى الإمام الصابر الممتحن بعد أن أدى وظائفه الرسالية إزاء دينه ومجتمعه وولده حيث مهد المناخ الملائم له لاستلام مقاليد الإمامة من بعده.

وكان عمر الإمام عليه السلام يوم رحيله زهاء ٢٩ عاماً، وهو في ريعان الشباب تاركاً وراءه ولده الإمام المهدي عليه السلام وهو ابن خمس سنين. وسنذكر بعض الأخبار التي أشارت لتاريخ وفاته وما حصل بعد الوفاة من أحداث مهمة، وما كان دور جعفر الكذاب فيها.

ففي كمال الدين: عن أبي الحسين الحسن بن وضاء، عن أبيه، عن جده أنه قال ـ في حديث ـ:

ـ ووجدت مثبتاً في بعض الكتب المصنفة في التواريخ ولم أسمعه إلا عن محمد بن الحسين بن عباد أنه قال: مات أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام يوم جمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة، وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين ومائتين من الهجرة، ولم يحضره في ذلك الوقت إلا صقيل الجارية، وعقيد الخادم ومن علم الله عز وجل غيرهما.

قال عقيد: فدعا بماء قد أغلي بالمصطكي فجئنا به إليه، فقال: أبدأ بالصلاة هيئوني فجئنا به وبسطنا في حجرة المنديل فأخذ من صقيل الماء فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة، ومسح على رأسه وقدميه مسحاً، وصلى صلاة الصبح على فراشه، وأخذ القدح ليشرب فأقبل القدح يضرب ثناياه ويده ترتعد فأخذت صقيل القدح من يده، ومضى من ساعته (صلوات الله عليه)، ودفن في داره بسر من رأى إلى جانب أبيه (صلوات الله عليهما) فصار إلى كرامة الله جلّ جلاله، وقد كمل

---

(١) اعلام الورى: ٣٤٩، المناقب ٣: ٥٢٣، الغيبة الصغرى: ٢٣٠ و٢٣٤.

عمره تسعاً وعشرين سنة.

قال: وقال لي عباد في الحديث: قدمت أم أبي محمد عليه السلام من المدينة واسمها ـ حديث ـ حين اتصل بها الخبر الى سر من رأى، فكانت لها أقاصيص يطول شرحها مع أخيه جعفر، ومطالبته إياها بميراثه، وسعايته بها إلى السلطان، وكشفه ما أمر الله عز وجل بستره[1]، فادّعت عند ذلك صقيل أنها حامل، فحملت إلى دار المعتمد فجعل نساء المعتمد وخدمه، ونساء الموفق وخدمه، ونساء القاضي ابن أبي الشوارب يتعاهدن أمرها في كل وقت، ويراعون إلى أن دهمهم أمر الصفار، وموت عبيد الله بن يحيى بن خاقان بغتة، وخروجهم من سر من رأى، وأمر صاحب الزنج بالبصرة وغير ذلك فشغلهم ذلك عنها[2].

ـ وحدّث أبو الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علّته التي توفي فيها (صلوات الله عليه) فكتب معي كتباً وقال: امض بها إلى المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً، وتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل.

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمن؟

قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي، فقلت: زدني فقال: من يصلّي عليَّ فهو القائم بعدي، فقلت: زدني، فقال: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي، ثم منعتني هيبته أن أسأله عمّا في الهميان.

وخرجت بالكتب إلى المدائن، وأخذت جواباتها ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما ذكر لي عليه السلام فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار، والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه.

فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة، لأني كنت أعرفه

---

(١) المراد بالأمر المستور هو الحجة ابن الحسن (عليهما السلام) حيث كشفه جعفر للمعتمد مما حمله على اعتقال صقيل أمه لتخبره عن مكانه. لكن صقيل ادعت أنها حامل لتصرف نظر المعتمد عن ولدها المهدي.

(٢) كمال الدين ٢: ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

يشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزيت وهنأت فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفّن أخوك فقم وصلّ عليه، فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمّان، والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمة.

فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي (صلوات الله عليه) على نعشه مكفّناً، فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما همّ بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجبذ برداء جعفر بن علي وقال: تأخر يا عمّ فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر، وقد اربدّ وجهه واصفر.

فتقدم الصبي وصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام. ثم قال: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، فقلت في نفسي: هذه بينتان، بقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يرمز، فقال له حاجز الوشاء: يا سيدي من الصبي لنقيم الحجة عليه؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه.

ونحن جلوس إذ قدم نفر من قمّ فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام فعرفوا موته فقالوا: فمن نعزي؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزّوه وهنؤوه، وقالوا: إنّ معنا كتباً ومالاً، فتقول ممن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية، فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام، فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف له ذلك، فوجّه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبي فأنكرته وادّعت حبلاً بها لتغطي حال الصبي فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم، والحمد لله رب العالمين[1].

- وفي خبر عن محمد بن صالح بن علي بن محمد بن قنبر الكبير مولى الرضا عليه السلام قال: خرج صاحب الزمان على جعفر الكذاب من موضع لم يعلم به

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٧٣ ـ ٤٧٦.

عندما نازع في الميراث بعد مضي أبي محمد عليه السلام فقال له: يا جعفر ما لك تعرض في حقوقي؟

فتحير جعفر وبهت، ثم غاب عنه فطلبه جعفر بعد ذلك في الناس فلم يره، فلما ماتت الجدّة أم الحسن أمرت أن تدفن في الدار، فنازعهم وقال: هي داري لا تدفن فيها، فخرج عليه السلام فقال: يا جعفر أدارك هي؟ ثم غاب عنه فلم يره بعد ذلك[1].

محاولات اعتقال المهدي عليه السلام

دأبت السلطة الغاشمة على ملاحقة المهدي عليه السلام منذ أن علمت بوجوده حيّاً إثر المعلومات التي رفعها عنه عمه جعفر، بعد أن رآه في جملة مواقف، منها حينما حاول الصلاة على أخيه الحسن فظهر المهدي ومنعه من الصلاة عليه، ورآه ثانية عندما منع جعفر دفن أم الحسن عليه السلام في داره على حد زعمه، ورآه ثالثة عند مطالبته بميراث أخيه.

وعلى أثر علم المعتمد العباسي بهذه الأخبار بعث الى دار الحسن بن علي العسكري عليه السلام بخدمه في محاولة لإلقاء القبض على المهدي عليه السلام، إلا أنهم لم يعثروا عليه وألقوا القبض على أمه صقيل ومن كان معها في الدار.

ولما سئلت صقيل عن الصبي أنكرته وادّعت أنها حبلى لتصرف نظر السلطة عنه، وتزرع الشك في نفس من يبحث عنه، وتثبت للمعتمد كذب الأخبار التي ينقلها جعفر، وأنها مجرد أوهام وتخيلات لا واقع لها.

المحاولة الأولى:

كانت تلك المحاولة الأولى لإلقاء القبض عليه في زمن المعتمد العباسي وبعدها شغلته الأحداث عنه فلم يقدم على اعتقاله طيلة فترة حكمه، لكن عمليات التجسس عليه ومتابعة أخباره كانت قائمة على قدم وساق، غير أن مضاعفة الكتمان والسرية التي أضفاها على نشاطاته أحبطت مساعي الجواسيس ولم تمنحهم الفرصة للعثور على أي أثر يدل عليه.

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٤٢.

وفي زمن المعتضد قام بمحاولتين لاعتقاله لكنها فشلت هي الأخرى ولم يتمكن منه بسبب الإعجاز والرعاية الغيبية له. وسنذكر هذه المحاولات تباعاً.

المحاولة الأولى:

وقعت المحاولة الأولى زمن المعتمد العباسي بعد مرور سنة واحدة على استشهاد أبيه الحسن بن علي العسكري عليه السلام كما جاء في الخبر المذكور في (كمال الدين).

ـ حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: سمعت أبا الحسين الحسن بن وجناء يقول: حدثنا أبي، عن جده أنه كان في دار الحسن بن علي عليه السلام فكبستنا الخيل، وفيهم جعفر بن علي الكذّاب، واشتغلوا بالنهب والغارة. وكانت همتي في مولاي القائم عليه السلام قال: فإذا أنا به عليه السلام قد أقبل وخرج عليهم من الباب، وأنا أنظر إليه وهو عليه السلام ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب[1].

المحاولة الثانية: وقعت في زمن المعتضد العباسي:

ـ وحدث عن رشيق صاحب المادراي قال: بعث إلينا المعتضد ونحن ثلاثة نفر فأمرنا أن يركب كل واحد منا فرساً ويجنب آخر، ونخرج مخفين لا يكون معنا قليل، ولا كثير إلا على السرج مصلى، وقال لنا: الحقوا بسامراء ووصف لنا محلة وداراً وقال: إذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً أسود فاكبسوا الدار ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه، فوافينا سامرّاء فوجدنا الأمر كما وصفه، وفي الدهليز خادم أسود في يده تكة ينسجها، فسألناه عن الدار ومن فيها فقال: صاحبها. فوالله ما التفت إلينا وقل اكتراثه بنا، فكبسنا الدار كما أمرنا داراً سرية ومقابل الدار ستر ما نظرت قط إلى أنبل منه، كأن الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت.

ولم يكن في الدار أحد فرفعنا الستر فإذا بيت كبير كأنه بحر فيه ماء، وفي أقصى البيت حصير قد علمنا أنه على الماء، وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلي. فلم يلتفت إلينا ولا الى شيء من أسبابنا، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطى

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٧٣، من هو المهدي: ٤٧٧، الخرائج والجرائح: ٦٧، الغيبة الصغرى: ٥٥٩.

البيت فغرق في الماء وما زال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخلصته وأخرجته، وغشي عليه وبقي ساعة، وعاد صاحبي الثاني الى فعل ذلك الفعل، فناله مثل ذلك، وبقيت مبهوتاً، فقلت لصاحب البيت: المعذرة إلى الله وإليك، فوالله ما علمت كيف الخبر ولا إلى من أجيء وأنا تائب إلى الله، فما التفت إلى شيء مما قلنا، وما انفتل عما كان فيه، فهالنا ذلك وانصرفنا عنه.

وقد كان المعتضد ينتظرنا، وقد تقدم إلى الحجاب إذا وافيناه أن ندخل عليه في أي وقت كان، فوافيناه في بعض الليل فأدخلنا عليه فسألنا عن الخبر فحكينا له ما رأينا، فقال: ويحكم لقيكم أحد قبلي وجرى منكم إلى أحد سبب أو قول؟ قلنا: لا، فقال: أنا نفي من جدي ـ وحلف بأشد أيمان له ـ أنه إن بلغه هذا الخبر رجلاً ليضربن أعناقنا، فما جسرنا أن نحدث به إلا بعد موته[1].

المحاولة الثالثة: في زمن المعتضد أيضاً:

قال الراوي: ثم بعثوا عسكراً أكثر، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج، وأميرهم ـ يعني قائد الحملة ـ قائم حتى يصل [يصلي] العسكر كلهم. فخرج من السكة التي على باب السرداب، ومر عليهم، فلما غاب، قال الأمير: انزلوا عليه.

فقال: أليس هو مرّ عليك. فقال: ما رأيت. قال: ولم تركتموه. قالوا: إنا حسبنا أنك تراه[2].

الدليل الثاني: دلائل إمامة المهدي عليه السلام

أولاً: معاجزه:

إن من أدل الدلالات الدالة على صحة إمامته كثرة معاجزه، وعلمه بما خفي عنه ـ من أمور ـ بإذن الله. ولكثرة هذه المعاجز نكتفي بذكر بعضها للتدليل على ما قلناه.

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي:١٤٩، من هو المهدي: ٤٦٠.

(٢) البحار ١٣:١١٨، الغيبة الصغرى: ٥٦٠.

ـ أخبرنا جماعة، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن محمد بن يعقوب، رفعه إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار، قال: شككت عند مضي أبي محمد عليه السلام وكان اجتمع عند أبي مال جليل فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيعاً له، فوعك وعكاً شديداً فقال: يا بني ردني ردني فهو الموت، واتق الله في هذا المال، وأوصى إليّ ومات. فقلت في نفسي: لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح، أحمل هذا المال إلى العراق، وأكتري داراً على الشط، ولا أخبر أحداً، فإن وضح لي شيء كوضوحه أيام أبي محمد عليه السلام أنفذته وإلا تصدقت به. فقدمت العراق واكتريت داراً على الشط وبقيت أياماً، فإذا أنا برسول معه رقعة فيها: يا محمد معك كذا وكذا في جوف كذا وكذا حتى قص عليّ جميع ما معي مما لم أحط به علماً، فسلمت المال إلى الرسول وبقيت أياماً لا يرفع بي رأسي فاغتممت، فخرج إليّ: قد أقمناك مقام أبيك فاحمد الله[1].

ـ حدثنا أبو الحسن علي بن سنان الموصلي قال: حدثنا أبي قال: لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليهما) قدم من قم والجبال وفود بالأموال التي كانت تحمل على الرسم والعادة، ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام، فلما أن وصلوا إلى سر من رأى سألوا عن سيدنا الحسن عليه السلام فقيل لهم: إنه قد فقد، قالوا: ومن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي، فسألوا عنه فقيل لهم: إنه قد خرج متنزهاً وركب زورقاً في الدجلة ومعه المغنون.

قال: فتشاور القوم، وقالوا: هذه ليست من صفة الإمام، وقال: بعضهم لبعض: امضوا بنا حتى نرد هذه الأموال على أصحابها، فقال أبو العباس محمد بن جعفر الحميري القمي: قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة، قال: فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن من قم ومعنا جماعة من الشيعة، وغيرها وكذا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام الأموال، فقال: أين هي؟ قالوا: معنا.

قال: احملوها إلي، قالوا: لا إن لهذه الأموال خبراً طريفاً فقال: وما هو؟

---

(١) الغيبة للطوسي: ١٧٠، الكافي ١: ٥١٨.

قالوا: إن هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه، وكنا إذا أوردنا بالمال على سيدنا أبي محمد عليه السلام يقول: جملة المال كذا وكذا ديناراً من عند فلان كذا ومن عند فلان كذا حتى يأتي على أسماء الناس كلهم، ويقول ما على نقش الخواتيم، فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب ولا يعلمه إلا الله، قال: فلما سمع القوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر الى بعض، فقال لهم: احملوا هذا المال إليّ، قالوا: إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال، وإنا لا نسلم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام، فإن كنت الإمام فبرهن لنا وإلا رددنا الأموال الى أصحابها يرون فيها رأيهم.

قال: فدخل جعفر على الخليفة وكان بسر من رأى، فاستعدى عليهم فلما حضروا، قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر، قالوا: أصلح الله أمير المؤمنين إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال وهذه وديعة لجماعة وأمرونا أن لا نسلمها إلا بعلامة ودلالة وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال الخليفة: فما كانت العلامة التي كانت مع أبي محمد؟

قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال، وكم هي فإذا فعل ذلك سلمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا، وقد مات فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقيم لنا ما كان يقيمه أخوه، وإلا رددناها على أصحابها.

فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قوم كذابون على أخي وهذا علم الغيب.

فقال الخليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين، قال: فبهت جعفر ولم يرد جواباً، فقال القوم: يتطول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يبدرقنا حتى نخرج من هذه البلدة، قال: فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها.

فلما خرجوا من البلد خرج إليهم غلام من أحسن الناس وجهاً كأنه خادم فصاح: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم قال: فقالوا: أنت مولانا؟ قال: معاذ الله أنا عبد مولاكم فسيروا إليه قال: فسرنا إليه معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليه السلام فإذا ولده سيدنا القائم عليه السلام قاعداً على سرير

كأنه فلقة قمر، عليه ثياب خضر فسلمنا عليه فرد علينا ثم قال: جملة المال كذا، وكذا دينار، حمل فلان كذا وحمل فلان كذا، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان من الدواب، فخررنا سجداً لله عز وجل شكراً لما عرفنا وقبلنا الأرض بين يديه وسألناه عما أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم عليه السلام أنا لا نحمل إلى سر من رأى بعدها من المال، وأنه يُنصب لنا ببغداد رجلاً يُحمل إليه الأموال، ويخرج من عنده التوقيعات، قالوا: فانصرفنا من عنده، ودفع إلى أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري شيئاً من الحنوط والكفن، فقال له: أعظم الله أجرك في نفسك، قال: فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله، وكان بعد ذلك تحمل الأموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين بها، ويخرج من عندهم توقيعات[1].

ـ وبهذا الإسناد: عن بدر ـ غلام أحمد بن الحسن ـ قال: وردت الجبل وأنا لا أقول بالإمامة أحبهم جملة إلى أن مات يزيد بن عبد الملك فأوصى إلي في علته أن يدفع الشهري[2] السمند وسيفه ومنطقته إلى مولاه، فخفت إن لم أدفع الشهري إلى إذكوتكين نالني منه استخفاف، فقومت الدابة والسيف والمنطقة بسبع مائة دينار في نفسي ولم أطلع عليه أحداً، فإذا الكتاب قد ورد علي من العراق أن وجه السبع مائة دينار التي لنا قبلك من ثمن الشهري السمند والسيف والمنطقة[3].

ـ وبهذا الإسناد: عن علي عمن حدثه، قال: ولد مولود فكتبت أستأذن في تطهيره في اليوم السابع، فورد لا تفعل، فمات اليوم السابع أو الثامن، ثم كتبت بموته، فورد سيخلف الله غيره، وتسميه أحمد ومن بعد أحمد جعفر فجاء كما قال[4].

ـ في الكافي في ذكر تكملة الخبر: قال: وتهيأت للحج وودّعت الناس وكنت على الخروج فورد: نحن لذلك كارهون والأمر إليك، قال: فضاق صدري واغتممت وكتبت أنا مقيم على السمع والطاعة غير أني مغتم بتخلفي عن الحج فوقع: لا يضيقن صدرك فإنك ستحج من قابل إن شاء الله، قال: ولما كان من قابل

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٧٦، من هو المهدي: ٤٦٢ ـ ٤٦٤.
(٢) الشهرية بالكسر ضرب من البراذين.
(٣) الغيبة للطوسي: ١٧١، الكافي ١: ٥٢٢.
(٤) الغيبة للطوسي: ١٧١.

كتبت أستأذن، فورد الإذن فكتبت إني عادلت محمد بن العباس، وأنا واثق بديانته وصيانته، فورد الأسدي نعم العديل فإن قدم فلا تختر عليه، فقدم الأسدي وعادلته[1].

ـ الحسين بن الحسن العلوي قال: كان رجل من ندماء روز حسني، وآخر معه، فقال له: هوذا يجبي الأموال وله وكلاء وسموا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى هذا ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهمّ الوزير بالقبض عليهم فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل فإن هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله بن سليمان: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا ولكن دسوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه، قال: فخرج بأن يتقدم الى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً، وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر، فاندس لمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال: معي مال أريد أن أوصله، فقال له محمد: غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطفه ومحمد يتجاهل عليه، وبثوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدّم إليهم[2].

ثانياً: ومن دلائل إمامته نطقه ساعة الولادة

المعروف لدى الجميع أن أئمتنا عليهم السلام ينطقون الشهادتين ساعة الولادة دون تلكؤ، وهذا ما يميزهم عن سواهم.

إن التكلم المبكر للطفل أي طفل يُعد حالة غير طبيعية، لأنه يولد وهو صفحة بيضاء فارغة من أي شيء من المعلومات بما فيها ألفاظ اللغة ومفرداتها، ثم يلتقطها من محيطه لفظاً بالتدريج بمرور الزمن.

وما يدل على هذا من القرآن الكريم قوله تعالى: **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار...﴾**[3].

أما مايدل عليه عقلاً وواقعاً هو أن الطفل إذا كان يعيش في مجتمع عربي

---

(١) الكافي ١: ٥٢٢.

(٢) الكافي ١: ٥٢٥.

(٣) سورة النحل، آية: ٧٨.

تعلم اللغة العربية، وإذا كان فارسياً تعلم اللغة الفارسية وهكذا بالنسبة للغة السائدة في محيطه.

فنطق الطفل ساعة الولادة لا بد أن يكون إعجازاً مدهشاً وملفتاً للأنظار، وخارقاً للقانون الطبيعي ومعطلاً له، وحالة نادرة غير ميسورة إلا لمن يشاء الله من الأنبياء والأوصياء..

ولهذا السبب بالذات تعد هذه الحالة من العلامات الفارقة التي تميز الإمام عمن سواه.

فلو لاحظنا أبناء الأئمة الأطهار ـ وهم كثيرون ـ وطالعنا تاريخهم لوجدنا الناطقين منهم ساعة الولادة، قلة لا يتجاوز عددهم الاثني عشر المنصوص على إمامتهم من قبل الرسول الأعظم ﷺ، بما فيهم إمامنا المهدي عليه السلام.

ولذا أصبحت هذه الحالة الإعجازية من الدلائل المهمة الدالة بجلاء على صدق إمامته عليه السلام.

ونذكر فيما يلي بعض ما نطق به المهدي عليه السلام ساعة ولادته للتدليل على ما قلناه:

ففي رواية أنه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن جدي محمداً رسول الله، وأن أبي أمير المؤمنين، ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه. ثم قال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري وثبت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً[1].

وفي رواية أخرى قال: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة. ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك[2].

وفي رواية ثالثة تلا قوله تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم...﴾** إلى آخر الآية[3].

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٢٦ ـ ٤٢٨.
(٢) كمال الدين ٢: ٤٢٥.
(٣) كمال الدين ٢: ٤٣٣.

وفي رواية رابعة تلا قوله تعالى: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين...**﴾ إلى آخر الآية[1].

ثالثا: ومن دلائل إمامته حيازته للولاية التكونية

ومن الأدلة المهمة أيضاً التي تثبت إمامته وصدق دعوته عليه السلام أنه كان يمتلك القدرات الفائقة، والمواهب العظيمة التي منحه الله إياها ليستطيع بواسطتها إنجاز مهامه الرسالية في تلك الظروف العصيبة، ويحرسه بها من كيد أعدائه الحاقدين المتربصين به، والساعين بجد للعثور عليه وتصفية وجوده.

فلولا رعاية الله له، وتسخير كل ما في الكون من أشياء لخدمة أغراضه، وجعلها رهن إشارته وطاعته لما تمكن المهدي عليه السلام من معايشة أولئك الحكام الظالمين الذين فتكوا بآبائه الطاهرين من قبل لحظة واحدة.

إن الولاية التكونية التي منحها الله للإمام المهدي عليه السلام، كما منحت للأنبياء والأئمة من قبله هي التي جعلته قادراً على حل أشد المعضلات صعوبة، وأكثرها خطورة.

وليست الولاية التكونية صفة عرضية قابلة للزوال كما يتصورها البعض، حيث يظن أنها بمثابة سلاح مؤقت يمنحه الله لأنبيائه وأوصيائه حينما يكلفهم بأداء مأمورية ما، ثم يسلبه منهم بعد أدائها.. فهم لا يملكون شيئاً إلا ما ملّكهم الله كما يزعم أصحاب هذا التصور الساذج الذي لا يدرك سوى المعاني الظاهرية للقرآن الكريم فقط.

إن الولاية التكونية لا كما يتصورها هذا البعض، وإنما هي صفة جوهرية ثابتة ومتأصلة في ذات النبي أو الوصي، وملازمة له، لا تنفك عنه طيلة مراحل دعوته، إذ لولاها لما تمكن من إقامة الدلائل الظاهرة، والبراهين الباهرة على صدق وصحة رسالته، وأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموجد الوجود وهو الله سبحانه وتعالى، ولولا ارتباطها به لما ظهرت حججها وما بانت دلائلها، وما استمر وجودها عبر العصور والقرون الحالكة.

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٢٥.

ومنشأ الولاية التكونية أساساً هو العلم والمعرفة، كما أشار القرآن المجيد لذلك بصراحة في سورة النمل بقوله تعالى: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به - يعني عرش ملكة سبأ - قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده...**﴾[1].

فإذا كان الذي عنده علم من الكتاب.. استطاع أن يأتي بعرش ملكة سبأ من اليمن الى فلسطين بأقل من طرفة عين، فكيف بمن عنده علم الكتاب كله؟ ألا يكون أقدر من هذا على استثمار الولاية التكونية عندما تقتضي الضرورة ذلك.

وبما أن الأنبياء والأئمة الأطهار - بما فيهم الإمام المهدي عليه السلام - هم معادن علم الله، ومستودع أسراره، ومظاهر قدرته وعظمته، فهم قادرون على استخدام كل مفردات الكون ومخلوقات الله، لتحقيق أهدافهم الرسالية المنشودة.

فلا ريب في حيازة الإمام المهدي عليه السلام للولاية التكونية باعتباره الإمام الثاني عشر وخاتم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه ملزم بحماية شرع الله في أحلك الظروف وأشدها تعقيداً فلا بد له أن يمتلك القدرات العظيمة التي تمكنه من اجتياز الموانع الشائكة، والعقبات الصعبة التي تعترض سبيله، كيف لا وهو وارث علم الأنبياء والأوصياء أجمعين، وحائز كراماتهم وفضائلهم، ومجسد آمالهم وطموحاتهم في إيجاد دولة الحق والعدالة.

وهذه بعض الشواهد والنصوص الدالة على ذلك:

- كمال الدين: أحمد بن زياد، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الديان أو الريان بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب الأمر؟ فقال: أنا صاحب الأمر ولكني لست بالذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني، ولكن القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ، منظر الشبان، قوي في بدنه حتى لو مد يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، كون معه عصا موسى، وخاتم سليمان عليه السلام، وذلك الرابع من ولدي يغيبه الله في ستره ما شاء الله، ثم يظهر

---

(١) سورة النمل آية: ٤٠.

فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[1].

غيبة الطوسي: في واحد من التوقيعات

عن المهدي عليه السلام أنه قال: ثم بعث إليهم النبيين (صلوات الله عليهم) مبشرين ومنذرين، يأمرونهم بطاعته، وينهونهم عن معصيته. ويعرفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً، وبعث إليهم ملائكة، يأتين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة، والبراهين الباهرة، والآيات الغالبة، فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً، واتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، وجعل عصاه ثعباناً مبيناً، ومنهم من أحيى الموتى بإذن الله، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، ومنهم من علمه منطق الطير، وأوتي من كل شيء، ثم بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين وتمم به نعمته، وختم به أنبياءه، وأرسله الى الناس كافة، وأظهر من صدقه ما أظهر، وبيّن من آياته وعلاماته ما بيّن، ثم قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً، وجعل الأمر بعده إلى أخيه، وابن عمه ووصيه ووارثه علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الى الأوصياء من ولده واحداً واحداً، أحيى بهم دينه، وأتم بهم نوره، وجعل بينهم وبين إخوانهم وبني عمهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاناً بيّناً يعرف به الحجة من المحجوج، والإمام من المأموم، بأن عصمهم من الذنوب، وبرأهم من العيوب، وطهرهم من الدنس، ونزّههم من اللبس، وجعلهم خزان علمه، ومستودع حكمته، وموضع سرّه، وأيدهم بالدلائل، ولولا ذلك لكان الناس على سواء، ولادّعى أمر الله عز وجل كل أحد، ولما عرف الحق من الباطل، ولا العالم من الجاهل... الى آخره[2].

ـ وخلاصة الشاهدين تؤيد ما قلنا من أن الله تعالى يرسل الرسل مؤيدين بالدلائل والآيات والولاية التكوينية، ليثبت بها صدق دعوتهم، وكذا الأئمة الأطهار وأوصياء الرسل بعد أن يميزهم عن سائر الخلق وعن أرحامهم: بالطهارة من الرجس، والعصمة من الذنوب، والسلامة من العيوب، ويمدهم بالعلم والحكمة.

---

(١) كمال الدين ٢: ٣٧٦.
(٢) الغيبة للطوسي: ١٧٤ ـ ١٧٥.

ولولا هذه المميزات والفوارق لما امتاز الإمام عن المأموم، والحجة من المحجوج، والحق من الباطل، والعالم من الجاهل، ولادّعى كل واحد من الناس أنه الإمام.

وهذه بعض المصاديق الدالة على حيازة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ للولاية التكونية بالإضافة الى ما تقدم:

ـ علي بن محمد، عن أبي أحمد بن راشد، عن بعض أهل المدائن قال: كنت حاجاً مع رفيق لي فوافينا إلى الموقف فإذا شاب قاعد عليه إزار ورداء وفي رجليه نعل صفراء، قوّمت الإزار والرداء بمائة وخمسين ديناراً وليس عليه أثر السفر فدنا منا سائل فرددناه، فدنا من الشاب فسأله فحمل شيئاً من الأرض وناوله فدعا له السائل واجتهد في الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنا، فدنونا من السائل فقلنا له: ويحك ما أعطاك؟

فأرانا حصاة ذهب مضرسة قدرناها عشرين مثقالاً، فقلت لصاحبي: مولانا عندنا ونحن لا ندري، ثم ذهبنا في طلبه فدرنا الموقف كله فلم نقدر عليه، فسألنا كل من كان حوله من أهل مكة والمدينة فقالوا: شاب علوي يحج في كل سنة ماشياً[1].

ـ الحسن بن خفيف عن أبيه قال: بعث (يعني الصاحب عَلَيْهِ السَّلَامُ) بخدم إلى مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومعهم خادمان، وكتب إلى خفيف أن يخرج معهم، فخرج معهم فلما وصلوا إلى الكوفة شرب أحد الخادمين مسكراً، فما خرجوا من الكوفة حتى ورد كتاب من العسكر ـ يعني سر من رأى ـ برد الخادم الذي شرب المسكر وعزل عن الخدمة[2].

ـ علي عن علي بن الحسين اليماني قال: كنت ببغداد فتهيأت قافلة لليمانيين فأردت الخروج معها، فكتبت ألتمس الإذن في ذلك، فخرج: لا تخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خيرة وأقم بالكوفة، قال: وأقمت وخرجت القافلة فخرجت عليهم حنظلة فاجتاحتهم، وكتبت أستأذن في ركوب الماء فلم يؤذن لي،

(١) الكافي ١: ٢٦٨.
(٢) الكافي ١: ٤٣٩.

فسألت عن المراكب التي خرجت في تلك السنة في البحر فما سلم منها مركب، خرج عليها قوم من الهند يقال لهم البوارج فقطعوا عليها. . . الى آخره[1].

وذكرنا فيما مرّ في باب محاولات اعتقاله جملة من الأخبار التي ذكرت نجاة الإمام من أعدائه بأعجوبه بفضل رعاية الله له، وحيازته الولاية التكونية التي جعلته يمر من بينهم بسلام دون أن يصل إليه منهم أي أذى.

وفي باب معاجزه أنه تمكن من إحباط مخطط أعدائه في كبس وكلائه وقتلهم، حيث دسوا إليهم من يحمل المال لهم ليتعرفوا عليهم ثم يقتلوهم الواحد تلو الآخر، لكن الإمام أمر وكلاءه تلك السنة بعدم أخذ المال من أحد، فأحبط المخطط ونجا الوكلاء من القتل.

فهذه الشواهد وغيرها مما ذكر في كتب التاريخ والحديث والسير عن الإمام المهدي عليه السلام تدل دلالة صريحة على حيازته للولاية التكونية التي حفظته من شرور أعدائه، وحفظت الإسلام الأصيل المتجسد بمذهب أهل البيت عليهم السلام من التحريف والتسويف والاضمحلال. .

رابعاً: ومن دلائل إمامته سعة علمه

ومن أهم خصائص الإمام عليه السلام وسماته هي سعة علمه واطلاعه على سائر العلوم الإسلامية، واستيعابه لجميع محتويات القرآن الكريم، وقدرته الفائقة على تفسير آياته بصورة صحيحة تنسجم مع متبينات الإسلام أصولاً وفروعاً دون استثناء. . ومعنى هذا أن يكون الإمام عليه السلام أعلم العلماء والفقهاء الموجودين في زمانه بحيث يحتاج لعلمه الكل في حل أعقد المسائل وأكثرها صعوبة، وهم مستغنى عنهم جميعاً لتفوقه العلمي وإحاطته الشاملة للعلوم الدينية والدنيوية.

ويلزمنا لإثبات تفوقه العلمي، الإحاطة التامة بجميع آثاره العلمية التي لم يبق منها إلا الشيء اليسير، لأن ظروف القهر والإرهاب والمطاردة الدائمة، والاحتجاب عن الندوات العلمية والأوساط الاجتماعية والعمل السري وراء الحجب لم يتح الفرص المناسبة ليفصح بها الإمام عليه السلام عما يختزنه من العلوم في صدره. .

---

(١) الكافي ١: ٤٣٦.

لذا لم نر من آثاره العلمية عدا الرسائل الصادرة من الناحية المقدسة وهي قليلة لا تتعدى عدد أصابع اليد بالإضافة الى جملة من الأحاديث التي رواها وكلاؤه.

وبالرغم من قلة الآثار العلمية للإمام عليه السلام وندرتها نستطيع أن نثبت تفوقه العلمي بعرض بعض آثاره العلمية المهمة، التي أجاب بها على أهم المسائل العلمية التي عجز عن الإجابة عنها أبرز علماء ذلك العصر.

منها: ما جاء في كتاب (كمال الدين) عن محمد بن علي بن حاتم النوفلي، المعروف بالكرماني، عن أبي العباس أحمد بن عيسى الوشاء البغدادي، عن أحمد ابن طاهر القمي، عن محمد بن بحر بن سهل الشيباني، عن أحمد بن مسرور، عن سعد بن عبدالله القمي الذي حظي بلقاء الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام في سر من رأى برفقة أحمد بن إسحاق، قال سعد: نظر إليّ مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: ما جاء بك يا سعد؟ فقلت: شوّقني أحمد بن إسحاق على لقاء مولانا، قال: والمسائل التي أردت أن تسأله عنها؟ قلت: على حالها يا مولاي، قال: فسل قرة عيني ـ وأومأ إلى الغلام: يعني به الإمام المهدي عليه السلام ـ فقال لي الغلام: سل عمّا بدا لك منها، فقلت له: مولانا وابن مولانا إنا روينا عنكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين عليه السلام حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة: إنك قد أجهزت على الإسلام وأهله بفتنتك وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كففت عني غربك وإلا طلقتك، ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان طلاقهن وفاته؟ قال: ما الطلاق؟ قلت تخلية السبيل، قال:

فإذا كان طلاقهن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قد خلّيت لهن السبيل فلِمَ لا يحل لهن الزواج؟ قلت: لأن الله تبارك وتعالى حرم الزواج عليهن، قال: كيف وقد خلّى الموت سبيلهن؟ قلت: فأخبرني يا بابن مولاي عن معنى الطلاق الذي فوّض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله فخصهنّ بشرف الأمهات، فقال رسول الله: «يا أبا الحسن إن هذا الشرف باق لهن ما دمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الزواج، وأسقطها

من شرف أمومة المؤمنين.

قلت: فأخبرني عن الفاحشة المبينة التي إذا أتت المرأة بها في عدّتها حلّ للزوج أن يخرجها من بيته؟

قال: الفاحشة المبينة هي السحق دون الزنا، فإن المرأة إذا زنت وأقيم عليها الحدّ ليس لمن أرادها أن يمتنع بعد ذلك من التزوج بها لأجل الحدّ، وإذا سحقت وجب عليها الرجم، والرجم خزي ومن قد أمر الله برجمه فقد أخزاه، ومن أخزاه فقد أبعده، ومن أبعده فليس لأحد أن يقربه.

قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن أمر الله لنبيه موسى عليه السلام: **﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾**، فإن فقهاء الفريقين يزعمون أنها كانت من إهاب الميتة.

فقال عليه السلام: من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوته لأنه ما خلا الأمر من خطيئتين: إما أن تكون صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت صلاته جائزة جاز له لبسهما في تلك البقعة، وإن كانت مقدّسة مطهرة فليست بأقدس وأطهر من الصلاة وإن كانت صلاته غير جائزة فيهما فقد أوجب على موسى أنه لم يعرف الحلال من الحرام، وما علم ما تجوز فيه الصلاة وما لم تجز، وهذا كفر.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما. قال: إن موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عمّن سواك ـ وكان شديد الحب لأهله ـ فقال الله تعالى: اخلع نعليك أي انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً.

قلت: فأخبرني يا بن رسول الله عن تأويل «كهيعص»؟

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عليها عبده زكريا، ثم قصّها على محمد صلى الله عليه وآله، وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبرائيل فعلّمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين سرى عنه همّه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: يا إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تعالى عن قصته،

وقال: «كهيعص»: فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة، والياء: يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين: عطشه، والصاد: صبره.

فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهي أتفجع خير خلقك بولده، إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه، إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة، إلهي أتحل كربة هذه الفجيعة بساحتهما؟

ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقر به عيني على الكبر، واجعله وارثاً وصياً، واجعل محله مني محل الحسين، فإذا رزقتنيه فافتني بحبه، ثم فجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده. فرزقه الله يحيى وفجعه به، كان حمل يحيى ستة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك، وله قصة طويلة.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال: مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح، قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟ قلت: بلى، قال: فهي العلّة، وأوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك، أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى وأنزل عليهم الكتاب وأيدهم بالوحي والعصمة إنهم أعلام الأمم، وأهدى إلى الاختيار منهم مثل موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا همّا بالاختيار أن يقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن، قلت: لا.

فقال: هذا موسى كليم الله مع وفور عقله، وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله تعالى: ﴿**واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا**﴾[1] وقوله ﴿**لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**﴾[2] وقوله ﴿**فأخذتهم الصاعقة بظلمهم**﴾[3] فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

اختيار إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور وما تكنّ الضمائر، وتتصرف عليه السرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح.

ثم قال مولانا: يا سعد وحين ادّعى خصمك أن رسول الله ﷺ لمّا أخرج مع نفسه مختار هذه الأمة إلى الغار ألا علمنا منه أن الخلافة له من بعده، وأنه هو المقلّد أمور التأويل، والملقى إليه أزمة الأمة، وعليه المعوّل في لمّ الشعث، وسدّ الخلل، وإقامة الحدود، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الكفر، فكما أشفق على نبوته أشفق على خلافته إذ لم يكن من حكم الاستتار والتواري أن يروم الهارب من الشر مساعدة من غيره إلى مكان يستخفي فيه، وإنما أبات علياً على فراشه لما لم يكن يكترث له ولم يحفل به لاستثقاله إياه وعلمه أنه إن قتل لم يتعذر عليه نصب غيره مكانه للخطوب التي كان يصلح لها. فهلا نقضت عليه دعواه بقولك أليس قال رسول الله ﷺ: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، فجعل هذه موقوفة على أعمار الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدون في مذهبكم فكان لا يجد بداً من قوله لك: بلى، قلت: فكيف تقول حينئذٍ: أليس كما علم رسول الله أن الخلافة من بعده لأبي بكر علم أنها من بعد أبي بكر لعمر، ومن بعد عمر لعثمان، ومن بعد عثمان لعلي فكان أيضاً لا يجد بداً من قوله لك: نعم، ثم كنت تقول له: فكان الواجب على رسول الله ﷺ أن يخرجهم جميعاً [على الترتيب] إلى الغار ويشفق عليهم كما أشفق على أبي بكر، ولا يستخف بقدر هؤلاء الثلاثة بتركه إياهم وتخصيصه أبا بكر وإخراجه مع نفسه دونهم.

ولما قال: أخبرني عن الصديق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟ لِمَ لم تقل له: بل أسلما طمعاً، وذلك بأنهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عمّا كانوا يجدون في التوراة، وفي سائر الكتب المتقدمة بالملاحم من حال إلى حال من قصة محمد ﷺ ومن عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر أن محمداً يسلّط على العرب كما كان بختنصر سلّط على بني إسرائيل، ولا بد له من الظفر بالعرب كما ظفر بختنصر ببني إسرائيل غير أنه كاذب في دعواه أنه نبي. فأتيا محمداً فساعداه على شهادة أن لا إله إلا الله، وبايعاه طمعاً في أن ينال كل واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أموره، واستتبت أحواله فلما أيسا من ذلك تلثما وصعدا العقبة مع

عدّة من أمثالهما من المنافقين على أن يقتلوه فدفع الله تعالى كيدهم وردّهم بغيظهم لم ينالوا خيراً كما أتى طلحة والزبير علياً عليه السلام فبايعاه وطمع كل واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد، فلما أيسا نكثا ببيعته وخرجا عليه فصرع الله كل واحد منهما مصرع أشباههما من الناكثين.

قال سعد: ثم قام مولانا الحسن بن علي الهادي عليه السلام للصلاة مع الغلام فانصرفت عنهما وطلبت أثر أحمد بن إسحاق فاستقبلني باكياً فقلت: ما أبطاك وأبكاك؟...[1].

ـ أخبرني جماعة، عن أبي محمد التلعكبري، عن أحمد بن علي الرازي، عن الحسين بن علي القمي، عن أبي محمد بن علي بن بنان الطلحي الآبي، عن علي بن محمد بن عبدة النيسابوري، قال: حدثني علي بن إبراهيم الرازي، قال: حدثني الشيخ الموثوق به بمدينة السلام، قال: تشاجر ابن أبي غانم القزويني، وجماعة من الشيعة في الخلف، فذكر ابن أبي غانم أن أبا محمد عليه السلام مضى ولا خلف له. ثم انهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموه بما تشاجروا فيه.

فورد جواب كتابهم بخطه عليه وعلى آبائه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله وإياكم من الضلالة والفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب، أنه أنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمورهم، فغمنا ذلك لكم لا لنا وساءنا فيكم لا فينا، لأن الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا، ونحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا يا هؤلاء ما لكم في الريب تترددون، وفي الحيرة تنعكسون، أوما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾؟ أوما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم عن الماضين والباقين منهم عليهم السلام؟ أوما رأيتم كيف جعل لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام الى أن ظهر الماضي عليه السلام، كلما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم؟ فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله تعالى أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله سبحانه وهم كارهون، وأن

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٥٨ ـ ٤٦٣.

الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل، وفينا وصيته وعلمه، ومن هو خلفه ومن هو يسد مسده، لا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم، ولا يدعيه دوننا إلا جاحد كافر، ولولا أن أمر الله تعالى لا يغلب، وسره لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقنا ما تبين منه عقولكم، ويزيل شكوككم، لكنه ما شاء الله كان، ولكل أجل كتاب، فاتقوا الله وسلموا لنا، وردوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ولا تميلوا عن اليمين، ولا تعدلوا الى الشمال، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنة الواضحة، فقد نصحت لكم والله شاهد علي وعليكم، ولولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم، والإشفاق عليكم، لكنا عن مخاطبتكم في شغل فيما قد امتحنا به من منازعة الظالم العتلّ[1] الضال المتتابع في غيه المضاد لربه، الداعي ما ليس له، الجاحد حق من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب، وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة وسيردي الجاهل رداءة عمله، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلها برحمته، فإنه ولي ذلك والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين، ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً[2].

ـ وأخبرنا الحسين بن إبراهيم، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب (قال حدثني) أبو الحسن أحمد بن محمد بن تربك الرهاوي، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (أو قال أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي) قال: اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عز وجل فوض إلى الأئمة (صلوات الله عليهم) أن يخلقوا أو يرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله تعالى لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل، وقال آخرون: بل الله تعالى أقدر الأئمة على ذلك وفوضه إليهم فخلقوا ورزقوا وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً فقال قائل: ما بالكم لا

---

(١) في البحار: الظالم الضال جعفر الكذاب، ويحتمل خليفة ذلك الزمان. والعتلّ: بضمتين مشدودة اللام الأكول المنيع الجافي الغليظ (القاموس).
(٢) الغيبة للطوسي: ١٧٣.

ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري فتسألونه عن ذلك فيوضح لكم الحق فيه فإنه الطريق إلى صاحب الأمر عجل الله فرجه، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: «إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق لأنه ليس بجسم، ولا حالّ في جسم ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم»[1].

ـ المتأمل في هذه النصوص والنصوص المارة الذكر ـ في باب حيازة المهدي عليه السلام للولاية التكونية ـ يجدها تنطوي على مسائل كلامية عسيرة الهضم، استعصت على كثير من فطاحل العلم المعاصرين للإمام المهدي عليه السلام، كالتوحيد والنبوة والإمامة وغيرها من المسائل العقائدية والتاريخية التي تناولها الإمام عليه السلام باقتدار فائق، وأسلوب رائع، بسيط العبائر، عميق المعاني بمستوى فهم الجميع على اختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية.. فقلما يستطيع العالم الماهر المتقن لصنعته أن يطرح مثل هذه المسائل الصعبة بأسلوب بسيط لا يصعب على أحد فهمه وإن دنا مستواه العلمي والثقافي..

ولعل البعض يظن بأننا بالغنا في وصف أسلوب الإمام عليه السلام وتقييمه، بينما نرى أن العكس هو الصحيح، لأننا لم نكن بالمستوى المطلوب الذي يؤهلنا لتقييم هذه النصوص وإعطائها حقها كما ينبغي..

فهي نصوص فريدة من نوعها، لأنها تمتاز بخصائص رائعة ميزتها عن غيرها، ورفعتها الى ذروة الكمال الأدبي.

لقد عبرت هذه النصوص العلمية عن أعمق المعاني بأبسط الألفاظ، وأقصر الجمل، وتحاشت الألفاظ الغريبة التي يمجها السمع، ويرفضها الذوق الأدبي السليم. فبالرغم من الفاصلة الزمنية الطويلة بين زمن إنشائها والزمن الحالي، نجدها وكأنها وليدة يومنا هذا لا غرابة فيها ولا تعقيد.

ثم امتازت هذه النصوص أيضاً بالسبك المتين، والترابط الوثيق، والانسجام

---

(١) الغيبة للطوسي: ١٧٨.

التام بين جملها ومفرداتها بحيث سهّلت علينا فهم معانيها العميقة وعلومها الغزيرة.

إن أداء المعاني العلمية المعمقة بأسلوب بسيط كهذا يدل على سعة اطلاع الإمام عليه السلام بالعلوم الإسلامية، واستيعابه لأعقد المسائل الكلامية وأصعبها هضماً.

أليست هذه معجزة أخرى تضاف لمعاجزه الباهرة، إذ سبق له أن تكلم في ساعة الولادة بأمور هامة حيث نطق بوحدانية الله، وبنبوة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإمامة آبائه عليهم السلام الواحد تلو الآخر حتى يصل لنفسه المقدسة عليه السلام.

إن هذه المعاجز تثبت صدق دعوى الإمام بالإمامة، وصحة آرائه، إذ لو لم يكن إماماً معصوماً من الذنوب، مطهراً من الرجس، منزهاً من العيوب، مسدداً من قبل الله لما تمكن أن يظهر مثل هذه المعاجز الباهرة، والكرامات الظاهرة.

ولم يكن الإمام أول من نطق بالمسائل العلمية في صغر سنه، بل سبقه الباقر، والكاظم، والجواد عليهم السلام حيث أظهروا نظير هذه الكرامات حينما خاضوا الحوار حول أصعب وأهم المسائل العلمية مع أبرز علماء عصرهم[1].

ولكن ما يزيد دهشتنا ويثير إعجابنا أكثر هو أن المهدي عليه السلام كان أصغرهم سناً، إذ لم يكن عمره الشريف يتجاوز الأربع سنوات، مع ذلك أظهر من العلوم ما أذهل به العقول النيرة، والبصائر الخيرة، والسر في ذلك يكمن في أن المهدي عليه السلام والأئمة الأطهار الذين سبقوه بإظهار مثل هذه الكرامات من أهل بيت طهّرهم الله وزقهم العلم زقاً.

فعلم المهدي عليه السلام وراثيّ إلهاميّ، وليس علماً تحصيلياً اكتسابياً، لأن الطفل في مثل سنه غير مؤهل لاكتساب الدروس التمهيدية والابتدائية، فكيف به وهو قد استوعب أسمى العلوم رفعة، وأكثرها دقة وأعمقها مغزى، وأشملها سعة..

خامساً: ومن دلائل إمامته كثرة النصوص الواردة فيها

حينما يطالع المرء كثرة النصوص الدالة على إمامة المهدي عليه السلام يشعر بأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الأطهار عليهم السلام قد غمروا هذه المسألة بعناية

---

(١) راجع الاختصاص للمفيد: ١٨٩، الكافي ٣: ٢٩٧، المستدرك ١٧: ٢٦٦، تحف العقول: ٣٣٥، ما رواه الحواريون ١: ٧٤ ط ـ قم.

خاصة لا نظير لها.

فالروايات الدالة على صدقها وثبوتها من الفريقين من الكثرة بمكان بحيث أحصي أربع مائة حديث عن النبي ﷺ من طرق إخواننا أهل السنة فحسب، وأكثر من ستة آلاف حديث للشيعة والسنة معاً.

فهذا الاهتمام البالغ من قبل الرسول الأعظم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام بهذه القضية يؤكد أنها قضية عقائدية حيوية، ذات أبعاد استراتيجية مهمة بالنسبة لإدامة الرسالة الإسلامية وإبقائها حية ـ رغم كثرة ما يعترض سبيلها من عقبات شائكة ـ الى قيام الساعة.

إذ لو لم تكن بهذه الدرجة من الأهمية القصوى لما ركّز عليها الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام من بعده هذا التركيز المكثف الذي أرغم علماء الفريقين من المسلمين على الاهتمام بها وتدوينها في أبواب خاصة في كتب حديثهم وصحاحهم المشهورة، والذي يتصفحها لا يجد أي قضية من القضايا الإسلامية الأخرى نالت هذا الاهتمام العظيم من الرسول والأئمة من بعده (صلوات الله عليهم أجمعين).

ولعل هذا الاهتمام يشير إلى أن القضية سيطول عليها الأمد فخشي الرسول والأئمة (صلوات الله عليهم) أن تهمل ويطويها النسيان، أو تتعرض لأمواج من الشكوك والتكذيب بحيث يتم تسويفها وتميعها بمرور الزمن. لذا ركزوا عليها لتنطبع بوجدان الأمة، ولا تمحى من ذاكرتها مهما تعرضت لهزات عنيفة تثار من قبل أعداء الإسلام الساعين إلى إطفاء جذوة الأمل في قلوب المسلمين، وزرع اليأس والقنوط في نفوسهم ليستسلموا للأمر الواقع، ويذعنوا لهيمنة الاستكبار العالمي ولا يبدوا أية ردود فعل تذكر، إزاء جرائمهم الوحشية، واستثمارهم البشع لأهم خيراتهم، ونهب ثرواتهم دون رقيب..

ولذا ترى أذناب الاستكبار وعملائه في كل مكان يسعون بجد في هذه الأيام لتنفيذ المخطط السالف الذكر دون كلل أو ملل، ولكن جهودهم ستذهب هباء؛ لأننا مطمئنون بأن إيمان الأمة الذي رسخته كثرة الأحاديث المسندة المتواترة في أعماق وجدانها لا يتزعزع بمثل هذه الخزعبلات التي نسجتها أقلام الكتاب المأجورين، وروّجتها وسائل الإعلام المضاد في عواصم دول الكفر والنفاق.

ولسنا الآن بصدد الرد على هؤلاء المأجورين، لأننا عقدنا فصلاً كاملاً للرد على شبهاتهم وإشكالاتهم الواهية التي لا تستند الى دليل، وإنما نريد أن نذكر بعض النصوص الدالة على إمامة المهدي عن الرسول ﷺ والأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) من طرق الشيعة والسنة، كما ذكرنا قسماً منها من طرق العامة ضمن الموضوعات المتقدمة، وبذا نثبت إجماع الأمة واتفاق علمائها على صحة قضية المهدي عليه السلام، وأنها جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية السالمة من التسويف والتحريف.

الحديث الأول عن رسول الله (ﷺ)

ـ جاء في كمال الدين: عن محمد بن موسى المتوكل ـ رحمه الله ـ عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: حدثني جبرائيل، عن رب العزة جل جلاله أنه قال:

من علم أنه لا إله إلا أنا وحدي، وأن محمداً عبدي ورسولي، وأن علي بن أبي طالب خليفتي، وأن الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنة برحمتي وأنجيته من النار بعفوي، وأبحت له جواري، وأوجبت له كرامتي، وأتممت عليه نعمتي، وجعلته من خاصتي وخالصتي، إن ناداني لبيته، وإن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن سكت ابتدأته، وإن أساء رحمته، وإن فرّ مني دعوته، وإن رجع إليّ قبلته وإن قرع بابي فتحته له.

ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن محمداً عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن عليّ بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي فقد جحد نعمتي، وصغّر عظمتي، وكفر بآياتي وكتبي، إن قصدني حجبته، وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع نداؤه وإن دعاني لم أستجب دعاؤه، وإن رجاني خيبته، وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلام للعبيد.

فقام جابر بن عبدالله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومن الأئمة من ولد

علي بن أبي طالب؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن، والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي، وستدركه يا جابر، فإذا أدركته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم التقي محمد بن علي، ثم النقي علي بن محمد، ثم الزكي الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي من أطاعهم فقد أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله عز وجل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الأرض أن تميد بأهلها[1].

الحديث الثاني عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ـ وفي الكافي: علي بن محمد، عن عبدالله بن محمد بن خالد، عن منذر بن محمد بن قابوس، عن منصور بن السندي، عن أبي داود المسترق عن ثعلبة بن ميمون، عن مالك الجهني، عن الحارث بن المغيرة، عن الأصبغ بن نباتة قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكراً ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين ما لي أراك متفكراً تنكت في الأرض أرغبة منك فيها؟

فقال: لا والله ما رغبت فيها، ولا في الدنيا يوماً قط، ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي، وهو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً..[2].

الحديث الثالث عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام

ـ وكمال الدين: عن المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي، عن

---

(١) كمال الدين ١: ٥٢٨، كفاية الأثر: ١٤٣.

(٢) الكافي ١: ٢٧٣، الغيبة للطوسي: ١٠٣، وكمال الدين ١: ٢٨٨، كفاية الأثر: ٢١٩.

جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبيه، عن جبرئيل بن أحمد، عن موسى بن جعفر البغدادي، عن الحسن بن محمد الصيرفي، عن حنان بن سدير، عن أبيه سدير بن حكيم، عن أبيه أبي سعيد عقيصا قال: لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ؟ قالوا: بلى. قال: أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً، أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، وذلك ليعلم أنّ الله على كل شيء قدير[١].

الحديث الرابع عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام

ـ في إثبات الهداة: قال فضل بن شاذان في كتاب «الرجعة» حدثنا الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن ثابت بن أبي صفية، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: إنّ الحسين عليه السلام قال: يظهر الله قائمنا فينتقم من الظالمين، فقيل له: يا ابن رسول الله من قائمكم؟

قال: السابع من ولد ابني، محمد بن علي وهو الحجة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني، وهو الذي يغيب مدة طويلة ثم يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً[٢].

---

(١) كمال الدين ١: ٣١٥، كفاية الأثر: ٣١٧، ونقله في البحار ٥٢: ٢٧٩ عن الاحتجاج.
(٢) إثبات الهداة ٧: ١٣٨.

الحديث الخامس عن الإمام زين العابدين عليه السلام

ـ وفي كمال الدين: علي بن عبدالله البرقي قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفي، عن عبدالله بن موسى، عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني. قال: حدثني صفوان بن يحيى، عن إبراهيم بن أبي زياد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله عز وجل طاعتهم ومودتهم وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: يا كابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة للناس، وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن، ثم الحسين ابنا عليّ بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا ثم يسكت، فقلت: يا سيدي روي لنا أن أمير المؤمنين قال: إن الأرض لا تخلو من حجة على عباده من الحجة والإمام بعدك؟

فقال: ابني محمد، واسمه في التوراة باقر يبقر العلم بقراً، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فسموه الصادق، فإن للخامس من ولده ولداً اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراء على الله عزّ وجلّ، وكذباً عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله والمدّعي ما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف سر الله عند غيبة ولي الله عزّ وجلّ.

ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديداً ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله والمغيّب في حفظ الله والوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً منه على قتله إن ظفر به طمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حق، قال أبو خالد: فقلت له: يا بن رسول الله، وإن ذلك لكائن؟ فقال: إي وربي إنه لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبو خالد: فقلت: يا بن رسول الله ثم ماذا يكون؟ قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله عزّ وجلّ الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده عليهم السلام يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظر لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان، لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سراً وجهراً، وقال عليه السلام: انتظار الفرج من أفضل العمل[1].

الحديث السادس عن أبي جعفر الباقر عليه السلام

ـ غيبة الشيخ: أخبرنا جماعة عن أبي عبدالله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصري، عن عمه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت فيها وفاته لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواةً.

فأملى رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً إلى أن قال: وأنت خليفتي إلى أمتي من بعدي إذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته

---

(١) كمال الدين ١: ٣١٩، الاحتجاج ٢: ٤٨ وفيه: باختلاف السند.

الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المتحفظ من آل محمد، فذلك اثنا عشر إماماً، الحديث[1].

الحديث السابع عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام

ـ كفاية الأثر: أخبرنا محمد بن عبد الشيباني، قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني، قال: حدثني محمد بن يحيى العطار، عن سلمة بن الخطاب، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، وصالح بن عقبة، جميعاً عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن الصادق عليه السلام قال: الأئمة اثنا عشر، قلت: يا بن رسول الله فسمهم لي. قال: من الماضين علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، ثم أنا. قلت: فمن بعدك يا بن رسول الله؟ قال: إني قد أوصيت إلى ولدي موسى وهو الإمام بعدي.

قلت: فمن بعد موسى؟ قال: علي ابنه يدعى بالرضا يدفن في أرض الغربة من خراسان، ثم بعد علي ابنه محمد، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي الحسن ابنه، والمهدي من ولد الحسن. ثم قال عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إن قائمنا إذا خرج يجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد رجال بدر، فإذا كان وقت خروجه يكون له سيف مغمود، ناداه السيف: قم يا ولي الله فاقتل أعداء الله[2].

الحديث الثامن عن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

ـ من لا يحضره الفقيه:

ـ روى بسنده، عن عبد الله بن جندب، عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: تقول في سجدة الشكر: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله ربي، والإسلام ديني، ومحمّد نبيي، وعلي بن أبي

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٩٦.
(٢) كفاية الأثر: ٣٢٢.

طالب، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد و[الحسن بن علي]، والحجة ابن الحسن بن علي، أئمتي بهم أتولى، ومن أعدائهم أتبرأ، الدعاء[1].

الحديث التاسع عن علي بن موسى الرضا عليه السلام

ـ الفصول المهمة: روي عن أبي الصلت (رحمه الله) قال: قال دعبل (رضي الله عنه) لمّا أنشدت مولاي الرّضا هذه القصيدة وانتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة قائم يقوم على اسم الله والبركات
يميّز فينا كلّ حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرّضا ثم رفع رأسه وقال: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذا البيت أتدري من هذا الإمام الذي تقول؟

قلت: لا أدري إلا أني سمعت يا مولاي بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعده علي ابنه، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. ورواه بعينه من علماء أهل التسنّن أيضاً الشبراوي في الإتحاف بحبّ الأشراف وكذا من علمائهم الحمويني الشافعي في فرائد السمطين: ورواه الصدوق في كمال الدين ٢: ٣٧٣، قال: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي فذكر الحديث بعينه.

ورواه في كفاية الأثر...[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢١٧، الكافي ٣: ٣٢٥ فيه: باختلاف يسير، الوسائل ٤: ١٠٧٨ أبواب سجدتي الشكر ب٦، ح١.
(٢) الفصول المهمة: ٢٣٠، كفاية الأثر: ٢٧٠، من هو المهدي: ٣٤٣.

الحديث العاشر عن محمد بن علي الجواد عليه السلام

ـ كمال الدين: علي بن أحمد بن موسى الدقاق، عن محمد بن هارون الصوفي، عن أبي تراب عبيدالله بن موسى الرؤياني، عن عبد العظيم بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الحسني قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم هو المهدي أو غيره؟

فابتدأني فقال لي: يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة وخصنا بالإمامة، إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإنّ الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى إذ ذهب يقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبيّ، ثم قال عليه السلام: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج[1].

الحديث الحادي عشر عن علي بن محمد الهادي عليه السلام

ـ علي بن محمد، عمّن ذكره، عن محمّد بن أحمد العلوي، عن داود بن القاسم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟

قال: إنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه، فقلت فكيف نذكره؟ قال: قولوا: الحجّة من آل محمد (صلوات الله عليه وسلامه)[2].

---

(١) كمال الدين ٢: ٣٣٧، كفاية الأثر: ٢٧٦.

(٢) أصول الكافي ١: ٢٦٨، كفاية الأثر: ٢٨٤، كمال الدين ٢: ٥٣، البحار ٥٠: ٢٤٠ وج٥١: ١٥٨.

الحديث الثاني عشر عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

ـ إثبات الهداة: قال فضل بن شاذان في كتاب الرجعة: حدثنا محمد بن عبد الجبار، قال: قلت لسيدي الحسن بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله جعلني الله فداك أحب أن أعلم من الإمام وحجة الله على عباده من بعدك؟ فقال عليه السلام: إن الإمام وحجة الله من بعدي ابني سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيّه الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه، قال: ممن هو يا بن رسول الله؟ قال: من ابنة ابن قيصر ملك الروم إلا أنه سيولد، ويغيب عن الناس غيبة طويلة ثم يظهر (الحديث)[1].

الحديث الثالث عشر أيضاً عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام

ـ غيبة الشيخ: قال جعفر بن محمد بن مالك الفزاريّ البزّاز، عن جماعة من الشيعة منهم: علي بن بلال، وأحمد بن هلال، ومحمد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيّوب بن نوح في خبر طويل مشهور قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام نسأله عن الحجة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمريّ فقال: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال له: اجلس يا عثمان، فقام مغضباً ليخرج فقال: لا يخرجنّ أحد، فلم يخرج منّا أحد إلى أن كان بعد ساعة فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم؟

قالوا: نعم يا بن رسول الله قال: جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه النّاس بأبي محمد عليه السلام فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه[2].

---

(١) إثبات الهداة ٧: ١٣٧.

(٢) غيبة الشيخ: ٢١٧، البحار ٥١: ٣٤٦.

الحديث الرابع عشر عن الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام

ـ في حديث عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي (رضي الله عنه)، عن سعد بن عبد الله الأشعري، عن الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري (رحمه الله)، . . . حاجج الحجة به عمه جعفراً حيث ادعى بالإمامة فبيّن الإمام الحجة خصائص الأنبياء فيه ومميزات الإمام حيث قال عليه السلام: ولولا ذلك لكان الناس على سواء، ولادّعي أمر الله عز وجل كل أحد، ولما عرف الحق من الباطل، ولا العالم من الجاهل، وقد ادعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه: أبفقه في دين الله، فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرق بين خطأ وصواب، أم بعلم فما يعلم حقاً من باطل، ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حد الصلاة ووقتها، أم بورع فالله شهيد على تركه للصلاة الفرض أربعين يوماً، يزعم ذلك لطلب الشعوذة[1]، ولعل خبره قد تأدى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عز وجل مشهورة قائمة، أم بآية فليأت بها، أم بحجة فليقمها، أم بدلالة فليذكرها، قال الله عز وجل في كتابه: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى، والذين كفروا عما أنذروا معرضون، قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم إن كنتم صادقين، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾[2].

فالتمس ـ تولى الله توفيقك ـ من هذا الظالم ما ذكرت لك، وامتحنه وسله عن آية من كتاب الله يفسرها، أو صلاة فريضة يبين حدودها، وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره، ويظهر لك عواره[3] ونقصانه، والله حسيبه، حفظ الله الحق على

---

(١) الشعوذة: خفة في اليد وأخذ كالسحر يري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين «قاموس».

(٢) سورة الأحقاف، آية: ١ ـ ٦.

(٣) العوار: بالفتح وقد يضم: العيب.

أهله، وأقره في مستقره، وقد أبى الله عز وجل أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحق، واضمحل الباطل، وانحسر عنكم، وإلى الله أرغب في الكفاية، وجميل الصنع والولاية، وحسبنا الله ونعم الوكيل (وصلّى الله على محمد وآل محمد)[1].

ثم ما أردنا نقله من الدلائل التي تثبت إمامة المهدي المنتظر عليه السلام المتفق على صحتها، والواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وجميع الأئمة الأطهار عليهم السلام بما فيهم الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام، حيث بيّن خلال حديثه خصائص النبوة والإمامة، ثم حاجج عمه جعفراً الكذاب ـ في رسالة من رسائله ـ وأثبت كذب دعواه في الإمامة لعدم انطباق الشرائط المذكورة عليه ولأنه فاجر فاسق جاهل لا يحسن شيئاً من علوم الدين، ولا يعلم بحدود الصلاة وغيرها من الفرائض، ولأن الإمامة لا تجمع في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام. ثم ذكر الحجة عليه السلام الدلائل التي تؤكد إمامته، وأنه هو المنصوص عليه لا سواه.

وبذا أثبت بشكل قاطع لكل ذي عقل سليم، وبصيرة نافذة، أحقيته بالإمامة، وبطلان دعوى عمه وغيره ممن ادعى الإمامة زوراً وبهتاناً.

فإنكار هذه الأدلة الدامغة، والبراهين الساطعة من قبل الجاحدين لإمامة المهدي عليه السلام لم يجد بهم نفعاً، لأن محاولة إخفائها كمن يحاول إخفاء نور الشمس بغربال.

الدليل الثالث: إثبات غيبته وذكر سفرائه الأربعة

يتناول الدليل الثالث جملة من الموضوعات الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها جزء لا يتجزأ من صلب بحثنا المتعلق بذكر مفردات حياة الإمام المهدي عليه السلام التي حصلت معظمها في زمن الغيبة الصغرى الممتدة من ٢٦٠هـ إلى ٣٢٩هـ، حيث كانت علاقته بالأمة عبر سفرائه الأربعة الذين كانوا ينقلون رسائله وتوجيهاته إلى القواعد الشيعية الموالية له، ويأتون بالأموال الشرعية

---

(١) غيبة الشيخ: ١٧٥ ـ ١٧٦.

المرسلة إلى الناحية المقدسة.

إن إثبات الغيبة الصغرى يتوقف على ذكر النصوص الدالة عليها والعوامل الممهدة لها، وتسليط الأضواء على حياة سفرائه الأربعة وذكر من تشرف برؤيته من شيعته ومواليه، والتعرف على نماذج من توقيعاته ورسائله.

فالنصوص الدالة على غيبته كثيرة ككثرة النصوص الدالة على وجوده وإثبات إمامته، إذ قلما تجد نصاً منها لم يشر إلى غيبته وحيرة المؤمنين فيها لطول مدّتها؛ لأنها تتصل بالغيبة الكبرى التي احتجب الإمام عليه السلام فيها عن شيعته كلياً، وأنهى دور السفراء بوفاة آخر سفرائه (السمري رحمه الله) حيث انقطعت صلته بالمؤمنين تماماً، فلم يره بعد ذلك منهم إلا عدد قليل في أوقات متباعدة ومناسبات مختلفة.

ويبدو أن معظم تلك اللقاءات كانت تحصل في موسم الحج، إذ كان الإمام عليه السلام يحضر الموسم في كل سنة كما ذكرت ذلك بعض النصوص.

ووصفت بعض النصوص الدالة على الغيبة صعوبة تلك الفترة وقلة المؤمنين فيها حيث قالت: «إن الثابتين على القول به في غيبته لأعز من الكبريت الأحمر»[1]، وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه: (ليغيبنّ القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني حتى يقول أكثر الناس ما لله في آل محمّد حاجة ويشك آخرون في ولادته...)[2]، وفي آخر يقول صلى الله عليه وآله: (تكون له غيبة وحيرة تضل فيه الأمم...)[3]، وفي آخر يقول أيضاً صلى الله عليه وآله: (تكون له غيبة وحيرة حتى يضلّ الخلق عن أديانهم...)[4]، وفي حديث عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يصف فيه حالة الشيعة وصفاً دقيقاً يثير فيها الألم والأسى في نفوس المؤمنين، قال عليه السلام: (للقائم منا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يغش قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة)[5]، وقال في

---

(١) إثبات الهداة ٧: ٣٣٦.

(٢) كمال الدين ١: ، البحار ٥١: ٦٨.

(٣) كفاية الأثر: ٦٦ ط ـ جديد.

(٤) كمال الدين ١: ٢٨٧، وعنه في البحار ٥١: ٧٢.

(٥) كمال الدين ١: ٣٠٣.

آخر: (... تكون له غيبة وحيرة، يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون...)[1]، والنصوص في بيان حال المؤمنين في فترة الغيبة الكبرى بعد انقطاع خبر الإمام، واحتجابه عن شيعته كثيرة سنذكر بعضها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

وسنذكر فيما يلي أربع مجاميع من الأخبار: الأولى والثانية تثبت الغيبة وتكفِّر من ينكرها، والثالثة تذكر العوامل الممهدة لغيبته الصغرى مع ذكر سفرائه الأربعة وتوقيعاته، والرابعة تذكر من تشرف برؤيته في الغيبة الصغرى، وبعدها نذكر شهادات العلماء الأعلام.

المجموعة الأولى: إثبات الغيبة بالنصوص

١ ـ عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني منها فجعلني نبياً، ثم اطلع الثانية فاختار منها علياً فجعله إماماً، ثم أمرني أن أتخذه أخاً ووصياً وخليفة ووزيراً، فعليٌّ مني وأنا من علي، وهو زوج ابنتي وأبو سبطيَّ الحسن والحسين، ألا وإن الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حججاً على عباده، وجعل من صلب الحسين عليه السلام أئمة يوصون بأمري، ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي، ومهدي أمتي، أشبه الناس بي في شمائله، وأقواله وأفعاله، ليظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة، فيعلن أمر الله ويظهر دين الحق، ويؤيد بنصر الله، وينصر بملائكة الله، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً[2]».

٢ ـ عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ذكر القائم عليه السلام فقال: أما ليغيبن حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد حاجة[3].

٣ ـ عن يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾**[4]،

---

(١) الكافي ١: ٢٧٣.
(٢) كفاية الأثر: ١٠.
(٣) كمال الدين ١: ٣٠٢.
(٤) سورة البقرة، آية: ١ ـ ٢.

قال: المتقون شيعة علي عليه السلام، والغيب: هو الحجة الغائب، شاهد ذلك قول الله عزّ وجلّ: **﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾**[1] فأخبر عز وجل أن الآية هي الغيب، والغيب هو الحجة، وتصديق ذلك قول الله عزّ وجلّ **﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾**[2] يعني حجة[3].

ورواه في ينابيع المودة: من قوله تعالى: **﴿ويقولون لولا أنزل﴾** إلى آخر الحديث[4].

٤ ـ عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ **﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾**[5].

قال: أرأيتم إن غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد[6].

ورواه محمد بن يعقوب في (الكافي)، والصدوق في كمال الدين: فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون[7].

٥ ـ عن الحسن بن خالد قال: قال علي بن موسى الرضا (رضي الله عنهم): الرابع من ولدي هو الامام ابن سيدة يطهّر الله به الأرض من كل جور وظلم وهو الذي يشك الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة فإذا خرج أشرقت الأرض بنور ربّها ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد أحداً، وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظلّ[8].

٦ ـ عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن الباقر، عن آبائه (صلوات الله عليهم أجمعين) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة

---

(١) سورة يونس، آية: ٢٠.
(٢) سورة المؤمنون، آية: ٥٠.
(٣) كمال الدين ١: ١٧.
(٤) ينابيع المودة: ٤٢٣.
(٥) سورة الملك، آية: ٣٠.
(٦) كمال الدين ٢: ٣٥١.
(٧) الكافي ١: ٢٧٤، كمال الدين ٢: ٣٦٠.
(٨) ينابيع المودة: ٤٤٨.

تضلّ فيها الأمم يأتي بذخيرة الأنبياء، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[1].

٧ ـ ورد عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: لصاحب هذا الأمر ـ يعني المهدي عليه السلام ـ غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم، ذهب ولا يطّلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره[2].

٨ ـ عن ثابت الثمالي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أنه قال: فينا أنزلت هذه الآية: **﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** [سورة الأنفال: الآية: ٧٥] وفينا أنزلت هذه الآية: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾** [سورة الزخرف، الآية: ٢٨] والإمامة في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، وإن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى، أما الأولى... إلى أن قال: فلا يثبت عليه إلا من قوي يقينه، وصحت معرفته ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضيناه وسلم لنا أهل البيت[3].

المجموعة الثانية:

منكر المهدي (ع) كمنكر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (ع)

١ ـ إثبات الهداة: قال الطبرسي: روى هشام بن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله: القائم من لدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، إلى أن قال: ومن أنكر غيبته فقد أنكرني، الحديث[4].

٢ ـ كمال الدين: عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنكر القائم من ولدي في

---

(١) كمال الدين ١: ٢٨٧، وعنه في البحار ٥١: ٧٢.
(٢) الإشاعة في إشراط الساعة ٩٣ ط ـ مصر.
(٣) كمال الدين ٢: ٣٢٣.
(٤) إثبات الهداة ٧: ٥٢.

زمان غيبته مات ميتة جاهلية[1].

٣ ـ ينابيع المودة: عن كتاب فرائد السمطين بسنده عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلابادي البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد، الحديث[2].

٤ ـ كمال الدين: عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «القائم من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنته سنتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عزّ وجلّ، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذّبه فقد كذّبني، ومن صدّقه فقد صدقني، إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره، الجاحدين بقولي في شأنه، والمضلّين لأمتي عن طريقته **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**[3].

٥ ـ وفيه أيضاً: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام أمتي وخليفتي عليها بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، . . . فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربي، وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إن هذا الأمر [أمر] من أمر الله، وسر من سر الله، مطوي عن عباد الله، فإياك والشك فيه، فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر[4].

ورواه في الينابيع باختلاف يسير[5].

٦ ـ غيبة النعماني: عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت عند أبي جعفر محمد الباقر ذات يوم فلمّا تفرّق من كان عنده قال لي: يا أبا حمزة من المحتوم الذي لا

---

(١) كمال الدين ٢: ٤١٣.
(٢) ينابيع المودة: ٤٤٧، منتخب الأثر: ١٤٩.
(٣) كمال الدين: منتخب الأثر: ١٨٣.
(٤) كمال الدين ١: ٢٨٧.
(٥) ينابيع المودة: ٤٩٤، منتخب الأثر: ١٨٨.

تبديل له عند الله قيام قائمنا، فمن شك فيما أقول لقي الله وهو به كافر، وله جاحد... الحديث[1].

٧ ـ كمال الدين: أبي، عن أيوب بن نوح، عن محمد بن سنان، عن صفوان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: من أقرّ بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقرَّ بجميع الأنبياء وجحد محمداً صلى الله عليه وآله، فقيل له: يا بن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع ـ يعني موسى بن جعفر عليه السلام ـ يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته، الحديث[2].

وبذا قد تم ما أردنا نقله من الأخبار الدالة على ثبوت الغيبة وتكفير كل من حاول إنكارها والجحد بها.

والآن قبل أن نشرع بذكر من تشرف برؤيته لا سيما سفراؤه الأربعة نذكر العوامل الممهدة للغيبة لكي يكون القارىء ملماً بالظروف التي حصلت فيها واستوجبت غيبته عليه السلام.

العوامل الممهدة للغيبة

لقد أشرنا سابقاً أن السلطات العباسية الغاشمة قد أحست بوجود المهدي عليه السلام فعليّاً بما أخبر عنه عمه جعفر بن علي الكذاب، إلا أنها لم تكن تعرف هويته الشخصيّة على وجه الدقة، ولا مكان تواجده، فشنت عدة حملات عشوائية لاعتقاله غير أنها فشلت فشلاً ذريعاً بسبب رعاية الله له، وما حباه من كرامات ومعاجز باهرات مكنته أن يفلت منهم بسهولة، ويمرّ من أمام أعينهم دون أن يحس به أحد..

فإن خوف الإمام المهدي عليه السلام من ملاحقة السلطة له وقتله، كان من أهم العوامل التي استوجبت اختفاءه، بالإضافة إلى عوامل أخرى سنذكرها باختصار.

أولاً: كان الحسن بن علي العسكري عليه السلام قد نوّه عن هذه الأحداث قبل

---

(١) عنه في منتخب الأثر: ٢١١.

(٢) كمال الدين ١: ٣٣٣.

حصولها حيث بيّن أن ابنه المهدي عليه السلام سيلقى من أعدائه من الملاحقة والتعقيب ما يجعله عرضة للأخطار، لذا قام هو بنفسه بأداء ما يلزمه من وظائف مهمة ليدرأ عنه الخطر ويحفظه من القتل. فقام عليه السلام بمهمتين متلازمتين في آن واحد، فبالوقت الذي أثبت وجوده الشريف، وأعلم أصحابه المقربين به، تراه يسعى إلى إخفاء أمره وذلك بإلزام أصحابه بكتمانه وعدم ذكره إلا لمن يثقون به من إخوانهم. وبهذه السياسة الحكيمة حفظ وجوده ومهّد السبيل لغيبته[1].

ثانياً: وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد طبق سياسة الاحتجاب على نفسه، وجعل بينه وبين القواعد الشعبيّة الموالية له وكلاء كأبي الأديان، والعمري وغيرهما من أصحابه الموثقين ليقوموا بأحكام الصلة بينه وبين مواليه، وقد تحول بعضهم فيما بعد إلى وكلاء لابنه المهدي عليه السلام.

إن هذا العمل الذي قام به الإمام لمدة طويلة قبل رحيله قد مهّد السبيل لمسألة الغيبة وجعلها أمراً مستساغاً ومقبولاً من خلال تعويد شيعته عليه بصورة عملية[2].

ثالثاً: إن النصوص السابقة الذكر الواردة في إثبات غيبة المهدي عليه السلام وتكفير من لم يؤمن بها، قد هيأت الأمة نفسياً لاستقبال هذا الحدث والإقرار به حال حصوله منذ أمد بعيد.. وهذا كان من العوامل الممهّدة لغيبته واختفائه أيضاً[3].

رابعاً: إن الظروف السياسية السائدة آنذاك كانت مدلهمّة بالخطوب، ومضطربة بالأحداث الخطيرة التي كانت تهدد الدولة العباسية تهديداً جدياً لا يمكنها السكوت عنها، وعدم مجابهتها بأيّ حال من الأحوال، إلا إذا أرادت الاستسلام للفناء الذي يهدد وجودها في كل حين..

فمن جهة كنا نرى وجود الانقلابات المتتالية التي يقوم بها القادة العسكريون الأتراك بين آونة وأخرى لقتل الخليفة وإبداله بآخر أكثر طواعية ورضوخاً لهم،

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٣٥.
(٢) كمال الدين ٢: ٤٧٣ ـ ٤٧٦.
(٣) مرّ في الصفحة ٢٦٩ فراجع.

ومن جهة أخرى نرى قيام صاحب الزنج بثورة عنيفة أحدثت أعمالاً تخريبية، ومجازر بشرية بشعة في جنوب العراق والأهواز. وصادفت تلك الثورة عام ولادة المهدي عليه السلام سنة ٢٥٥هـ.

فإن تلك الأخطار المحدقة بالدولة العباسية الغاشمة حينذاك، قد أرغمتها على أن تغض النظر بصورة مؤقتة عن مسألة المهدي عليه السلام لتقوم بمواجهة الأخطار الجدية التي تهدد وجودها بالفناء حالياً.

فكانت تلك الظروف عاملاً مهمّاً من العوامل التي مهّدت السبيل لغيبة المهدي عليه السلام، وتثبيت سفرائه، وتوثيق الصلة بشيعته ومواليه من خلالهم[١].

وبعد هذه العوامل الممهّدة كانت الغيبة الصغرى التي بدأت في عام ٢٦٥هـ، وانتهت في ٣٢٩هـ، ومدتها سبعون عاماً عاصر المهدي عليه السلام خلالها المعتمد حتى عام ٢٧٩، حيث آلت الخلافة بعده إلى المعتضد إلى عام ٢٨٩هـ، فاستخلف المكتفي إلى عام ٢٩٥، وبعده المقتدر إلى عام ٣٢٠، ثم القاهر بالله حتى سنة ٣٢٢، ثم الراضي بالله حتى عام ٣٢٩ وهو عام وفاة النائب الرابع السمري (عليه الرحمة)[٢]، ونهاية عهد الغيبة الصغرى وبداية الغيبة الكبرى.

وقبل أن نذكر المجموعة الثالثة من الأخبار المتعلقة بمن تشرّف برؤيته عليه السلام، لا بد لنا أن نذكر سفراءه الأربعة وترجمة ملخصة عن مجمل نشاطاتهم ومفردات حياتهم، وهم بعض من كحل عينيه برؤية إمامه الحجة المنتظر.

السفير الأول: عثمان بن سعيد العمري

ـ عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا عمرو السمّان، ويقال له الزيات الأسدي، وهو جليل القدر، ثقة له منزلة عظيمة عند الطائفة، لم يشك أحد من علمائنا بوثاقته، لأنه حظي برضى أئمته وتوثيقهم له عند توكيله من قبلهم عليهم السلام.

---

(١) الكامل ٦: ٧٣ و٢٠٢ و٢٢١ و٢٣٧، مروج الذهب ٤: ١٨٤، الكامل ٦: ٥١ ـ ٥٣.

(٢) الكامل ٦: ٧٣، المروج ٤: ١٨٤، الغيبة الصغرى: ٣٤٦.

لقد تشرف العمري بخدمة الإمام الهادي عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة لا غير، ثم صحب الحسن العسكري ابنه عليه السلام، ثم أصبح سفيراً للحجة ابن الحسن عليه السلام.

واختلف في تسميته بالعمري فقيل: إنه ابن بنت أبي جعفر العمري(ره) فنسب إلى جده، فقيل العمري، وقيل إن أبا محمد العسكري عليه السلام قال: لا يجمع على امرئ بين عثمان وأبي عمرو، وأمر بكسر كنيته، فقيل العمري.

ويقال له العسكري أيضاً، لأنه كان من عسكر ـ سرّ من رأى ـ، ويقال له: السمّان؛ لأنّه كان يتجر في السمن تغطية على الأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو ليجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقية وخوفاً[1].

وأما ما جاء في حقه من مدح من قبل الأئمة الثلاثة الذين صحبهم وحظي برفقتهم فهي:

أولاً: أخبرني جماعة، عن أبي محمد هارون بن موسى، عن أبي علي محمد بن همام الإسكافي، قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل وأمر من نمتثل؟

فقال لي (صلوات الله عليه): هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه، فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام: مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات. فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه[2].

---

(١) رجال الشيخ: ٣٨٩ و٤٠١، ورجال العلامة: ١٢٦، والغيبة للشيخ: ٢١٤، والمناقب لابن شهرآشوب ٤: ٣٨٠، وابن داود: ١٢٢، ومعجم الرجال ١١: ١١٢ ـ ١١٣، وبهجة الآمال ٥: ٣٣٣.

(٢) الغيبة للشيخ: ٢١٥.

ثانياً: ـ وعنه أيضاً: أخبرنا جماعة، عن أبي محمد هارون، عن محمد بن همام، عن عبدالله بن جعفر قال: حججنا في بعض السنين بعد مضيّ أبي محمد عليه السلام فدخلت على أحمد بن إسحاق بمدينة السلام فرأيت أبا عمرو عنده، فقلت: إن هذا الشيخ ـ وأشرت إلى أحمد بن إسحاق ـ وهو عندنا الثقة المرضي حدثنا فيك بكيت وكيت، وقصصت عليه ما تقدم ـ يعني ما ذكرناه عنه من فضل أبي عمرو ومحله ـ قلت: أنت الآن ممن لا يشك في قوله وصدقه، فأسألك بحق الله، وبحق الإمامين اللذين وثقاك هل رأيت ابن أبي محمد الذي هو صاحب الزمان؟

فبكى ثم قال: على أن لا تخبر بذلك أحداً وأنا حي، قلت: نعم، قال: قد رأيته عليه السلام وعنقه هكذا ـ يريد أنها أغلظ الرقاب حسناً وتماماً ـ قلت: فالاسم؟ قال: نهيتم عن هذا[1].

ـ وفي معجم الرجال: عن محمد بن يعقوب بسند صحيح، عن أبي علي أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته وقلت: من أعامل أو عمن آخذ؟ وقول من أقبل؟

فقال له: العمري ثقتي فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون.

وسأل أبو علي أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك، فقال له: العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك عني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان[2].

لم تعرف سنة ولادته، وسنة وفاته إلا أنه يحتمل أنه توفي بعد خمس سنوات من استلامه السفارة.

له من الأولاد اثنان وهما: محمد وهو السفير الثاني كما يأتي، وأحمد[3].

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢١٥.

(٢) معجم الرجال ١١: ٢١٢، الكافي ١: ٧٧ باب تسمية من رآه، الحديث الأول.

(٣) الغيبة للشيخ: ٢٥٦، الغيبة الصغرى: ٣٩٧.

وأهم أعماله ونشاطاته أنه توكل للأئمة الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام وقام بدور الوساطة بينهم وبين قواعدهم الشعبيّة الموالية، حيث ينقل أسئلتهم وأموالهم الشرعية بالكيفية السابقة الذكر، ويأتيهم بأجوبة الرسائل وتوجيهات أئمتهم عليهم السلام [1].

وقبره على ما جاء في كتاب (الغيبة للشيخ): بالجانب الغربي من مدينة السلام ـ يعني بغداد في الوقت الحاضر ـ في شارع الميدان، في أول الموضع المعروف بدرب جبلة، في مسجد الدرب يمنة الداخل إليه. والقبر في قبلة المسجد[2].

وقال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي: رأيت قبره في الموضع الذي ذكره، وكان بني في وجهه حائط وبه محراب المسجد، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيق مظلم. فكنا ندخل إليه، ونزور مشاهده. وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد، وهي سنة ثمان وأربع مائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربع مائة[3].

السفير الثاني: محمد بن عثمان بن سعيد العمري

يكنى أبا جعفر، وأبوه يكنى أبا عمرو، وكان هو وأبوه وكيلين من جهة صاحب الزمان عليه السلام، ولهما منزلة جليلة عند الطائفة.

فاستلم الشيخ العمري السفارة من أبيه بعد وفاته، وقام مقامه بناءً على كتاب التعزية والتولية الصادرة من الناحية المقدسة.

فروى الشيخ بإسناده عن عبدالله بن جعفر، قال: خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري ـ قدس الله روحه ـ في التعزية بأبيه (رضي الله تعالى عنه) وفي فصل الكتاب: إنّا لله وإنا إليه راجعون تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢١٦، الغيبة الصغرى: ٣٩٨.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢١٧.
(٣) الغيبة للشيخ: ٢١٧.

ومواليه عليه السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم، نضر الله وجهه، وأقال عثرته، وفي فصل آخر: أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزيت ورزينا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول الحمد لله فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفقك، وكان لك وليّاً وحافظاً وراعياً وكافياً[1].

ـ وعنه أيضاً: قال (أخبرني جماعة) عن هارون بن موسى، عن محمد بن همام قال: قال لي عبد الله بن جعفر الحميري ـ لما مضى أبو عمرو رضي الله تعالى عنه ـ أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نكاتب به بإقامة أبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ مقامه[2].

ـ وعنه أيضاً: وبهذا الإسناد: عن محمد بن همام، عن محمد بن حمويه بن عبد العزيز الرازي في سنة ثمانين ومائتين، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي أنه خرج إليه ـ بعد وفاة أبي عمرو والابن ـ وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب ـ رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه ـ يجري عندنا مجراه، ويسد مسده، وعن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاه الله، فانته إلى قوله، وعرّفه معاملتنا ذلك[3].

ـ ومما وثقه به الإمام الحجة بالإضافة إلى ما تقدم:

ـ وعنه أيضاً: وأخبرنا جماعة، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه وأبي غالب الزراري، وأبي محمد التلعكبري، كلهم عن محمد بن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري ـ رحمه الله ـ أن يوصل لي كتاباً قد سئلت فيه عن مسائل أشكلت علي، فوقع التوقيع بخطّ مولانا صاحب الدار (وذكرنا الخبر فيما تقدم)[4]، وأما محمد بن عثمان العمري ـ رضي الله تعالى عنه،

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢١٩.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢٢٠.
(٣) الغيبة للشيخ: ٢٢٠.
(٤) الغيبة للشيخ: ٢٢٠.

وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه كتابي[1].

ـ لقد أجمعت الشيعة على عدالته واستقامته، ومما جاء في ذلك: قال أبو العباس: وأخبرني هبة الله بن محمد ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري ـ رضي الله عنه ـ عن شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد ومحمد بن عثمان ـ رحمهما الله تعالى ـ إلى أن توفي أبو عمرو عثمان بن سعيد ـ رحمه الله تعالى ـ وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وتولى القيام به. وجعل الأمر كله مردوداً إليه، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته، لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته.

ولا يرتاب بأمانته، والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره، ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمام ظهرت على يده، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة، وهي مشهورة عند الشيعة، وقد قدمنا طرفاً منها فلا نطوّل بإعادتها[2].

ـ وأما آثاره وكتبه:

قال ابن نوح: أخبرني أبو نصر هبة الله ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر، قال: كان لأبي جعفر العمري محمد بن عثمان العمري كتب مصنفة في الفقه مما سمعها من أبي محمد الحسن عليه السلام، ومن الصاحب عليه السلام، ومن أبيه عثمان بن سعيد، عن أبي محمد، وعن أبيه علي بن محمد عليه السلام فيها كتب ترجمتها كتب الأشربة، ذكرت الكبيرة أم كلثوم بنت أبي جعفر ـ رضي الله عنها ـ أنها وصلت إلى أبي القاسم الحسين بن روح ـ رضي الله عنه ـ عند الوصية إليه، وكانت في يده.

قال أبو نصر: وأظنها قالت وصلت بعد ذلك إلى أبي الحسن السمري ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ[3].

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢٢٠.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢٢٠ ـ ٢٢١.
(٣) الغيبة للشيخ: ٢٢١.

ـ وعن رؤيته لصاحب الأمر: قال أبو جعفر بابويه: روي عن محمد بن عثمان العمري ـ قدس سره ـ أنه قال: والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه[1].

ـ وأخبرني جماعة، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبي، ومحمد بن الحسن، ومحمد بن موسى بن المتوكل، عن عبدالله بن جعفر الحميري، أنه قال: سألت محمد بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقلت له: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو عليه السلام يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني، وقال: محمد بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ: ورأيته (صلوات الله عليه) متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللهم انتقم لي من أعدائك[2].

ـ وعن حالة السرّيّة والكتمان التي كان يعايشها جاء:

ـ وبهذا الإسناد، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن علي بن سليمان الزراري، عن علي بن صدقة القمي ـ رحمه الله ـ قال: خرج إلى محمد بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ ابتداءً من غير مسألة ليخبر الذين يسألون عن الاسم: إما السكوت والجنة، وإما الكلام والنار، فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه[3].

ـ وعن قبره الذي حفره وهيأه لنفسه بعد ما علم منه عليه السلام عن قرب وفاته.

ـ قال ابن نوح: أخبرني أبو نصر هبة الله بن محمد، قال: حدثني علي بن أبي جيد القمي ـ رحمه الله ـ قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي، قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ يوماً لأسلم عليه فوجدته وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها، ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها، فقلت له: يا سيدي ما هذه الساجة؟ فقال لي: هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها، أو قال: أسند إليها، وقد عرفت منه، وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فيه فأصعد، وأظنه قال: فأخذ بيدي

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢٢١.

(٢) الغيبة للشيخ: ٢٢٢.

(٣) الغيبة للشيخ: ٢٢٢.

وأرانيه..[1].

ـ وعن وفاته وموضع قبره جاء:

ـ وقال أبو نصر هبة الله: وجدت بخط أبي غالب الزراري ـ رحمه الله ـ وغفر له أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري ـ رحمه الله ـ مات في آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة، وذكر أبو نصر هبة الله محمد بن أحمد أن أبا جعفر العمري ـ رحمه الله ـ مات في سنة أربع وثلاثمائة، وأنه كان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة يحمل الناس إليه أموالهم ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام إليهم بالمهمات في أمر الدين والدنيا، وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ[2].

ـ قال أبو نصر هبة الله: إن قبر أبي جعفر محمد بن عثمان عند والدته في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه، وهو الآن في وسط الصحراء ـ قدس سره ـ[3].

ـ وذكر العلامة عن قبر محمد حكاية قائلاً: ... وكان محمد قد حضّر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج، فسئل عن ذلك، فقال للناس: أسباب، ثم سئل بعد ذلك، فقال: فقد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين في جمادى سنة خمس وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وثلاثمائة[4].

السفير الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي

هو أحد السفراء والنواب الخاصة للإمام الثاني عشر عليه السلام، وشهرة جلالته وعظمته أغنتنا عن الإطالة في شأنه عليه السلام.

ـ وعن توثيقه وتوكيله روى الشيخ: بهذا الإسناد، عن هبة الله بن محمد ابن

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢٢٢.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢٢٣.
(٣) الغيبة للشيخ: ٢٢٣.
(٤) الغيبة للشيخ: ٢٢٣، رجال العلامة: ١٤٩، الكامل ٦: ١٥٩، ابن الوردي ١: ٢٥٥، وأعلام الورى: ٤١٦.

بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قالت: حدثتني أم كلثوم بنت أبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ قالت: كان أبو القاسم الحسين بن روح ـ رضي الله عنه ـ وكيلاً لأبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ سنين كثيرة ينظر له في أملاكه ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به حتى أنه كان يحدثه بما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه، وأنسه، قالت: وكان يدفع إليه في كل شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم لجاهه، ولموضعه وجلالة محله عندهم، فحصل في نفس الشيعة محصلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاص أبي إياه وتوثيقه عندهم، ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر، فمهدت له الحال في طول حياة أبي إلى أن انتهت الوصية إليه بالنص عليه فلم يختلف في أمره، ولم يشك فيه أحد إلا جاهل بأمر أبي، أولاً مع ما لست أعلم أن أحداً من الشيعة شك فيه، وقد سمعت هذا من غير واحد من بني نوبخت ـ رحمهم الله ـ مثل أبي الحسن بن كبرياء وغيره[1].

ـ وفي خبر آخر أن محمد بن عثمان لما حلّ وقت مضيه أوصى إلى الحسين بن روح، وجمع وجوه الشيعة وشيوخها ـ ونصبه منصبه بمحضرهم.

ـ الخبر: عن أبي محمد بن هارون بن موسى، قال: أخبرني أبو علي محمد بن همام ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري ـ قدس الله روحه ـ جمعنا قبل موته ـ وكنا وجوه الشيعة وشيوخها ـ فقال لنا: إن حدث علي حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعوِّلوا في أموركم عليه عليه السلام[2].

ـ وعن وصفه ومكانته الاجتماعية، وعمله بالتقية خبراً.

ـ فروى أبو نصر هبة الله بن محمد، قال: حدثني أبو عبد الله بن غالب حمو أبي الحسن بن أبي الطيب، قال: ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، وعهدي به يوماً في دار ابن يسار، وكان له محل عند السيد

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢٢٧.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢٢٦.

والمقتدر عظيم، وكانت العامة أيضاً تعظمه، وكان أبو القاسم يحضر تقية وخوفاً.

وعهدي به وقد تناظر اثنان، فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ثم عمر، ثم عليّ، وقال الآخر: بل عليّ أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم ـ رضي الله عنه ـ: الذي اجتمعت الصحابة عليه هو تقديم الصديق، ثم بعده الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين، ثم عليّ الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر المجلس متعجباً من هذا القول، وكان العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم، وكثر الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفض...[1].

ـ وروى أيضاً: قال أبو نصر هبة الله بن محمد: حدثني أبو الحسن بن كبرياء النوبختي قال: بلغ الشيخ أبا القاسم ـ رضي الله عنه ـ أن بواباً كان له على الباب الأول قد لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده وصرفه عن خدمته، فبقي مدة طويلة يسأل في أمره فلا والله ما رده إلى خدمته، وأخذه بعض الأهل فشغله معه كل ذلك للتقية[2].

ـ وعن موضع قبره وسنة وفاته روى الشيخ:

ـ وأخبرني الحسين بن إبراهيم، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري ـ رضي الله عنه ـ أن قبر أبي القاسم الحسين بن روح في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ إلى التل، وإلى درب الآخر، وإلى قنطرة الشوك ـ رضي الله عنه ـ.

قال: وقال لي أبو نصر: مات أبو القاسم الحسين بن روح (ره) في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقد رويت عنه أخبار كثيرة[3].

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢٣٧.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢٣٧.
(٣) الغيبة للشيخ: ٢٣٨.

السفير الرابع: علي بن محمد السمري

ـ أو السيمري، أو الصيمري، والمشهور جداً هو الأول، والمكنى بأبي الحسن.

تولى السفارة من حين وفاة أبي القاسم بن روح عام ٣٢٦، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٩ في النصف من شعبان، فتكون مدة سفارته ثلاثة أعوام كاملة، غير أيام[١].

وهذا نص الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ـ فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك. فقد وقعت الغيبة التامة. فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً.

وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم[٢].

الأسباب الموجبة لإنهاء دور السفارة

أولاً: بالرغم من أن نشاط السفارة كان متصفاً بالسرية والكتمان، وبسياسة التقية التي حفظت لنا مذهب أهل البيت الممثل للإسلام الأصيل في أحلك الظروف وأكثرها إرهاباً، بالرغم من ذلك بدأ أمر السفارة وأخبارها ونشاطاتها يتفشى تدريجياً في أوساط أعوان السلطة وجلاوزتها الذين راحوا يرصدون جميع تحركات الموالين لعلهم يتمكنون من معرفة الوكلاء وإلقاء القبض عليهم، وإجهاض نشاطاتهم المحظورة بنظر السلطة الحاكمة.

لهذا الغرض بالذات ضاعفت السلطات عدد جواسيسها وبثتهم في كل مكان

---

(١) أعلام الورى: ٤١٧ وفيه: وفي أواخر أيام السمري خرج توقيع من قبل الإمام المهدي (ع) ينهي الغيبة الصغرى ويأمر السمري بأن لا يوصي إلى غيره، وبذا بدأت فترة الغيبة الكبرى. الغيبة: ٢٤٢.

(٢) الغيبة للشيخ: ٢٤٢، الغيبة الصغرى: ٤١٥، معجم الرجال ١٢: ١٧٠.

يحتمل فيه تواجد أحد الوكلاء المنسوبين لسفير الحجة عليه السلام في بغداد.

وقد نسج أولئك الجواسيس مكيدة حاذقة حيث أرسلوا بعض أفرادهم ومعهم الأموال الطائلة إلى بعض الأشخاص المشكوك بهم بهدف إغرائهم بتلك الأموال واكتشاف أمرهم، وإيقاعهم في شراك مكيدتهم المعدة لهذا الغرض بعد استلام الأموال منهم، لتكون مدركاً مهماً يمكن به إدانتهم.

ولكن الإمام المهدي عليه السلام أفشل مخططهم المذكور لعلمه به بشكل من الأشكال المحتملة، فأمر جميع وكلائه في كل مكان بالامتناع عن أخذ الأموال من أي أحد كان في تلك الفترة خشية وقوعهم في يد أعوان السلطة الظالمة وجواسيسها الحاقدين[١].

إن علم السلطة بوجود الوكلاء، وتضييق الخناق عليهم، وتشديد الرقابة على القواعد الشعبية الموالية لهم، قد قلَّصت نشاطهم إلى درجة الصفر بحيث لم يجرؤ أحد منهم أن يتصل بأحد أو يبدي أي تبليغ لعقدته، أو يستلم مالاً من أحد، لشدة الرقابة المفروضة عليه، ولخوفه الدائم من الوقوع في كمائن السلطة المحيطة بهم.

وكنتيجة منطقية للظروف الموضوعية العصيبة بات عمل السفارة المتسم بالسرية والتقية لا يجدي نفعاً مطلقاً، بل ربما يحتمل أن يعطي نتائج سلبية، لذا أصدر الإمام المهدي عليه السلام أمره بإلغاء دور السفارة وإنهاء عصر الغيبة الصغرى[٢].

ثانياً: ومن الأمور التي استوجبت إلغاء السفارة هو وجود الكثير من ضعاف النفوس الذين استثمر حالة العمل السري، المتصف بسياسة التقية، والمعرض للأخطار في أي لحظة، ليجعلوا من أنفسهم وكلاء للإمام عليه السلام، ويجمعوا الناس من حولهم بهذه الحجة المفتعلة، بهدف كسب الأموال وإحراز مكانة اجتماعية مرموقة.

ومما ساعد هؤلاء على إيجاد موضع قدم لهم بين القواعد الموالية، هو عدم تمكن الوكلاء الحقيقيين من كشف زيفهم وبطلان دعوتهم؛ لأنهم يخشون من

---

(١) الكافي ١: ٥٢٥. غيبة للشيخ: ٢٤٢.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢٤٢.

انكشاف أمرهم، ووقوعهم في قبضة الجلادين.

ولذا استفحل أمر المدّعين بالوكالة بشكل مذهل حيث كاد أن يقوّض أركان السفارة والوكالة الحقيقية ويحل محلها.

وإذا علمنا أن أولئك المنحرفين من أمثال الشريعي، والنميري، والحلاج، ومحمد بن نصير، وأحمد الكرخي وغيرهم، كانوا يحملون عقائد فاسدة، ويدعون لإباحة نكاح الذكور في أدبارهم، لشعرنا بخطورة نشاطهم على القواعد الشيعية الموالية. إذ لو استمروا به سيظهرون الشيعة بمظهر الانحطاط اللاأخلاقي، والشذوذ الجنسي الذي يحاولون إضفاء الشرعية عليه بافتعال سمت الوكالة للمهدي عليه السلام.

فاستمرار الوكالة في تلك الأيام أصبح أمراً متعذراً، وباعثاً على انتشار الفساد العقائدي والانحلال الأخلاقي، الممهد لانهيار التشيع على صعيد المستقبل وتقويض أركانه. وهذا ما حمل الإمام عليه السلام على التصدي لهذا التيار المنحرف، ووضع حد له بإلغاء دور الوكالة التي كانوا يتسترون بها لتحقيق أهدافهم الفاسدة[1].

ثالثاً: إن ظاهرة الوكلاء المزيفين تركت انعكاسات نفسية سيئة، وآثاراً سلبية على نفوس المؤمنين، وزرعت الشكوك في أوساطهم، بحيث أصبح بعضهم لا يثق ببعض، ولا يطمئن به، خشية أن يكون رقيباً، أو أحد الوكلاء المنحرفين، أو الجواسيس المخترقين لصفوفهم الذين يحاولون إيقاعهم في كمائنهم المستورة.

ففي مثل تلك الأحوال المشحونة بالشكوك والريب لا يمكن إقامة سفارة وتنصيب الوكلاء، حتى إذا غض الإمام عليه السلام النظر عنها وحاول إقامتها في تلك الأحوال الشائكة سوف لا تلقى النجاح المطلوب وتبقى منعزلة عن الموالين لانعدام الثقة بها، بسبب كثرة المدعين لها كذباً وزوراً[2].

رابعاً: كان السفراء الأربعة الماضين (رحمهم الله) يتصفون بقوة الإيمان، وشدة التقوى، وصلابة الموقف بحيث لو كان المهدي عليه السلام مختفياً تحت

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢٤٤ ـ ٢٤٦، الغيبة الصغرى: ٢٠٢.
(٢) الغيبة للشيخ: ٢٤٤ ـ ٢٤٦، الغيبة الصغرى: ٢٠٢.

أذيالهم لما كشفوا عنه حتى لو قرضوا بالمقاريض، أمثال أولئك في تلك الظروف الحالكة بات منعدماً تقريباً، وحتى لو افترضنا وجودهم فإن تأثيرهم سيكون قليلاً في أوساط المؤمنين الموالين ضمن تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية الحالكة، بل ربما يكون ضرر الوكالة في تلك الظروف أكثر من نفعها.

لهذه العوامل مجتمعة أنهى الإمام المهدي عليه السلام دور السفارة، وأوكل الأمر إلى الفقهاء والعدول المتصفين بالعدل والتقوى، المخالفين للهوى، والمطيعين لأمر المولى[١].

نماذج من التوقيعات والرسائل الصادرة منه عليه السلام

١ ـ أخبرنا جماعة، عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن داود القمي، قال: وجدت بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي، وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح (رضي الله عنه) على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أنفذت من قم يسأل عنها هل هي جوابات الفقيه عليه السلام أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني، لأنه حكي عنه أنه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها. فكتب ـ يعني الحجة عليه السلام ـ إليهم على ظهر كتابهم: (بسم الله الرحمن الرحيم قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمنته، فجميعه جوابنا، ولا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري ـ لعنه الله ـ في حرف منه، وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يدي أحمد بن بلال[٢] وغيره من نظرائه، وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا، عليهم لعنة الله وغضبه) فاستثبت[٣] قديماً في ذلك. فخرج الجواب: على من استثبت فإنه لا ضرر في خروج ما خرج على أيديهم، وإن ذلك صحيح[٤].

---

(١) الغيبة للشيخ: ٢٤٠ ـ ١٧٧.

(٢) كذا في البحار أيضاً (ج١٣) ولعله تحريف من (ابن بلال) لأن ابن بلال والبلالي ـ وإن كان من السفراء المذمومين ـ ولكنه ليس مسمى بأحمد بل محمد، وهو المكني بأبي طاهر محمد بن علي بن بلال.

(٣) قوله: فاستثبت قديماً في ذلك، من تتمة ما كتب السائل، أي كنت قديماً أطلب إثبات هذه التوقيعات هل هي منكم أم لا؟ ولما كان جواب هذه الفقرة مكتوباً تحتها أفردها للإشعار بذلك (قاله في البحار)..

(٤) الغيبة للشيخ: ٢٢٨.

٢ ـ وأخبرني جماعة، عن جعفر بن محمد بن قولويه، وأبي غالب الزراري وغيرهما، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري ـ رحمه الله ـ أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الدار عليه السلام [١]: أما ما سألت عنه ـ أرشدك الله وثبتك ـ من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا، وبني عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني، وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف (على نبينا وآله وعليه السلام)، وأما الفقاع فشربه حرام، ولا بأس بالشلماب[٢]، وأما أموالكم فما نقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع، فما آتانا الله خير مما آتاكم، وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله عز وجلّ، كذب الوقاتون، وأما قول من زعم أن الحسين لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال، وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليكم.

وأما محمد بن عثمان العمري ـ رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ـ فإنه ثقتي، وكتابه كتابي.

وأما محمد بن علي بن مهزيار الأهوازي فسيصلح الله قلبه، ويزيل عنه شكه.

وأما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلا لما طاب وطهر، وثمن المغنية حرام.

وأما محمد بن شاذان بن نعيم فإنه رجل من شيعتنا أهل البيت، وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع ملعون، وأصحابه ملعونون. فلا تجالس أهل مقالتهم، وإني منهم بريء وآبائي عليهم السلام منهم برآء.

وأما المتلبسون بأموالنا فمن استحلّ منها شيئاً فأكله، فإنما يأكل النيران.

وأما الخمس[٣] فقد أبيح لشيعتنا، وجعلوا منه في حلّ إلى وقت ظهور أمرنا

---

(١) يعني صاحب الزمان (ع).

(٢) شلماب وشلمابة: شربة تتخذ من مطبوخ الشلجم (كذا قال بعض الأطباء).

(٣) تحقيق: ما أحل من الخمس للشيعة في زمان الغيبة يطلب من الكتب الفقهية، وفيه روايات وأقوال، والأظهر والأشهر أن المراد بهذا الخبر وأمثاله إباحة الخمس في =

لتطيب ولادتهم ولا تخبث.

وأما ندامة قوم قد شكوا في دين الله على ما وصلونا به فقد أقلنا من استقال، ولا حاجة لنا في صلة الشاكّين.

وأما علة ما وقع في الغيبة فإن الله عز وجل يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾، إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب.

وأني لأمان أهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا على ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى[1].

٣ ـ وأخبرنا الحسين بن إبراهيم، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب (قال حدثني): أبو الحسن أحمد بن محمد ابن تربك الرهاوي، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (أو قال: أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي) قال: اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عز وجل فوض إلى الأئمة (صلوات الله عليهم) أن يخلقوا أو يرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله تعالى لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل، وقال آخرون: بل الله تعالى أقدر الأئمة على ذلك وفوضه إليهم فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري فتسألونه عن ذلك فيوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى صاحب الأمر (عجل الله فرجه) فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله.

فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: «إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، وقسّم الأرزاق، لأنه ليس بجسم، ولا حالّ في

= المناكح للشيعة في زمان الغيبة لتطيب ولادتهم، دون الخمس في غيرها، فإن الخمس في غيرها واجب في زمان الغيبة أيضاً والله العالم، الغيبة للشيخ: ١٧٧.

(١) الغيبة للشيخ: ١٧٧.

جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم»[1].

استجابة دعاء الحجة عليه السلام

٤ ـ قال ابن نوح: وحدثني أبو عبد الله الحسين محمد بن سورة القمي ـ رحمه الله ـ حين قدم علينا حاجاً، قال: حدثني علي بن الحسن بن يوسف الصائغ القمي، ومحمد بن أحمد بن محمد الصيرفي المعروف بابن الدلال وغيرهما من مشايخ أهل قم أن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه كانت تحته بنت عمه محمد ابن موسى بن بابويه فلم يرزق منها ولداً، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (رضي الله عنه) أن يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقه أولاداً فقهاء، فجاء الجواب: إنك لا ترزق من هذه وستملك جارية ديلمية وترزق منها ولدين فقيهين.

قال: وقال لي أبو عبد الله بن سورة ـ حفظه الله ـ: ولأبي الحسن بن بابويه (رحمه الله) ثلاثة أولاد: محمد والحسين فقيهان ماهران في الحفظ ويحفظان ما لا يحفظ غيرهما من أهل قم، ولهما أخ اسمه الحسن وهو الأوسط مشتغل بالعبادة والزهد لا يختلط بالناس ولا فقه له، قال ابن سورة: كلما روى أبو جعفر وأبو عبد الله ابنا علي بن الحسين شيئاً يتعجب الناس من حفظهما ويقولون لهما: هذا الشأن خصوصية لكما بدعوة الإمام لكما وهذا أمر مستفيض في أهل قم[2].

٢ ـ قال: وسمعت أبا عبدالله بن سورة القمي يقول سمعت سروراً ـ وكان رجلاً عابداً مجتهداً لقيته بالأهواز غير أني نسيت نسبه ـ يقول: كنت أخرس لا أتكلم فحملني أبي وعمي في صباي وسني إذ ذاك ثلاثة عشر أو أربعة عشر إلى الشيخ أبي القاسم بن روح (رضي الله عنه) فسألاه أن يسأل الحضرة أن يفتح الله لساني، فذكر الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح أنكم أمرتم بالخروج إلى الحائر، قال سرور: فخرجنا أنا وأبي وعمي إلى الحائر فاغتسلنا وزرنا، قال: فصاح بي عمي يا سرور فقلت بلسان فصيح: لبيك، فقال لي: ويحك تكلمت، فقلت:

---

(١) الغيبة للشيخ: ١٧٨.

(٢) الغيبة للشيخ: ١٨٧.

نعم، قال أبو عبد الله بن سورة وكان سرور هذا رجلاً ليس بجهوريّ الصوت[1].

٣ ـ وأخبرنا جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، وأبي عبد الله الحسين بن علي ـ أخيه ـ قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الأسود (رحمه الله) قال: سألني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (رضي الله عنه) بعد موت محمد بن عثمان العمري ـ قدس سره ـ أن أسأل أبا القاسم الروحي ـ قدّس الله روحه ـ أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته فأنهى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين (رحمه الله) فإنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، وبعده أولاد.

قال أبو جعفر محمد بن علي الأسود: وسألته في أمر نفسي أن يدعو لي أن أرزق ولداً ذكراً فلم يجبني إليه، وقال لي: ليس إلى هذا سبيل.

قال: فولد لعلي بن الحسين (رضي الله عنه) تلك السنة محمد بن علي وبعده أولاد، ولم يولد لي.

قال أبو جعفر بن بابويه: وكان أبو جعفر محمد بن علي الأسود كثيراً ما يقول لي إذا رآني أختلف إلى مجلس شيخنا محمد بن الحسن بن الوليد (رضي الله عنه) وأرغب في كتب العلم وحفظه: ليس بعجب أن تكون لك هذه الرغبة في العلم، وأنت ولدت بدعاء الإمام عليه السلام.

وقال أبو عبد الله بن بابويه: عقدت المجلس ولي دون العشرين سنة فربما كان يحضر مجلسي أبو جعفر محمد بن علي الأسود، فإذا نظر إلى إسراعي في الأجوبة في الحلال والحرام يكثر التعجب لصغر سني ثم يقول: لا عجب لأنك ولدت بدعاء الإمام[2].

---

(١) الغيبة للشيخ: ١٨٨.

(٢) الغيبة للشيخ: ١٩٤ ـ ١٩٥.

بعض من تشرف برؤيته عليه السلام

١ ـ أحمد بن علي الرازي، عن محمد بن علي، عن محمد بن عبد ربه الأنصاري الهمداني، عن أحمد بن عبد الله الهاشمي من ولد العباس، قال: حضرت دار أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسرّ من رأى يوم توفي وأخرجت جنازته ووضعت، ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعود ننتظر حتى خرج علينا غلام عشاري جاف عليه رداء قد تقنع به، فلما أن خرج قمنا هيبة له من غير أن نعرفه، فتقدم وقام الناس فاصطفوا خلفه، فصلى عليه ومشى فدخل بيتاً غير الذي خرج منه.

قال أبو عبد الله الهمداني فلقيت بالمراغة رجلاً من أهل تبريز يعرف بإبراهيم ابن محمد التبريزي فحدثني بمثل حديث الهاشمي لم يخرم[1] منه شيء، قال: فسألت الهمداني فقلت: غلام عشاري القد أو عشاري السن؟ لأنه روي أن الولادة كانت سنة ست وخمسين ومائتين، وكانت غيبة أبي محمد سنة ستين ومائتين بعد الولادة بأربع سنين، فقال: لا أدري هكذا سمعت، فقال لي شيخ معه حسن الفهم من أهل بلده له رواية وعلم: عشاري القد[2].

٢ ـ وروى محمد بن يعقوب رفعه، عن الزهري، قال: طلبت هذا الأمر طلباً شاقاً حتى ذهب لي فيه مال صالح، فوقعت إلى العمري وخدمته ولزمته وسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان، فقال لي: ليس إلى ذلك وصول. فخضعت فقال لي: بكر بالغداة فوافيته فاستقبلني ومعه شاب من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحة بهيئة التجار، وفي كمه شيء كهيئة التجار، فلما نظرت إليه دنوت من العمري فأومأ إليّ فعدلت إليه وسألته فأجابني عن كل ما أردت، ثم مر ليدخل الدار، وكانت من الدور التي لا يكترث لها، فقال العمري: إن أردت أن تسأل سل فإنك لا تراه بعد ذا، فذهبت لأسأل فلم يسمع ودخل الدار وما كلمني بأكثر من أن قال: ملعون ملعون من أخر العشاء إلى أن تشتبك النجوم، ملعون ملعون من أخر الغداة إلى أن تنقضي النجوم، ودخل الدار[3].

---

(١) يخرم: ينقص.
(٢) الغيبة للشيخ: ١٥٥.
(٣) الغيبة للشيخ: ١٦٤.

٣ ـ أحمد بن علي الرازي، عن علي بن عائذ الرازي، عن الحسن بن وجناء النصيبي، عن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري، قال: كنت حاضراً عند المستجار بمكة وجماعة زهاء ثلاثين رجلاً لم يكن منهم مخلص غير محمد بن القاسم العلوي، فبينا نحن كذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين إذ خرج علينا شاب من الطواف عليه إزاران فاحتج محرماً بهما، وفي يده نعلان فلما رأيناه قمنا جميعاً هيبة له، ولم يبق منا أحد إلا قام فسلم علينا وجلس متوسطاً ونحن حوله، ثم التفت يميناً وشمالاً ثم قال: أتدرون ما كان أبو عبد الله عليه السلام يقول في دعاء الإلحاح؟ قال: كان يقول: (اللهم إني أسألك باسمك الذي به تقوم السماء وبه تقوم الأرض وبه تفرق بين الحق والباطل، وبه تجمع بين المتفرق، وبه تفرق بين المجتمع، وبه أحصيت عدد الرمال وزنة الجبال وكيل البحار، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي من أمري فرجاً).
ثم نهض ودخل الطواف فقمنا لقيامه حتى انصرف، وأنسينا أن نذكر أمره وأن نقول من هو، وأي شيء هو، إلى الغد في ذلك الوقت فخرج علينا من الطواف فقمنا له كقيامنا بالأمس وجلس في مجلسه متوسطاً فنظر يميناً وشمالاً وقال: أتدرون ما كان يقول أمير المؤمنين عليه السلام بعد صلاة الفريضة؟ فقلنا: وما كان يقول؟ قال: كان يقول: (إليك رفعت الأصوات، وعنت الوجوه، ولك وضعت الرقاب وإليك التحاكم في الأعمال، يا خير من سئل، ويا خير من أعطى يا صادق يا بارىء، يا من لا يخلف الميعاد، يا من أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، يا من قال ادعوني أستجب لكم، يا من قال ﴿**إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾ ويا من قال: ﴿**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**﴾ لبيك وسعديك، ها أناذا بين يديك المسرف، أنت القائل ﴿**لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ ثم نظر يميناً وشمالاً ـ بعد هذا الدعاء ـ فقال: أتدرون ما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول في سجدة الشكر؟ فقلنا: وما كان يقول؟ قال: كان يقول: يا من لا يزيده كثرة الدعاء إلا سعة وعطاء، يا من لا تنفد خزائنه، يا من له خزائن السماوات والأرض، يا من له خزائن ما دقَّ وجل لا تمنعك إساءتي من إحسانك، أنت تفعل بي الذي أنت أهله،

فإنك أنت أهل الكرم والجود، والعفو والتجاوز يا رب يا الله، لا تفعل بي الذي أنا أهله، فإني أهل العقوبة وقد استحققتها، لا حجة لي ولا عذر لي عندك، أبوء لك بذنوبي كلها، وأعترف بها كي تعفو عني، وأنت أعلم بها مني، أبوء لك بكل ذنب أذنبته، وكل خطيئة احتملتها، وكل سيئة عملتها، رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، وقام ودخل الطواف فقمنا لقيامه وعاد من الغد في ذلك الوقت فقمنا لإقباله كفعلنا فيما مضى، فجلس متوسطاً ونظر يميناً وشمالاً فقال: كان علي بن الحسين سيد العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في سجوده في هذا الموضع ـ أشار بيده إلى الحجر تحت الميزاب ـ عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك يسألك ما لا يقدر عليه غيرك، ثم نظر يميناً وشمالاً، ونظر إلى محمد بن القاسم من بيننا، فقال: يا محمد بن القاسم إنك على خير إن شاء الله تعالى ـ وكان محمد بن القاسم يقول بهذا الأمر ـ ثم قام ودخل الطواف، فما بقي منا أحد إلا وقد ألهم ما ذكره من الدعاء وأنسينا أن نتذاكر أمره إلا في آخر يوم، فقال لنا أبو علي المحمودي: يا قوم أتعرفون هذا؟ هذا والله صاحب زمانكم، فقلنا وكيف علمت يا أبا علي؟ فذكر أنه مكث سبع سنين يدعو ربه ويسأله معاينة صاحب الزمان، قال: فبينا نحن يوماً عشية عرفة وإذا بالرجل بعينه يدعو بدعاء، وعيته فسألته ممن هو؟ فقال: من الناس، قلت: من أي الناس؟ قال: من عربها، قلت: من أي عربها؟ فقال: من أشرفها، قلت: ومن هم؟ قال: بنو هاشم، قلت: من أي بني هاشم؟ فقال: من أعلاها ذروة وأسناها، قلت: ممن؟ قال: ممن فلق الهام وأطعم الطعام وصلى والناس نيام، قال: فعلمت أنه علوي فأحببته على العلوية، ثم افتقدته من بين يدي فلم أدر كيف مضى، فسألت القوم الذين كانوا حوله تعرفون هذا العلوي؟ قالوا: نعم يحج معنا في كل سنة ماشياً، فقلت: سبحان الله والله ما أرى به أثر مشي، قال: فانصرفت إلى المزدلفة كئيباً حزيناً على فراقه، ونمت من ليلتي تلك فإذا أنا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: يا أبا أحمد رأيت طلبتك، فقلت: ومن ذاك يا سيدي؟ فقال: الذي رأيته في عشيتك وهو صاحب زمانك، قال: فلما سمعنا ذلك منه عاتبناه أن لا يكون أعلمنا ذلك، فذكر أنه كان ينسى أمره إلى وقت ما حدثنا به[1].

---

(١) الغيبة للشيخ: ١٥٦.

٤ ـ حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل، قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري قال: سمعت محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) يقول: رأيته (صلوات الله عليه) متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللهم انتقم لي من أعدائي (أعدائك، خ ل).

ورواه أيضاً في من لا يحضره الفقيه: ٢٧٩، ورواه الشيخ في الغيبة: ١٥١ قال: أخبرني جماعة، عن محمد بن علي بن الحسين، قال: أخبرنا أبي ومحمد بن الحسن، ومحمد بن موسى بن المتوكل، عن عبدالله بن جعفر الحميري فذكر الحديث بعينه[١].

انتهى إلى هنا ما أردنا نقله من الأخبار التي تتعلق بغيبة الإمام عليه السلام وسفرائه، والعوامل الممهدة للغيبة، وكفر من أنكرها، وذكر بعض من تشرف برؤيته، وذكر بعض توقيعاته بما فيها استجابة دعائه عليه السلام.

وكانت مدة الغيبة الصغرى كما علمت سبعين سنة حافلة بالأحداث والنشاطات الرسالية التي أخافت السلطة وأرعبتها حيث جندت كل قواها للحد منها. وقامت بعدة محاولات لاعتقال الحجة عليه السلام أو سفرائه إلا أنها لم تستطع منع ذلك النشاط، أو تحدّ منه رغم ما بذلته من المساعي الكبيرة في هذا المجال..

وكان العامل الأهم الذي أحبط تلك المساعي الخبيثة ومكن الحجة عليه السلام من أداء وظائفه في أحلك الظروف وأقساها عنفاً وبطشاً وإرهاباً هو العامل الغيبي والرعاية الإلهية اللذان بسطا له مظلة واقية درأت عنه جميع الأخطار، وحفظته من كل سوء.

أليست هذه الشواهد الوجدانية، والنصوص القرآنية والنبوية، والأحداث التاريخية التي دونتها كتب السيرة والتاريخ كافية لإثبات وجود الحجة عليه السلام وغيبته الصغرى التي دامت سبعين سنة متتالية دون انقطاع؟

إن من يحاول أن يشكك في كل هذه الشواهد، ويتنكر لهذا التاريخ والتراث الضخم، كمن يتنكر لوجوده ككائن حي عاقل مدرك لما يحيط به من الأشياء.

---

(١) كمال الدين: ٢ : ٤٤٠.

ولسنا الآن بصدد الرد على مثيري الشبهات، والمشككين بالمهدي عليه السلام، والنافين لوجوده المبارك، لأننا خصصنا لذلك مجالاً واسعاً للرد عليهم وتفنيد شبهاتهم، وإنما نريد أن ندون شهادات العلماء الأعلام وأقوالهم في إثبات وجود المهدي عليه السلام وغيبته ونهضته وسائر الأمور المتعلقة به.

شهادات العلماء وأقوالهم في إثبات وجود المهدي عليه السلام

لا يسعنا أن نذكر جميع ما قاله العلماء في هذا المجال، لأن أقوالهم في قضية إثبات وجود المهدي عليه السلام كثيرة غير قابلة للحصر، ولا يستوعبها كتاب واحد، بل تحتاج إلى مجلدات ضخمة تختص بها، لذا نختصر بحثنا هذا على أقوال جملة من العلماء المعروفين في أوساط المسلمين الذين لا يشك بصدقهم ونزاهتهم عدا مثيري الشبهات والفتن ممن ارتبط بدوائر الاستكبار العالمي، وقبض الأجور على ما يقوم به من أعمال هدامة يهدف بها تفريق المسلمين وتأليب بعضهم على بعض.

وأول هؤلاء العلماء هو شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ـ قدس سره ـ فبعد أن ذكر جملة من الأدلة النقلية والعقلية، وذكر طرفاً من نشاطاته ورسائله ومعاجزه قال: وقد ذكرنا طرفاً من الأخبار الدالة على إمامة ابن الحسن عليه السلام وثبوت غيبته ووجود عينه؛ لأنها أخبار تضمنت الأخبار بالغائبات، وبالشيء قبل كونه على وجه خارق للعادة لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله، ووصل إليه من جهة من دل الدليل على صدقه، ولولا صدقهم لما كان كذلك؛ لأن المعجزات لا تظهر على يد الكذابين، وإذا ثبت صدقهم دل على وجود من أسندوا ذلك إليه، ولم نستوف ما ورد في هذا المعنى لئلا يطول به الكتاب وهو موجود في الكتب[1].

ثانياً: وقال العلامة سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: وعامة الإمامية على أن الخلف الحجة موجود، وأنه حي يرزق، ويحتجون على ثبوته بأدلة: منها أن جماعة طالت أعمارهم كالخضر وإلياس فإنه لا يدرى كم لهما من السنين،

---

(١) الغيبة للشيخ: ١٩٩.

وأنهما يجتمعان كل سنة فيأخذ هذا من شعر هذا، وفي التوراة أن ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة، والمسلمون يقولون ألفاً وخمس مائة، ونقل عن محمد بن إسحاق أسماء جماعة كثيرة رزقوا طول العمر، وقد سرد الكلام في جواز بقائه عليه السلام مذ غيبته إلى الآن، وأنه لا امتناع في بقائه (انتهى)[1].

ـ واستدل الحافظ الكنجي الشافعي في كتاب البيان على ذلك ببقاء عيسى وخضر وإلياس، وبقاء الدّجال وإبليس. . .[2].

ثالثاً: وقال العلامة الشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين) في مقدمته: ومن زعم أن الدنيا تخلو ساعة من إمام لزمه أن يصحح مذهب البراهمة في إبطالهم الرسالة. . . إلى أن قال:

ولا يكون الإيمان صحيحاً من مؤمن إلا من بعد علمه بحال من يؤمن به، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾ فلم يوجب لهم صحة ما يشهدون به إلا من بعد علمهم، ثم كذلك لن ينفع إيمان من آمن بالمهدي القائم عليه السلام حتى يكون عارفاً بشأنه في حال غيبته، وذلك أن الأئمة عليهم السلام قد أخبروا بغيبته عليه السلام، ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم، واستحفظ في الصحف، ودوّن في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقل أو أكثر، فليس أحد من أتباع الأئمة عليهم السلام إلا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته، ودوّنه في مصنفاته، وهي الكتب التي تعرف بالأصول مدوّنة مستحفظة عند شيعة آل محمد عليهم السلام من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين.

وقد أخرجت ما حضرني من الأخبار المسندة في الغيبة في هذا الكتاب في مواضعها، فلا يخلو حال هؤلاء الأتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الآن من الغيبة، فألفوا ذلك في كتبهم ودوّنوه في مصنفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللب والتحصيل، أو أن يكونوا [قد] أسسوا في كتبهم الكذب فاتفق الأمر لهم كما ذكروا، وتحقق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم، واختلاف آرائهم، وتباين أقطارهم ومحالّهم؟ وهذا أيضاً محال كسبيل

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٧٧.

(٢) كتاب البيان : الباب ٢٥.

الوجه الأول، فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دوّنوه في كتبهم وألفوه في أصولهم وبذلك وشبهه فلج الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً..

وبهذا الاستدلال المتين الذي تفوه به الصدوق أثبت الغيبة للإمام المهدي عليه السلام كما أثبت إمامة الأئمة الأحد عشر من قبله لنقلهم ما دل على إمامة المهدي عليه السلام وغيبته، إذ لو لم يكونوا أئمة منصوصاً عليهم من قبل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لما نصوا على إمامة المهدي عليه السلام[1]، وهذا ما أكده الطبرسي والمفيد كما يأتي.

رابعاً: قال العلامة الطبرسي في أعلام الورى في الفصل الأول من الباب الثالث، من القسم الثاني، من الركن الرابع بعد ذكر أن أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجة عليه السلام، بل زمان أبيه وجده: أن المحدثين من الشيعة خلدوا ما في أصولهم المؤلفة في أيام السيدين الباقر والصادق عليهما السلام، وأثروها عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، وأن هذا دليل صحة القول في إمامة صاحب الزمان لوجود هذه الصفة له والغيبة المذكورة في دلائله، وأعلام إمامته، وأنه لا يمكن لأحد دفع ذلك (ما هذا لفظه).

ومن جملة ثقات المحدثين والمصنفين عن الشيعة: الحسن بن محبوب الزراد، وقد صنف كتاب المشيخة الذي هو في أصول الشيعة أشهر من كتاب المزني وأمثاله قبل زمان الغيبة بأكثر من مائة سنة، فذكر فيه ما أوردناه من أخبار الغيبة فوافق الخبر المخبر وحصل كل ما تضمنه الخبر بلا اختلاف.

ومن جملة ذلك ما رواه عن إبراهيم الخادفي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ثم ذكر الحديث الخامس من هذا الباب) وقال: فانظر كيف حصلت الغيبتان لصاحب الأمر عليه السلام على حسب ما تضمنته الأخبار السابقة لوجودها عن آبائه وجدوده[2].

---

(١) كمال الدين: ١: ٤ و١٩.

(٢) منتخب الأثر: ٢٥٣ في الهامش.

وما يؤكد قول العلامة الطبرسي هو ما رواه محمد بن مسلم في الجزء الثالث من (كتاب ما رواه الحواريون) بشأن الغيبة بالإضافة إلى ما تقدم من نصوص دلت عليها قبل حصولها بأكثر من مائة عام:

ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها[١].

ونقلت الرواية بطريق آخر عنه أيضاً[٢].

وإذا علمنا أن محمد بن مسلم توفي سنة (١٤٨هـ أو ١٥٠هـ) كما نصت كتب الرجال والسير، تأكد ما قاله الطبرسي وغيره[٣].

خامساً: وقال الشيخ المفيد في الفصول العشرة: الأخبار عمن تقدم من أئمة آل محمد عليهم السلام متناصرة بأنه لا بد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأخرى يعرف خبره الخاص في القصرى ولا يعرف العام له مستقراً في الطولى، إلاّ من تولى خدمته من ثقات أوليائه، ولم ينقطع عنه الاشتغال بغيره. والأخبار بذلك موجودة في مصنفات الشيعة الإمامية قبل مولد محمد ـ يعني المهدي ـ عليه السلام، وأبيه ـ يعني الحسن العسكري عليه السلام ـ وجدّه ـ يعني الهادي عليهم السلام ـ.

وظهر حقها عند مضي الوكلاء، والسفراء الذين سميناهم رحمهم الله، وبان صدق رواتها بالغيبة الطولى، وكان ذلك من الآيات الباهرات في صحة ما ذهبت إليه الإمامية[٤].

سادساً: وقال الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم النعماني في تعليقاته على الروايات التي تثبت الغيبة وتبين حالة الناس أثناءها:

---

(١) ما رواه الحواريون ٣: ٥١٤.
(٢) ما رواه الحواريون ٣: ٥١٤.
(٣) ما رواه الحواريون ١: ٦٤ عن تنقيح المقال، ومعجم الرجال، والإختصاص وغيرها.
(٤) عن الفصول العشرة منتخب الأثر: ٢٥٣ في الهامش.

ـ وفي هذا الحديث عجائب وشواهد على حقيقة ما تعتقده الإمامية، وتدين به والحمد لله، فمن ذلك قول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «حتى إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس» أليس هذا موجباً لهذه الغيبة، وشاهداً على صحة قول من يعترف بهذا، ويدين بإمامة صاحبها؟ ثم قوله عليه السلام: «وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته... وأجمعوا على أن الحجة ذاهبة والإمامة باطلة» أليس هذا موافقاً لما عليه كافة الناس الآن من تكذيب الإمامية في وجود صاحب الغيبة؟ وهي محققة في وجوده وإن لم تره...[1].

وقال أيضاً: هذه الروايات التي قد جاءت متواترة تشهد بصحة الغيبة وباختفاء العلم، والمراد بالعلم الحجة للعالم...[2].

وقال أيضاً: هذه الأحاديث التي يذكر فيها أن للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحّت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام، وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى: فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين طاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، ويخرج على أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم، والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها، وتصرمت مدّتها[3].

والغيبة الثانية: هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى، والتدبير الذي يمضيه في الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبلية والغربلة...[4].

وقال أيضاً: أليس في هذه الأحاديث يا معشر الشيعة ـ ممن وهب الله تعالى له التمييز، وشافي التأمل والتدبر لكلام الأئمة عليهم السلام بيان ظاهر ونور زاهر؟ هل يوجد أحد من الأئمة الماضين عليهم السلام يشك في ولادته، واختلف في عدمه

---

(١) الغيبة للنعماني: ١٤٤.
(٢) الغيبة للنعماني: ١٦٠.
(٣) الغيبة للنعماني: ١٧٣.
(٤) الغيبة للنعماني: ١٧٤.

ووجوده، ودانت طائفة من الأمة به في غيبته، ووقعت الفتن في الدين في أيامه[1].

وقال أيضاً: وإن إماماً هذه منزلته من الله عز وجل ـ وبه ينتقم لنفسه ودينه وأوليائه وينجز لرسوله ما وعده من إظهار دينه على الدين كله، ولو كره المشركون حتى لا يكون في الأرض كلها إلا دينه الخالص به وعلى يديه ـ لحقيق بأن لا يدّعي أهل الجهل محله ومنزلته، وألاّ يغوي أحد من الناس نفسه بادّعاء هذه المنزلة..[2].

وقال أيضاً: هل هذه الأحاديث ـ رحمكم الله ـ إلا دالة على غيبة صاحب الحق... إلى أن قال: حتى أجرى الله تدبيره، وأمضى مقاديره برفع الأسباب مع غيبة الإمام في هذا الزمان الذي نحن فيه لتمحص من يمحص، وهلكة من يهلك، ونجاة من ينجو بالثبات على الحق، ونفي الريب والشك، والإيقان بما ورد عن الأئمة عليهم السلام من أنه لا بد من كون هذه الغمة، ثم انشكافها عند مشيئة الله...[3].

سابعاً: وقال آية الله المغفور له المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه (عقائد الإمامية): لا يصح لهم البقاء بلا إمام بل (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية) على ما ثبت ذلك عن الرسول الأعظم بالحديث المستفيض.

وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، سواء أبى البشر أم لم يأبوا، وسواء ناصروه أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس، إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته في الغار والشعب صح أن يغيب الإمام، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها[4].

---

(١) الغيبة للنعماني: ١٨٣.
(٢) الغيبة للنعماني: ١٩٠.
(٣) الغيبة للنعماني: ١٩٣.
(٤) عقائد الإمامية: ٦٦.

قال الله تعالى: **﴿ولكل قوم هاد﴾**[1] وقال: **﴿وإن من أمة إلاّ خلا فيها نذير﴾**[2].

ثامناً: وقال الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر (قدس سره): فلم يعد المهدي فكرة ننتظر ولادتها، ونبوءة نتطلع إلى مصداقها، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته، وإنساناً معيناً يعيش بيننا بلحمه ودمه، نراه ويرانا، ويعيش مع آمالنا وآلامنا، ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذبين، وبؤس البائسين وظلم الظالمين، ويكتوي بكل ذلك من قريب أو بعيد، وينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها أن يمدّ يده إلى كل مظلوم، وكل محروم، وكل بائس، ويقطع دابر الظالمين[3].

وقال أيضاً: وقد ورد في الأحاديث الحث المتواصل على انتظار الفرج، ومطالبة المؤمنين بالمهدي أن يكونوا بانتظاره. وفي ذلك تحقيق لتلك الرابطة الروحية، والصلة الوجدانية بينهم وبين القائد الرافض، وكل ما يرمز إليه من قيم، وهي رابطة وصلة ليس بالإمكان إيجادها ما لم يكن المهدي قد تجسّد فعلاً في إنسان حي معاصر[4].

وقال أيضاً: وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك، وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبي ﷺ من طرق إخواننا أهل السنة[5]، كما أحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طرق الشيعة والسنة فكان أكثر من ستة آلاف رواية[6]، وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادة[7].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٨.
(٢) سورة فاطر، آية: ٢٤.
(٣) بحث حول المهدي: ٥٥.
(٤) بحث حول المهدي: ٥٦.
(٥) الغيبة الصغرى: مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٣، سنة ١٩٦٩، بحث حول المهدي: ١٠٤.
(٦) بحث حول المهدي: ١٠٤.
(٧) بحث حول المهدي: ١٠٤.

ولخص الشهيد الصدر بحثه بدليلين وهما: الإسلامي والعلمي.

فقال عن الدليل الأول: فيتمثل في مئات الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام والتي تدل على تعيين المهدي وكونه من أهل البيت. ومن ولد فاطمة، ومن ذرية الحسين، وأنه التاسع من ولد الحسين.. وأن الخلفاء اثنا عشر. فإن هذه الروايات تحدد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، وهي روايات بلغت درجة كبيرة من الكثرة والانتشار على الرغم من تحفظ الأئمة عليهم السلام، واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام، وقاية للخلف الصالح من الاغتيال، أو الإجهاز السريع على حياته. وليست الكثرة العددية للروايات هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك إضافة إلى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها، فالحديث النبوي الشريف عن الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بعده وأنهم اثنا عشر إماماً أو خليفة أو أميراً ـ على اختلاف متن الحديث في طرقه المختلفة ـ قد أحصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة بما في ذلك البخاري ومسلم، والترمذي، وأبو داود، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم على الصحيحين، ويلاحظ هنا أن البخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصراً للإمام الجواد والإمامين الهادي والعسكري وفي ذلك مغزى كبير؛ لأنه يبرهن على أن هذا الحديث قد سجل عن النبي ﷺ قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً، وهذا يعني أنه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاساً له؛ لأن الأحاديث المزيفة التي تنسب إلى النبي ﷺ وهي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنياً لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي تشكل انعكاساً له. فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي في أن الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع، وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن هوى، فقال: إن الخلفاء بعدي اثنا عشر، وجاء الواقع الإمامي الاثني عشري ابتداءً من الإمام علي

وانتهاءً بالمهدي؛ ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف[1].

وعن الدليل العلمي قال الشهيد الصدر: والآن بإمكانك أن تقدر الموقف في ضوء ما تقدم، لكي تدرك بوضوح أن المهدي حقيقة عاشتها أمة من الناس، وعبّر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليه كل هذه المدة تلاعب في الكلام، أو تحايل في التصرف، أو تهافت في النقل.

فهل تتصور ـ بربك ـ أن بإمكان أكذوبة أن تعيش سبعين عاماً، ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها، ويظلون يتعاملون على أساسها، وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ، ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع، وإيمانهم بواقعية القضية التي يدّعون أنهم يحسونها ويعيشون معها؟

لقد قيل قديماً: إن حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً أن من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش أكذوبة بهذا الشكل، وكل هذه المدة، وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثم تكسب ثقة جميع من حولها.

وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لإثبات ما لها من واقع موضوعي، والتسليم بالإمام القائد بولادته، وحياته وغيبته، وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد[2].

نكتفي بهذا القدر من شهادات العلماء والأعلام التي جئنا بها على سبيل المثال لا الحصر كما أسلفنا ذلك.

---

(١) بحث حول المهدي: ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٢) بحث حول المهدي: ١١٠ ـ ١١١.

وعلى هذا أجمع علماؤنا المتقدمون والمتأخرون (قدس سرهم) كافة عدا من شذَّ منهم وانحرف عن جادة الصواب والصراط المستقيم.

إلى هنا تم بحثنا المتعلق بالأدلة الخاصة التي اعتنت بترجمة بعض مفردات حياة الإمام المهدي عليه السلام، والنصوص الدالة على إمامته، وسفرائه الأربعة مع العوامل الممهدة لغيبته وبقية الموضوعات التي تضمنها البحث.

إن الأدلة العامة والخاصة متماسكة لا ينفك بعضها عن بعض، لأن ما قاله الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن المهدي المنتظر عليه السلام قبل ولادته بمائتين وثلاثين سنة قد تجسد بواقع محسوس شهده العالم الإسلامي وعلم به المسلمون، حيث ولد المهدي المنتظر عليه السلام، وتحقق الأمل المنشود بولادته التي حصلت في عاصمة الدولة العباسية، وشاعت أخبارها لا أقل بين الموالين لأبيه الإمام الحسن بن علي العسكري، وشهد الكثير منهم شخصه، وعرف شمائله، وبعد استشهاد أبيه واستلامه للإمامة شهدوا سفراءه الأربعة الواحد تلو الآخر، ونقلوا لهم الأموال، وتبادلوا الرسائل المرسلة إلى الناحية المقدسة والصادرة منها لمدة سبعين سنة.

فالذي يحاول أن يطعن بالأدلة الخاصة بشكل من الأشكال يجد نفسه مكذباً للأدلة العامة من الكتاب والسنة التي حظيت بإجماع تحصيلي من قبل عامة المسلمين بصورة مجملة. وبذا يكون مكذباً للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وما جاء عنه في إقرار إمامته وذكر غيبته وحسبه ونسبه واسمه وكنيته وشمائله إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة به.

وعلى هذا لا يمكنه أن يوفق بين إنكاره للأدلة الخاصة وبين إيمانه بالأدلة العامة.

فإما أن يؤمن بهما معاً وهو المطلوب، أو يكفر بهما معاً، وهذا منافٍ للشرع والعقل والمنطق، وبارتكابه هذه الحماقة النكراء يجد نفسه مبعداً عن خط أهل البيت عليهم السلام وفي صف أعدائهم. وحينئذٍ فليحكم على نفسه بنفسه بما يشاء عدا الإيمان بأهل البيت عليهم السلام والولاء لهم.

ثم إن إنكار تجربة أمدها سبعون عاماً بجميع تفاصيلها أمر لا يقره العقلاء بأي وجه من الوجوه، لأنه مخالف بشكل جليّ للحقيقة والواقع.

الفصل الثالث

بواعث الإشكالات والشبهات والاختلاف في قضية المهدي (ع)

إن البواعث والدوافع التي أثارت الإشكالات والشبهات حول قضية المهدي عليه السلام وشوّهت صورتها الناصعة وحولتها إلى قضية خرافية لا أساس لها، إن هذه البواعث كثيرة جداً لا يسعنا أن نذكرها جميعاً بل سنقتصر البحث على بعضها، آملين أن نعطي بذكر هذا البعض صورة واضحة تشعر القارىء العزيز بما يكاد له من المكائد الشيطانية من وراء الكواليس التي تستهدف تزييف عقائده وتراثه وتاريخه المشرف بالشكل الذي لم تبق حقيقة من حقائقه الناصعة دون تغيير وتشويه وتسويف. وبذا يحاول العملاء وأذناب الاستكبار منذ القدم أن ينتزعوا منها مضامينها الجوهرية، ومحتواها الرسالي، ويسعوا إلى تغيير معالمها الخارجية لتتحول بمرور الزمن إلى أشياء خاوية لا معنى فيها ولا حيوية، أشبه ما تكون بالأجساد الميتة التي لا تقوى على الحركة والانبعاث.

ومعلوم لدى الجميع أن الشعوب تستمد قوتها وحياتها من عقائدها وأفكارها الحية، وتاريخها الحافل بالبطولات والأمجاد، فإذا انفسخت أفكارها وعقائدها التي كانت وراء انبعاثها تحولت بالتدريج إلى مسوخ جوفاء تسيرها الحكومات الجائرة كيف تشاء.

ولذا ترى تلك الحكومات تصب جلّ اهتمامها، وتجند كل طاقاتها من أجل

هدم جميع الأفكار والعقائد التي ساهمت في إيجاد شخصيتها وبناء كيانها الإنساني، لتملي عليها ما تراه صالحاً من الأفكار والعقائد والشعارات التي تنسجم مع أهدافها ومصالحها الشخصية، وطموحاتها التوسعية على صعيد المستقبل.

ومن جملة الحقائق التي تلاعبت بها الأقلام المأجورة، وغيرت معالمها هي قضية المهدي عليه السلام، حيث حولتها من حقيقة عقائدية دونتها كتب الحديث والتاريخ والسير إلى فكرة خرافية ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد أنجز المأجورون هذه المهمة الصعبة على مراحل، حيث تناولوا في البداية الأحاديث المختصة بها، وتلاعبوا بألفاظها ومتونها وأسانيدها، ثم غمروها بأعداد هائلة من الأحاديث الموضوعة التي غيرت مضامينها، وشوّهت معالمها، وجعلت القارىء لها يشك في صدقها وصحتها، لكثرة ما يرى فيها من الاختلافات والتناقضات، وعدم التوافق في ما بينها على اسم المصلح، وصفته، ونسبه وحسبه، وخلطت أوراقه بصورة يصعب معها تمييز هويته، ومعرفة شخصيته وهل أنه موجود أم سيوجد فيما بعد، أو سينزل من السماء مع عيسى عليه السلام بفعل معجزة إلهية.

إن هذه الاختلافات والتناقضات المشار إليها قد قللت من أهمية القضية، وأفقدتها قيمتها المعنوية.

وبعد إنجاز المهمة المذكورة صاروا يسخرون ممن يعتقد فكرة المهدي عليه السلام وينتظر ظهوره، حيث افتعلوا حكاية السرداب الذي غاب فيه، وصوروا الشيعة الموالين له بأنهم أناس جهلة لا يفقهون شيئاً، فهم يجلسون بباب ذلك السرداب في كل جمعة ليندبوا الحجة ويطلبوا منه أن يظهر لينقذهم من الظلم والطغيان. وما زالوا يمارسون ذلك منذ أكثر من ألف سنة.

ولكي تكون عزيزي القارىء على بيّنة من الأمر سنذكر بعض تلك البواعث التي أثارت الإشكالات والشبهات حول قضية المهدي عليه السلام وحوّلتها إلى فكرة خرافية يسخر منها الكتاب المأجورون، ويستخفوا بمعتنقيها.

الاختلافات في نسبه وحسبه

جاء في كتاب جامع الأصول حديث عن علي بن أبي طالب ذكر فيه: «إن ابني هذا سيّد ـ وأشار إلى الحسن عليه السلام ـ كما سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق، لا يشبهه في الخلق ـ ثم ذكر قصة ـ يملأ الأرض عدلاً» أخرجه أبو داود. ولم يذكر القصة[1].

ـ وجاء في الفتوحات المكية ما يؤيد كونه من صلب الحسن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولد فاطمة يواطىء اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جده الحسن بن علي بن أبي طالب. . .[2].

ـ وجاء في الصواعق تعليلاً لسبب جعل الخلافة في نهاية المطاف في أبناء الحسن قائلاً: وروى أبو داود في سننه أنه من ولد الحسن، وكان سره ترك الحسن الخلافة لله عزّ وجلّ شفقة على الأمة، فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليها من ولده ليملأ الأرض عدلاً. . ورواية كونه من ولد الحسين واهية جداً، ومع ذلك لا حجة فيه لما زعمته الرافضة أن المهدي هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة ابن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة الآتين في الفصل الآتي على اعتقاد الإمامية[3].

وفي مجموعة من كتب الحديث السنيّة تؤكد أن نسبه ينتهي إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها:

ـ ما جاء في كتاب (إبراز الوهم المكنون) في الحديث الثاني والثلاثون عن عثمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من العباس عمي». رواه الدارقطني في الافراد، وهو غريب منكر، وقد جمع بأنه عباسي الأم، حسني الأب وليس بذلك بل الحديث لا يصح[4].

---

(١) جامع الأصول ١١: ٤٩، المهدي عند أهل السنة ١: ١٠٠.

(٢) الفتوحات المكية ٣: ٢، المهدي عند أهل السنة ١: ١٠٦.

(٣) الصواعق: ١٦٥.

(٤) إبراز الوهم المكنون: ٥٦٣ ط ـ دمشق ـ سنة ١٣٤٧هـ.

ـ وفيه أيضاً: الحديث الثامن والأربعون: عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال: يا عباس إن الله تعالى بدأ بي هذا الأمر، وسيختمه بغلام من ولدك يملأها عدلاً، كما ملئت جوراً، وهو الذي يصلي بعيسى عليه السلام. رواه الدارقطني في الأفراد، والخطيب وابن عساكر بإسناد ضعيف[1].

ـ وجاء في كتاب (الحاوي للفتاوي) عن كعب قال: المهدي من ولد العباس[2].

ـ وفيه أيضاً: روى الدارقطني في الأفراد، وابن عساكر في تاريخه، عن عثمان بن عفان: سمعت النبي ﷺ يقول: المهدي من ولد العباس عمي. قال الدارقطني: هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم[3].

ـ وفي كنز العمال: عن رسول الله ﷺ أنه قال: يا عم النبي! إن الله تعالى ابتدأ الإسلام بي، وسيختمه بغلام من ولدك، وهو الذي يتقدم عيسى ابن مريم.

ـ وفيه أيضاً: يا عباس! إن الله تعالى بدأ بي هذا الأمر وسيختمه بغلام من ولدك يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وهو الذي يصلي بعيسى عليه السلام[4]

ـ وفي لوائح الأنوار البهية: عن الرسول ﷺ قال مخاطباً عمه العباس: ألا أبشرك يا عم إن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدي في آخر الزمان، به ينشر الله الهدى، ويطفيء نيران الضلالة، إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم[5].

ـ وفيه أيضاً: عن هشيم بن كلب، وابن عساكر، عن ابن عباس مرفوعاً: اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثاً، يا عم: أما علمت أن المهدي من ولدك موفقاً راضياً[6].

---

(١) إبراز الوهم المكنون: ٥٦٧.
(٢) الحاوي للفتاوي ٢: ١٥٦.
(٣) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٥.
(٤) كنز العمال ١٤: الحديث: ٣٨٦٩٣ و٣٨٦٩٤.
(٥) لوائح الأنوار ٢: ٨، المهدي عند أهل السنة ٢: ١٠.
(٦) لوائح الأنوار ٢: ٨، المهدي عند أهل السنة ٢: ١٠.

وهذه مجموعة أخرى تؤكد أنه عليه السلام اسمه محمد بن عبد الله:

ـ عن أبي نعيم في حلية الأولياء: وإنما الخليفة المنتظر هو محمد بن عبدالله المهدي القائم في آخر الزمان وهو يولد بالمدينة المنورة لأنه من أهلها كما أخبر به وبعلامته[1].

ـ وفي كنز العمال: رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي...[2].

ـ وفيه أيضاً: المهدي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي (ذكر عن ابن مسعود)[3].

وزعم البعض من الرواة أن لا مهدي إلا عيسى، غير أنه مردود لأنه حديث موضوع مصنوع.

ـ روى ابن ماجه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «... ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم».

قال القرطبي في التذكرة: إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث؛ فالحكم بها دونه[4].

ـ وفي كتاب إبراز الوهم المكنون حول حديث «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم» قال صاحب الكتاب: وأقول إن هذا الحديث ليس بضعيف كما يقول الطاعن ـ يعني ابن خلدون ـ وإن اقتصر على ذلك غيره، بل هو باطل موضوع مختلق مصنوع لا أصل له من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من كلام أنس، ولا من كلام الحسن البصري وبيان ذلك وإيضاحه من وجوه[5].

---

(١) عنه في المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٦.

(٢) كنز العمال ١٤: الحديث: ٣٨٦٦٧ و٣٨٦٦٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٤، وانظر المهدي عند أهل السنة ١: ٣٩٦.

(٥) الوهم المكنون: ٥٨٤.

وقال ابن خلدون: وربما تمسك المنكرون لشأن المهدي بما رواه محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: لا مهدي إلا عيسى.

وهذا حديث مصنوع فقد قال ـ نقاد الأسانيد كالحاكم: إن محمد بن خالد رجل مجهول، وقال ابن عبد البر: إنه مردود، وقال الأزدي: منكر الحديث، وأخذ في مثل هذا يقول ابن حزم: إذا كان في سند الحديث رجل مجروح بكذب، أو غفلة، أو مجهول الحال، لا يحل عندنا القول به، ولا تصديقه، ولا الأخذ بشيء منه[1].

وأما ما جاء من الأحاديث الصحيحة المتواترة من كونه من ولد فاطمة، أو التاسع من أبناء الحسين فهذا مجمع على صحتها لا ريب، لأنه رواه الفريقان.

ـ جاء في كتاب الإشاعة لأشراط الساعة (ذكر القرطبي أن معظم الأحاديث الصحيحة تؤكد أن المهدي من ولد فاطمة...[2].

ـ من كتاب ذخائر العقبى: ذكر حقيقة حديث عن رسول الله ﷺ قال فيه: إن المهدي من ولد هذا، وضرب بيده على ظهر الحسين عليه السلام، وكان ذلك جواباً على سؤال سلمان (رض)...

وهذا نص الحديث: قال الرسول ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولد ولدي هذا، فضرب بيده على ظهر الإمام الحسين عليه السلام: رواه أحمد في أوائل مسند عبد الله بن مسعود تحت رقم (٣٥٧١)[3].

ـ عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي (رضي الله تعالى عنه) قال: دخلت على النبي ﷺ فإذا الحسين عليه السلام على فخذيه وهو يقبل عينيه ويقبل فاه، ويقول: أنت سيد ابن سيد، وأنت إمام ابن إمام، وأنت حجة ابن حجة،

---

(١) مجلة التمدن الإسلامي الجزءان: ٣٥ و٣٩ سنة ١٩٥٠.

(٢) المهدي عند أهل السنة ١: ٤٨١.

(٣) مسند أحمد ٥: ١٩٦.

وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم[1].

ـ وفي كتاب المقتضب لابن العياش يروي الحديث التالي عن عدد من الصحابة: عن زيد بن وهب، عن أبي جحيفة، والحارث بن عبد الله الهمداني، والحارث بن شرب، كل حدثنا أنهم كانوا عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام فكان إذا أقبل ابنه الحسن يقول: مرحباً يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا أقبل الحسين عليه السلام يقول: بأبي أنت يا أبا ابن خيرة الإماء.

فقيل: يا أمير المؤمنين ما بالك تقول هذا للحسن، وهذا للحسين؟ ومن ابن خيرة الإماء؟

فقال: ذاك الفقيد الطريد الشريد (م ح م د) بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هذا ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام[2].

ـ وفي كتاب الصحاح الستة، عن أبي إسحاق قال: قال عليّ عليه السلام ونظر إلى ابنه الحسين عليه السلام، وقال: (إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يشبهه في الخلق، ولا يشبهه في الخلق، يملأ الأرض عدلاً. . .)[3].

ـ عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال للحسين عليه السلام: التاسع من ولدك يا حسين! هو القائم بالحق المظهر للدين الباسط للعدل، قال الحسين عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين وإن ذلك لكائن؟

قال: إي والذي بعث محمداً بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه. . .[4].

---

(١) ينابيع المودة: ٢٥٨.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ١١٠.
(٣) بحار الأنوار ٥١: ١١٦.
(٤) بحار الأنوار ٥١: ١١٠.

الاختلافات في اسمه وكنيته وأوصافه

مرّ في بعض الروايات أن اسمه اسم رسول الله ﷺ، ومعنى ذلك هو أن اسمه يكون: محمد بن عبد الله. إلا أن هذا منافٍ للروايات الكثيرة المتواترة التي أجمع الفريقان على صحتها، وهي بلفظ اسمه اسمي وكنيته كنيتي ـ يعني أبا القاسم ـ.

ـ ومنها: حديث عبد الله بن مسعود وقد رووه في كتب أهل السنة منها صحيح الترمذي: حدّثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي الكوفي، حدثني أبي، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم بن بهدلة، عن زرّ، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي. وفي الباب عن عليّ وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة هذا حديث حسن صحيح[1].

ومنها: تذكرة الخواص أخبرنا عبد العزيز محمود بن البزاز، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي»، وهذا حديث مشهور وقد أخرجه أبو داود عن الزهري عن عليّ بمعناه...[2].

ـ كفاية الأثر: محمد بن علي، عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين (الحسن نخ) بن محمد بن عامر، عن عمه، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي جميلة المفضل بن صالح، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً..[3].

هذا هو الحديث الصحيح المشهور المروي في كتب الفريقين بلا طعن،

---

(١) صحيح الترمذي ٩: ٧٤ ط ـ مصر.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٧٧ ط ـ سنة ١٣٦٩.

(٣) كفاية الأثر: ٦٦، ينابيع المودة: ٤٨٨ و٤٩٣.

والحديث الذي ذكر فيه: اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، خلقه خلقي وخلقه خلقي[1]، فيه زيادة ـ اسم أبيه اسم أبي ـ فهو نادر وشاذ انفرد بذكره البعض من الرواة السنة فقط، كتميم الداري الذي قال عنه العقيلي في الضعفاء: وقد روى غير حديث منكر لا أصل له. وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً[2].

هذا هو ما حصل من اختلاف في الاسم والكنية، وأما الاختلاف بالأوصاف فهو كما يلي: فقد جاء في كتب الفريقين: إن المهدي لأشبه الناس بي خلقاً وخلقاً... وشمائله شمائلي.. وخلقه خلقي، وخلقه خلقي..[3]، بينما نرى في الأوصاف الواردة في بعض الروايات تنفي المشابهة بينهما[4].

ففي بعضها أن اللون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، أو أكحل العينين أزجّ الحاجبين، أقنى الأنف كث اللحية، على خد الأيمن خال، وعلى يده اليمنى، أو كأنه من رجال بني إسرائيل، أو أزج أبلج أعين إلى غير ذلك من الأوصاف المغايرة لأوصاف رسول الله ﷺ[5].

هذا بالإضافة إلى الاختلاف الموجود فيها حيث عظّم البعض من تلك الروايات ضخامة جسمه كضخامة أجسام بني إسرائيل، وذكر البعض الآخر منها أنه مربوع، والمربوع يعني المتوسط القامة[6].

والغرض من هذا الاختلاف كما هو معلوم تضييع هوية الإمام المهدي عليه السلام بحيث لا يستطيع أحد معرفته وتشخيصه، حتى إذا ما ظهر اختلف الناس فيه نظراً لاختلاف الأوصاف.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٧٦٥ ط ـ حيدر آباد.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٣٢٢.

(٣) كفاية الأثر: ٦٦، تذكرة الحفاظ ١: ٧٦٥، جامع الأصول ٥: ٣٦٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) عقد الدرر: ٣٤ و٣٧، إسعاف الراغبين: ١٣٥، الجامع للأصول ٥: ٣٦٤، ينابيع المودة: ٤٦٩.

(٦) عقد الدرر: ٣٤ و٤١.

الاختلافات في ولادته وعدمها ومكان الولادة

ثبتنا في ما مرّ في باب ولادة المهدي عليه السلام أن الشيعة والسنة أجمعوا على أن ولادته كانت في سرّ من رأى في ليلة الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥هـ، وذكرنا من علماء السنة الشبراوي الشافعي، والشبيلنجي، والكنجي الشافعي، والرفاعي المخزومي، والشامي الشافعي وابن حجر الهيثمي، وابن طولون الدمشقي الحنفي، وابن خلكان، وابن الجوزي، وابن الصباغ، والقرماني، والشعراني، وعثمان العثماني، والعلامة الحمزاوي في مشارق الأنوار، والقندوزي وغيرهم[١]، ومن علماء الشيعة محمد بن يعقوب الكليني، والشيخ محمد بن الحسن الطوسي، والشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والسيد محمد الصدر، والشهيد محمد باقر الصدر وسائر علمائنا المتقدمين والمتأخرين أجمعوا على ذلك دون استثناء[٢].

وشذ عن هذا الإجماع بعض الطائفيين المتعصبين الحاقدين على الشيعة والتشيع، فتنكروا لولادته عليه السلام، أو قالوا إنه ولد في المدينة ثم غاب، أو إنه ولد ثم مات ولم يكن للإمام الحسن العسكري حين وفاته ولد، لذا أخذ أخوه جعفر ميراثه.

فابن حجر العسقلاني الهيثمي مثلاً يعترف بولادته ويقول: ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر، قيل لأنه ستر بالمدينة، وغاب فلم يعرف أين ذهب[٣].

وفي مكان آخر من كتابه (الصواعق) قال: (إن العسكري لم يكن له ولد، لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات، فدلَّ طلبه أن أخاه لا ولد له، وإلا لم

---

(١) الاتحاف بحب الأشراف: ٦٨، كفاية الطالب: ٤٥٨، صحاح الأخبار: ٥٥، الصواعق: ١٢٤، الشذورات الذهبية: ١١٧، وفيات الأعيان ١: ٥٧١، مطالب السؤول: ٨٩، تذكرة الخواص: ٢٠٤، مشارق الأنوار: ١٥٣.

(٢) أصول الكافي ١: ٥١٤، كمال الدين ٢: ٤٣٠، الغيبة للشيخ الطوسي: ١٤٣، منتخب الأثر: ٣٢٠، الغيبة الصغرى: ٢٦١، بحث حول المهدي: ٦٥ وغيرها.

(٣) الصواعق: ١٢٤ ط ـ مصر.

يسعه الطلب...)[1].

وقال أيضاً فيه: وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري، وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لإثباته، وأن أخاه جعفراً أخذ ميراثه[2]. هكذا يطلق الكلام على علاته دون أن يتثبت من قول السبكي والمصدر الذي اعتمد عليه.

وفي لوائح الأنوار قال صاحبه: ما زعم الشيعة أن اسمه ـ يعني المهدي عليه السلام ـ محمد بن الحسن وأنه محمد بن الحسن العسكري هذيان، فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن عليه السلام [3]. وهذا نظير صاحبه ابن حجر يطلق كلاماً جزافاً لا دليل عليه، ولا يرتضي هذا الفعل أي إنسان عاقل منصف.

ومثل ما افتعلوا الخلاف في أمر ولادته افتعلوه في مكان الولادة فالقرطبي في (كتاب الإشاعة لأشراط الساعة) يقول: إن معظم الأحاديث الصحيحة تؤكد أن المهدي من ولد فاطمة، وأن مولده بلاد المغرب[4].

ومنهم من قال إنه محمد بن عبد الله العلوي سيولد في المدينة المنورة[5].

ومما تقدم نعلم أن وعاظ السلاطين قد استثمروا كل النقاط السلبية التي أفرزتها الفرق ذات العقائد الفاسدة ـ كالكيسانية، والفطحية، والواقفية ـ ليشوهوا قضية المهدي المنتظر عليه السلام ويطمسوا معالمها. ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يفتعلون الحكايات الوهمية، كحكاية السرداب الذي غاب فيه، ولازمته الشيعة منذ غيابه إلى الآن.

ولكن لحسن الحظ لم يوفقوا إلى تعيين مكان السرداب، فمنهم من قال في سامراء، ومنهم من قال في الحلة أو بغداد، ومنهم من لم يذكر مكانه. وساعد هذا

---

(١) الصواعق: ١٧٦، انظر المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) عنه في المهدي عند أهل السنة ٢: ١٠.
(٤) الإشاعة لأشراط الساعة: ٨٨ ـ ٨٩.
(٥) عنه في المهدي عند أهل السنة ٢: ٤٥.

الأمر على فضح أكذوبتهم، وكشف سوأتهم، وبعدتلفيق هذه الحكاية أخذوا يسخرون ممن يعتقد فكرة الغيبة، ويصفونهم بالغباء والجمود والتحجر.

وستعرف عزيزي القارىء صدق ما قلناه من خلال عرض نماذج من أقوالهم الموتورة الدالة على شدة بغضهم، وحقدهم على أتباع مدرسة أهل البيت.

نماذج من افتراءات وعاظ السلاطين

ـ قال القرماني في كتابه (الصراع بين الإسلام والوثنية): وإن أغبى الأغبياء، وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا إمامهم في السرداب، وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلى ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام[١].

ـ وقال ابن كثير في كتابه (النهاية): المهدي الذي يكون في آخر الزمان وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس هو بالمنتظر الذي تزعمه الرافضة، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له، ولا عين، ولا أثر، ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه دخل السرداب وعمره خمس سنين...[٢].

وقال في مكان آخر من كتابه: يخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعمه جهلة الرافضة، من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان. إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان، من كتاب، ولا سنة، ولا معقول صحيح، ولا استحسان[٣].

وقال ابن بطوطة في رحلته: إن مكان السرداب في الحلة[٤].

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية ١: ٣٧٤.
(٢) النهاية ١: ٢٤، وانظر المهدي عند أهل السنة ١:٢٩٦.
(٣) النهاية ١:٢٩، وانظر المهدي عند أهل السنة ١:٣٠١.
(٤) رحلة ابن بطوطة ٢: ١٩٨.

وذكر العلامة الأميني في كتابه (الغدير) ذلك وأجاب عنه بقوله: أحببت أن أذكره ـ يعني القرماني ـ تخليداً لذكره الشريف في هذه الموسوعة القيمة، فقال:

وفرية السرداب أشنع، وإن سبقه إليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطنبور نغمات بضم الحمير إلى الخيول وادعائه اضطراد العادة في كل ليلة واتصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترى أن غيبة الإمام في السرداب، ولا هم غيبوه فيه، ولا أنه يظهر منه، وإنما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم أنه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: أنه مغيب ذلك النور، وإنما هو سرداب دار الأئمة بسامراء وإن من المضطرد إيجاد السراديب في الدور وقاية من قائظ الحر، وإنما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وأنه كان مبوأً لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السلام ومشرفهم النبي الأعظم في أي حاضرة كانت، فقد أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقولين في أمر السرداب اتفقوا على رأي واحد في الأكذوبة حتى لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة في رحلته: إن هذا السرداب المنوه في الحلة. ولا يقول القرماني في (أخبار الدول) في بغداد. ولا يقول الآخرون إنه بسامراء. ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوأته.

وإني كنت أتمنى للقصيمي أن يجدد هذه العادة بأقصر من (أكثر من ألف عام) حتى لا يشمل العصر الحاضر والأعوام المتصلة به، لأن انتفاءها فيه وفيها بمشهد ومرأى ومسمع من جميع المسلمين، وكان خيراً له لو عزاها إلى بعض القرون الوسطى حتى يجوّز السامع وجودها في الجملة، لكن المائن غير متحفظ على هذه الجهات[1].

هذه بعض بواعث الإشكالات والشبهات التي أثيرت حول قضية الإمام المهدي عليه السلام كمسألة عقائدية تشكل جزءاً مهماً من أصل الإمامة الذي يعتنقه الشيعة التابعون لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الغدير ٣: ٣٠٨.

ولو دققنا النظر في مجموع البواعث لوجدنا أن منشأها التعصب الطائفي الأعمى الذي أفرزته أفكار علماء السوء والضلال الذين سخَّروا كل طاقاتهم لخدمة أغراض الحاكم الظالم المستبد لقاء الأموال المسروقة من بيت مال المسلمين.

وعلماء السوء الذين تسببوا في انهيار دولة الإسلام وزوال حكمها صنفان:

الصنف الأول: مثاله العالم النفعي المنافق الذي يتخذ من الدين وسيلة لتحقيق منافعه وأغراضه الشخصية ولو على حساب اضمحلاله وزواله.. وهذا الصنف من العلماء يكون بمثابة الدود الذي ينخر البناء من الداخل دون أن يلحظه أحد، ولكن عندما يتعرض لأقل ضغط من الخارج سرعان ما ينهار ويتهاوى وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً. وهكذا يكون دور علماء السوء ينخرون بأصول العقيدة الإسلامية وفروعها حتى تستحيل إلى أشياء خاوية مجردة من مضامينها لا تساوي شيئاً كالتوراة والإنجيل.

فهؤلاء هم الذين يصبحون أداة طيعة بيد الحاكم الفاسق الظالم فيمرِّر من خلالهم جميع عمليات القتل والإبادة لمعارضيه، ويمهدون له سبيل الظلم والانحراف والطغيان.

وسمِّي هؤلاء بوعاظ السلاطين لابتعادهم عن الله، وخضوعهم للحاكم الظالم المستبد، وقلب كل الحقائق لصالحه. فهم الذين يضعون الأحاديث المختلقة، ويزورون التاريخ، ويلفقون التهم الباطلة ضد معارضي السلطة الغاشمة، ويفتعلون الأكاذيب والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فإن من أهم مهامهم قلب الحقائق، وتغيير الوقائع، وتبرير ممارسات الحاكم الظالم الإجرامية واللاأخلاقية بإضفاء الشرعية عليها، باعتبارها صادرة من عبد مجبور على ارتكاب المعصية مثل ما هو مجبور على الطاعات إلى آخر ما في جعبتهم من العقائد الفاسدة.

وبناء على هذا يقومون بإصدار فتاواهم المنافية للشرع، فيجمِّلون القبيح، ويقبِّحون الجميل، ويحوِّلون المعروف إلى منكر، والمنكر إلى معروف، ويصوِّرون الحاكم الظالم الجاهل، الحاقد الناقم، الخائن الجبان، إنساناً عالماً عادلاً ورعاً تقياً شجاعاً رحيماً رؤوفاً، يخشى الله ولا تأخذه فيه لومة لائم، مواظباً

على طاعاته، مجانباً لمعاصيه ـ كمعاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد، والوليد ونظائرهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين.

ويصورون الإمام المطهر من الرجس، المبرأ من العيب، المعصوم من الذنب، المكلف بهداية البشر لدين الله، والمحيط بعلم كتابه، والوارث لعلوم أنبيائه وأوصيائهم، المتصف بالورع والتقى والنقاء، المطيع لأمر مولاه، والمخالف لهواه، حبل الله العتيد، وعدل كتابه المجيد، فيصورونه جاهلاً فاسقاً، تاركاً للصلاة، شاقاً عصا الطاعة، خارجاً على إمام زمانه، مفرقاً وحدة الأمة، ظالماً غاشماً، يستحق القتل والإبادة، ويلصقون به ما يشاؤون من التهم الباطلة حتى لا يأسى عليه من المسلمين أحد بعد قتله وإبادته ـ كعليّ بن أبي طالب، وابنيه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعلي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري، والحجة محمد بن الحسن القائم المنتظر عليهم السلام.

فهؤلاء الوعاظ لم يسلم من أقلامهم المأجورة أي إمام عادل طاهر، ولا عالم صالح تقيّ. فمثلما تعرضوا لتاريخ الأئمة الأطهار والنصوص الواردة فيهم بالتحريف والتشويه والتزوير، كذلك تعرضوا لسيرة المهدي عليه السلام وتاريخ حياته، والنصوص الدالة على إمامته، فغيروها وحرّفوا مضامينها، وشوهوا معالمها، فأوّلوا الآيات، وحرّفوا الأحاديث، ومسخوا جميع مفردات حياته وسيرته الرسالية التي استمرت سبعين عاماً في زمن غيبته الصغرى.

فإذا سلم المهدي عليه السلام من سيف الجلاد العباسي بمعجزته الإلهية، فإنه لم يسلم من أقلام وعاظهم، التي تناولت كل ما يتعلق به بالتشويه والتحريف بعد إثارة الشكوك والشبهات من حوله.

فوعاظ السلاطين هم الذين وضعوا مئات الأحاديث المختلقة في قضية المهدي عليه السلام، فغمروا بها جميع الروايات الواردة فيه حتى لم يعد يمتاز صحيحها من سقيمها. فحديث ـ لا مهدي إلا عيسى، وأن اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، وأن اسم المهدي هو محمد بن عبدالله العلوي ـ وغيرها من الأسماء المختلقة التي كادت أن تفتت قضية المهدي عليه السلام، وتجعلها هباءً لولا جمهور

المحققين المنصفين من علماء السنة والشيعة الذين انتشلوها من الضياع والتسويف.

فهذه نماذج مما افتعله الوعاظ ضمن حملتهم الإعلامية التشويهية التي استهدفت نسف القضية المهدوية من جذورها، كما حاولوا من قبل نسف القضية الحسينية، والقضايا الإسلامية الأخرى بتجريدها من مضامينها الجوهرية، ومحتواها الإنساني، وأهدافها الرسالية، وتحويلها من نقاط مضيئة مشرقة إلى نقاط سوداء تملأ صفحات تاريخنا الإسلامي؛ لأنها تمثل حركات التمرد والعصيان وشق الصف وتفريق المسلمين كما صورتها أقلامهم المأجورة.

فمهمة الصنف الأول من علماء السوء كما أوضحنا هي قلب الحقائق وتصوير الأمور بالشكل الذي يراها الحاكم الظالم المستبد، وإضفاء الشرعية على مجمل تصرفاته المنافية للكتاب والسنة.

الصنف الثاني: مثاله يتجسد بالعالم المشبع بروح التعصب الطائفي الأعمى، الذي صرعته العصبية وأفقدته صوابه ورشده، وجعلته يخبط خبط عشواء، لا يدري كيف يسكّن هيجان حقده، ويطفيء نار ضغائنه الملتهبة، وهو لا يرى لها علاجاً شافياً سوى إبادة طائفة كبيرة من المسلمين وطمس معالمها.

فهؤلاء حملتهم العصبية الطائفية العمياء على إدامة نهج الظلم والضلال، الذي سنّه وعاظ السلاطين في زمن الدولة الأموية والعباسيّة.

وبرزت حركة المتعصبين هذه بعد انهيار الدولة العباسية، فاستثمرت جميع السموم التي أفرزتها أقلام الوعاظ من وضع للحديث، وتشويه للحقائق وتزوير للوقائع لكي تلغي قضية المهدي عليه السلام، وتثبت بطلان مذهب أهل البيت عليهم السلام.

فقد استفادوا من الشكوك والشبهات المثارة حول قضية المهدي عليه السلام ونسجوا من تخرصات الماضين قصصاً خرافية، كقصة السرداب الذي اختفى فيه إمام الرافضة بزعمهم، ثم صار الشيعة يحضرون ببابه في كل ليلة منذ أكثر من ألف عام ينتظرون خروجه. وحولوا بهذه القصة ونظائرها قضية المهدي عليه السلام إلى قصة خرافية لا أساس لها، وفتحوا باب السخرية والاستهزاء والتوهين لمعتنقي

إمامته باعتباره الإمام الثاني عشر، كما نص عليه الرسول الأعظم ﷺ.

إن هذا الأسلوب الساخر المستخفّ بالآخرين الذي ابتدعه علماء السوء، وزرعوا من خلاله الأحقاد والضغائن، قد أجج نار الحرب الطائفية النكراء التي التهمت مئات الآلاف من المسلمين الأبرياء دون تمييز وتفريق.

فالحروب الطائفية الطاحنة التي شرعت بعد سقوط الدولة العباسية واستمرت قروناً عديدة، كانت ثمرة أحقاد علماء السوء المتعصبين.

فالنتائج المأساوية التي جناها المسلمون من جراء تلك الحروب الدامية كانت حصيلة إفرازات خط الظلم والضلال الذي شتت المسلمين وألّب بعضهم على بعض، وأضعف قواهم، وأذهب عزهم، وألغى دورهم، ومهّد لهم سبيل الذل والعبودية.

فكل ما يُصاب به المسلمون من سوء، وضياع للحقوق، وسفك للدماء، ونهب للأموال تقع مسؤوليته على عاتق وعاظ السلاطين وعلماء السوء؛ لأن تلك هي ثمار منهجهم المنحرف المخالف لشرع الله، ولسنة نبيه ﷺ.

الشبهات والإشكالات

من الإشكالات والشبهات التي تعرضت لها قضية المهدي المنتظر عليه السلام:

١ ـ مسألة عدم ظهور آثار الحبل على أمه حتى ساعة ولادته.

٢ ـ ومسألة طول عمره الشريف الذي تجاوز الألف سنة ولا يزال.

٣ ـ ومسألة الإمامة المبكرة التي حازها في عمر لا يتجاوز الخمس سنوات.

٤ ـ ومسألة غيبته، واختفائه عن أنظار شيعته.

٥ ـ ومسألة الفائدة من وجوده المبارك إذا كان غائباً لا يمارس مهام الإمامة، من توجيه وحلّ للمعضلات التي تواجه المسلمين، ورفع الموانع التي تعترض سبيلهم.

وليست هذه القضية الوحيدة التي تعرضت لإثارة الإشكالات والشبهات، بل

شأنها شأن القضايا الغيبية الأخرى التي كانت معرضاً لحملات التشويش والتشكيك، كقضية البرزخ والبعث، والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغيرها من الأمور الغيبية التي لا ترى بالعين، ولا تلمس باليد، فهي ليست أموراً مادية حسية يمكن إحضارها في المختبر، وإخضاعها للتجارب وللتأكد من صحتها..

إن هذه القضايا الغيبية ونظائرها لا يمكن فهمها من خلال السياق المادي التجريبي، بل لا بد من وضعها ضمن إطار الدراسة الغيبية التي تعتمد بالدرجة الأولى على إثبات الأمور العقائدية بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والدلائل العقلية، والمؤيدات التي تفرزها التجارب العلمية بمرور الزمن.

ففهم العامل الغيبي، والإيمان المطلق بالله بأنه قادر على إيجاد ما يشاء ولو بتعطيل جميع القوانين والسنن الطبيعية التي أوجدها لإدارة شؤون الكون وخلق مفرداته، عاملان مهمان في فهم القضايا الغيبية، فهناك الكثير من القضايا التي حصلت بقدرة الله وتقديره بمعزل عن السنن الطبيعية، وقد أشار لها القرآن الكريم بصراحة كأدلة قطعية تثبت القدرة غير المتناهية لله تعالى. منها قوله عز وجل: **﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾**[1].

ومنها قوله تعالى: **﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّء لنا من أمرنا رشداً * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾** إلى أن قال تعالى ـ **﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾**[2].

ومنها قوله تعالى: **﴿ذكرُ رحمت ربك عبده زكريا * إذ نادى ربَّهُ نداءً**

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ٩ و١٠ و١١ و٢٥.

خفياً * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأسُ شيباً ولم أكن بدُعائك ربّ شقيّاً * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرثُ من آل يعقوب واجعله ربِّ رضياً * يا زكريا إنّا نبشّرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً * قال رب أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغتُ من الكبر عتياً * قال كذلك قال ربك هو عليّ هيِّن وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾[1].

هذه ثلاث أمثلة عرضها الكتاب المجيد ليثبت من خلالها عظمة القدرة الإلهية التي أوجدت كل الأشياء من لا شيء، وبغضّ النظر عن السنن الطبيعية التي جعل الله منها الأسباب والمسببات المشتركة في إيجاد الكون واستمرار بقائه.

ففهم هذه القصص ونظائرها ـ كقصة آدم، وحواء، وعيسى، وموسى، وإبراهيم وغيرهم ـ بعيداً عن مؤثرات السنن الطبيعية وبدون الإيمان المطلق بالمعجزة الإلهية يكاد يكون أمراً مستحيلاً لا يصدق، إذ كيف يتعقل الإنسان وجود إنسان أو إنسانة بدون الأبوين، أو وجود طفل من غير أب، أو إيجاد طفل في رحم أم عقيم، أو إماتة فرد أو أفراد لمدة مائة عامٍ أو ثلاث مائة عام وتسع سنين بمعزل عن ذلك.

فبهذا الفهم الواعي للعامل الغيبي، والقدرة الإلهية غير المتناهية يستطيع أن يفهم المرء قضية المهدي عليه السلام وغيرها من القضايا الغيبية التي أشرنا إليها، وبدونه سيكون فهمها أمراً عسيراً، وسيقود الباحث حتماً إلى الكفر بها في نهاية المطاف، ويخرج من دائرة المؤمنين بالغيب.

فالمنهج المادي الذي يمارسه المستشرقون في دراسة عقائد المسلمين والقضايا الغيبية لا يصلح تطبيقه على مثل هذه الأمور لأنها ليست مادية تخضع للتجارب كما أسلفنا.

لذا يجب على الباحث المسلم أن لا يقلد المستشرقين في دراسة قضية المهدي عليه السلام، وما ماثلها من الأمور الغيبية بعيداً عن الفهم الواعي للعامل الغيبي المشار إليه، لأن ذلك سيقوده إلى متاهات الضلال والضياع، ويبعده عن

---

(١) سورة مريم، آية: ٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩.

صلب عقيدته الإسلامية رغماً عنه، وتلك هي النتيجة الحتمية للانسياق وراء المنهج المادي في دراسة القضايا الغيبية والعقائدية.

الشبهة الأولى حول عدم ظهور آثار الحمل حتى الولادة

وتتجسد هذه الشبهة التي أثارها المشككون في ولادة الإمام محمد بن الحسن بن علي العسكري عليهما السلام؛ لأنهم استفادوا من قراءة أخبار الوليد، وعرفوا منها بعض الظروف والأسرار المحيطة بها. ومنها عدم ظهور آثار الحمل على أم الوليد حتى ساعة ولادته، فظن هؤلاء أن بمقدورهم استثمار نقطة الضعف تلك للتشكيك بولادته.

فلما عجزت السلطة عن معرفة آثار الإمام قبل ولادته، والعثور عليه بعد الولادة أوعزت إلى بعض وعّاظها أن يثيروا الشكوك من حوله حتى يزرعوا القنوط في نفوس أتباعه ومواليه، إذ لعلهم بهذا الفعل يقطعون الصلة بينه وبينهم حين ييأسون من وجوده والعثور عليه.

وبذا يقللون من خطره على دولتهم على صعيد المستقبل حسب اعتقادهم؛ لأنه إذا ما ظهر وادّعى أنه هو المهدي عليه السلام لا يصدّقه أحد لكثرة ما أثير حوله من تشويش وتشكيك..

وعن سبب عدم ظهور آثار الحمل أجاب الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام عمته عندما سألته عن ذلك في ـ حديث طويل ـ نأخذ منه مقاطع لبيان الحال.

الإمام يقول: يا عمّتا بيتي الليلة عندنا فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ الذي يحيي الله عزّ وجلّ به الأرض بعد موتها، فقلت: ممن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهراً لبطن فلم أرَ بها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت، فتبسم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل؛ لأن مثلها مثل أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل. ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأن

فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام [1].

وقال السيد محمد الصدر حول نفس الموضوع في كتابه (الغيبة الصغرى): والمعجزة في خفاء الحمل تكون ـ في الأرجح ـ على هذا الترتيب: وهو أن النطفة خلال مدة الحمل تنمو ببطء شديد، أو لا تنمو على الإطلاق. ثم إنها قبل الولادة بوقت قصير قد لا يزيد على دقائق، تنمو بسرعة حتى يكتمل الجنين، ويكون قابلاً للميلاد، في الجو السري الخاص البعيد عن أعين السلطات.

وبذلك لا يتمكن أحد من الفاحصين حتى القوابل، خلال المدة الاعتيادية للحمل.. من التعرف على وجوده، فضلاً عن مجرد النظر. وذلك: لأن الطب إلى يومنا الحاضر عاجز عن التعرف إلى الحمل في شهره الأول، فكيف بالعصور السابقة.. عصور الخلافة العباسية، فلو بقي الجنين، بإرادة الله تعالى، على شكله في الشهر الأول طيلة مدة الحمل، لم يتمكن أحد أن يخمِّن وجود الحمل على الإطلاق، في تلك العصور [2].

وقال الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني في كتابه (منتخب الأثر) عن السر في خفاء ولادة المهدي عليه السلام: السر في خفاء ولادته هو أن بني العباس لما علموا من الأخبار المروية من النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن المهدي عليه السلام هو الثاني عشر من الأئمة. وهو الذي يملأ الأرض عدلاً، ويفتح حصون الضلالة ويزيل دولة الجبابرة ويقتل الطواغيت، ويملك الأرض شرقها وغربها أرادوا إطفاء نوره بقتله، فلذا عينوا العيون والجواسيس والقوابل للتفتيش عن بيت والد الحجة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ولكن يأبى الله إلاّ أن يتم نوره، فأخفى عز وجل حبل أمه نرجس عن الناس حتى نقلوا أن المعتمد بعث القوابل سرّاً وأمرهنَّ أن يدخلن دور بني هاشم سيما دار العسكري عليه السلام بلا استئذان في أي وقت كان لتفتيش أمره واستعلام حاله، وخبره فلم يقفن على شيء، وأبى الله إلاّ أن يجري في حجته سنة نبيه موسى كما أن أعداءه ركبوا سنة

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٢٧.

(٢) الغيبة الصغرى: ٢٦٤.

فرعون، واتخذوا السياسة الفرعونية حيث علم أن زوال ملكه يكون بيد رجل من بني إسرائيل فعين المفتشين على الحوامل، وأخذ المواليد تحت المراقبة الشديدة فإذا كان المولود ذكراً ذبحوه، وإن كان أنثى يستحيونها فقتلوا ألوفاً من المواليد في طلب موسى، قال الله عز وجل: **﴿يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾** [سورة الأعراف، الآية: ١٤١]، ومع ذلك جعل الله تعالى نبيه في حفظه وأخفى عنهم ولادته، قال الله تعالى: **﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾** [سورة القصص، الآية: ٧] وقد ذكر في الروايات الكثيرة شباهته عليه السلام بإبراهيم وموسى عليهما السلام[١]

هذه بعض الشواهد التي عللت ظاهرة خفاء الولادة وما كمن فيها من أسرار، وأن جميعها تدخل ضمن إطار الإعجاز الإلهي، فنحن يكفي أن نؤمن بالإعجاز ولا يهمنا معرفة التفاصيل والجزئيات والكيفية التي أجرى الله فيها إعجازه؛ لأننا نعلم علم اليقين بأن الله قادر على كل شيء، يقول للشيء كن فيكون بالكيفية التي أرادها الله سبحانه وتعالى..

ونعلم أيضاً بأن المعجزة لا يعلم بتفاصيلها وجزئياتها سوى الله؛ لأنها من الأمور الغيبية التي لم يطلع عليها أحد، فليس باستطاعة أي إنسان أن يجزم بأنه كشف بتعليله الستار عن حقيقة الكيفية التي جرت بها المعجزة، فتبقى هذه التعليلات المذكورة مجرد أمور ظنية تدور مدار المعجزة دون أن تعرف حقيقتها.

الشبهة الثانية حول طول عمر الحجة عليه السلام

إن مسألة إطالة عمر المهدي عليه السلام كانت من الأمور التي استثمرت للتهريج والتشنيع والتشويش ضد الشيعة الإمامية من قديم الزمان إلى الوقت الحاضر، واصفين إياها بأنها مخترعة الأكاذيب والأساطير ومفتعلة الأحاديث والأحداث.

كل هذه التهم والافتراءات الموجهة ضد مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنه

---

(١) منتخب الأثر: ٢٨٦ و٢٥٨ و٢٨٤ و٣٠٠.

اعتقد بإمامة الأئمة الاثني عشر الذين نص عليهم الرسول ﷺ بذكر أسمائهم واحداً تلو الآخر، بما فيهم الإمام المهدي عليه السلام، وهذا ما ذكرته كتب إخواننا أهل السنة باعتبارها أحاديث متواترة لا يشك في صحتها أحد. ولكن البعض من الحاقدين على الشيعة راح يبحث عن نقاط الضعف التي يراها كي يتخذها ذريعة للتهريج ضدها بدلاً من الحوار الهادف الباحث عن الحق والحقيقة.

فمن جملة الأمور التي اتخذت ذريعة للتهجم هي مسألة طول عمر الحجة ابن الحسن العسكري وبقائه إلى الآن على قيد الحياة.

ـ قال صاحب كتاب شرح المقاصد في مجال رده على الشيعة وبيان الشبهة: وزعمت الإمامية من الشيعة أن محمد بن الحسن العسكري اختفى عن الناس خوفاً من الأعداء، ولا استحالة في طول عمره كنوح ولقمان والخضر عليهم السلام، وأنكر ذلك سائر الفرق، لأنه ادعاء أمر يستبعد جداً، إذ لم يعهد في هذه الأمة مثل هذه الأعمار من غير دليل عليه ولا أمارة ولا إشارة إقامة من النبي ﷺ [1].

وانظر يا عزيزي القارىء هذا التحامل المقصود ضد الشيعة الإمامية وإظهارهم بمظهر الكذابين الذين يدّعون أموراً لا دليل عليها، متجاهلاً كل الأدلة التي استدلوا بها على وجود المهدي وطول عمره الشريف. وقد تقدمت الأدلة الدالة على وجوده المبارك، وسنذكر هنا بعض ما يدل على طول عمره عليه السلام لكي نثبت للقارىء كذب ادعاءات صاحب كتاب المقاصد ونظائره ممن سعى للطعن بالشيعة دون دليل.

فمن جملة ما ورد عن الأئمة المعصومين في طول عمر المهدي هذه الروايات: عن الحسن بن علي بن محمد العسكري عليهما السلام يقول: إن ابني هو القائم من بعدي: وهو الذي يخرج في مسير الأنبياء عليهم السلام (يجري فيه سنن الأنبياء نخ) بالتعمير والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلاّ من كتب الله عز وجل في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه[2].

ـ وعن سعيد بن جبير قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام

---

(١) شرح المقاصد: ٣١٤.

(٢) عنه في منتخب الأثر: ٢٧٤.

يقول: في القائم سنة من نوح وهو طول العمر[1].

ـ عن حماد بن عبد الكريم الجلّاب قال: ذكر القائم عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: أما إنه لو قد قام لقال الناس أنّى يكون هذا؟ وقد بليت عظامه من كذا وكذا[2].

ـ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: القائم من ولدي يعمر عمر الخليل...[3].

وقبل أن نذكر شهادات العلماء واستدلالاتهم على ثبوت العمر الطويل للحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام نذكر قول الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني في وصف حالة الناس بعد مضي فترة وجيزة فقط على غيبة الإمام فكيف هو حال الناس اليوم بعد مرور أكثر من ألف عام على غيبته. فقال الشيخ: هذه الأحاديث دالة على ما قد آلت إليه أحوال الطوائف المنتسبة إلى التشيع ممن خالف الشرذمة المستقيمة على إمامة الخلف ابن الحسن بن علي عليه السلام لأن الجمهور منهم من يقول في الخلف: أين هو؟ وأنّى يكون هذا؟ وإلى متى يغيب؟ وكم يعيش هذا؟ وله الآن نيف وثمانون سنة، فمنهم من يذهب إلى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بواحدة، ويستهزئ بالمصدّق به، ومنهم من يستبعد المدة، ويستطيل الأمد، ولا يرى أن الله في قدرته ونافذ سلطانه وماضي أمره وتدبيره قادر على أن يمد لوليه في العمر كأفضل ما مدّه ويمده لأحد من أهل عصره وغير أهل عصره...[4].

إذا كان هذا شأن الناس قبل أكثر من ألف عام حيث شيوع الشكوك والريب بعد مضي عشر سنوات من الغيبة الكبرى فقط فلا تلم من يشكك بوجود المهدي عليه السلام في عصرنا الحاضر، لأن شكوكهم امتداد لتلك الشكوك القديمة وانعكاس لها.

---

(١) عنه في منتخب الأثر: ٢٧٥.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٥٥ وفيه: لو قد قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً ص: ١٨٨.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٨٩.

(٤) الغيبة للنعماني: ١٥٧.

إن هذه الاختلافات الشديدة حول قضية المهدي عليه السلام في القرن الرابع الهجري، أي في بداية الغيبة الكبرى تؤكد صحة وجوده المبارك، إذ لو لم يكن موجوداً لما تسبب في إيجاد تلك الاختلافات، لأن الناس لا يمكن أن يختلفوا حول لا شيء، لعدم جواز ذلك شرعاً وعرفاً وعقلاً. ولو كان النعماني ـ الذي هو من رجال القرن الرابع ـ كاذباً في نقل صورة الخلاف لردَّ عليه من اطلع على كتابه، لكن عدم حصول الرد يثبت صدقه وصحة وجود المهدي عليه السلام، وإلا لما حصلت الاختلافات حول أمور وهمية لا أساس لها.

ـ قال الشيخ الطوسي بعد أن ذكر عدداً من المعمرين: وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وقد ذكرنا فيما تقدم عن جماعة أنهم لم يتغيروا مع تطاول أعمارهم وعلو سنهم وكيف ينكر ذلك من يقرّ بأن الله تعالى يخلد المثابين في الجنة شباناً لا يبلون، وإنما يمكن أن ينازع في ذلك من يجحد ذلك ويسنده إلى الطبيعة وتأثير الكواكب الذي قد دلّ الدليل على بطلان قولهم باتفاق منا وممن خالفنا في هذه المسألة من أهل الشرع، فسقطت الشبهة من كل وجه[1].

ـ وقال ابن الجوزي في تذكرة الخواص: وعامة الإمامية على أن الخلف الحجة موجود وأنه حيّ يرزق، ويحتجون على حياته بأدلة منها أن جماعة طالت أعمارهم كالخضر وإلياس فإنه لا يدرى كم لهما من السنين، وأنهما يجتمعان كل سنة فيأخذ هذا من شعر هذا، وفي التوراة أن ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة، والمسلمون يقولون ألفاً وخمس مائة، ونقل عن محمد بن إسحاق أسماء جماعة كثيرة رزقوا طول العمر، وقد أسرد الكلام في جواز بقائه عليه السلام منذ غيبته إلى الآن، وأنه لا امتناع في بقائه[2].

ـ واستدل الحافظ الكنجي الشافعي في كتاب (البيان) على ذلك ببقاء عيسى وخضر وإلياس، وبقاء الدجال وإبليس، وذكر دليلاً على بقاء الدجال ما رواه مسلم في حديث طويل في الجساسة...[3].

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٨٧.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٧٧.

(٣) البيان: الباب ٢٥.

ـ وقال الشيخ لطف الله الصافي في كتابه (منتخب الأثر): اعلم أنه استبعد طول عمره بعض من العامة حتى عاب الشيعة على قولهم ببقائه عليه السلام، وقال بعض منهم إن الوصية لأجهل الناس تصرف إلى من ينتظر المهدي عليه السلام وأنت خبير بأن لا قيمة للاستبعاد في الأمور العلمية والمطالب الاعتقادية بعدما قام عليها البرهان ودلت عليه الأدلة القطعية من العقل والنقل، فهذا نوع من سوء الظن بقدرة الله تعالى، وليس مبنى له إلا عدم الأنس وقضاء العادة في الجملة على خلافه وإلا فيتفق في اليوم والليلة بل في كل ساعة وأن ألوفاً من الحوادث والوقائع العادية في عالم الكون حتى في المخلوقات الصغيرة وما لا يرى إلا بإعانة المكبرات مما أمره أعجب وأعظم من طول عمر إنسان سليم الأعضاء والقوى العارف بقواعد حفظ الصحة، العامل بها بل ليس مسألة طول العمر أغرب من خلقه وتكوينه وانتقاله من عالم الأصلاب إلى عالم الأرحام، ومنه إلى عالم الدنيا، وبهذا دفع الله استبعاد المنكرين للمعاد في كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة**﴾ الآية[1]، وقال: ﴿**أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة...**﴾[2]، وقال عز من قائل: ﴿**وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً...**﴾[3]، هذا مع وقوع طول العمر في بعض الأنبياء كالخضر ونوح وعيسى وغيرهم كيف يكون الإيمان بطول عمر المهدي عليه السلام أمارة الجهل مع تصريح القرآن الكريم بإمكان مثله في قوله تعالى: ﴿**فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾[4]...[5].

وقال السيد ابن طاوس (رحمه الله) في كتابه كشف المحجة في مناظرته مع بعض العامة: لو حضر رجل وقال أنا أمشي على الماء ببغداد فإنه يجتمع لمشاهدته لعل من يقدر على ذلك منهم، فإذا مشى على الماء وتعجب الناس منه فجاء آخر قبل أن يتفرقوا وقال: أيضاً أنا أمشي على الماء فإن التعجب منه يكون أقل من

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.
(٢) سورة يس، آية: ٧٧.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٩٨.
(٤) سورة الصّافات، الآيتان: ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٥) منتخب الأثر: ٢٧٤.

ذلك، فمشى على الماء فإن بعض الحاضرين ربما يتفرقون ويقل تعجبهم، فإذا جاء ثالث وقال: أنا أيضاً أمشي على الماء فربما لا يقف للنظر إليه إلا قليل، فإذا مشى على الماء سقط التعجب من ذلك، فإن جاء رابع وذكر أنه يمشي أيضاً على الماء فربما لا يبقى أحد ينظر إليه، ولا يتعجب منه، وهذه حالة المهدي عليه السلام لأنكم رويتم أن إدريس حيّ موجود في السماء منذ زمانه الى الآن، ورويتم أن الخضر حيّ موجود منذ زمان موسى عليه السلام أو قبله الى الآن، ورويتم أن عيسى حيّ موجود في السماء، وأنه يرجع إلى الأرض مع المهدي عليه السلام، فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم، وسقط التعجب بهم من طول أعمارهم فهلا كان لمحمد ابن عبد الله (صلوات الله وسلامه عليه وآله) أسوة بواحد منهم أن يكون من عترته آية لله جل جلاله في أمته بطول عمر واحد من ذريته...[1].

ـ ناقش الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر (رحمه الله) مسألة طول عمر الإمام المهدي عليه السلام من النواحي المنطقية والعلمية والعملية فتوصل إلى نتائج مقنعة بإمكان حصول ذلك منطقياً وعلمياً، والعلم يسعى إلى إمكان جعله عملياً على صعيد المستقبل، ولكن هذا لا يعني أن هذا الأمر مستحيل لانعدام الإمكان العملي؛ لأن مئات الأمثلة الدالة على وجود المعمرين قديماً وحديثاً ينفي الاستحالة ويثبت الإمكان.

وباعتقادي أن أفضل رد لشبهة طول العمر هو هذا البحث الذي كتبه الشهيد الصدر وعالج الموضوع فيه معالجة علمية موضوعية غاية في الجودة والشمول، وسنعرض مقاطع منه لعلنا بهذا نسهم في إزالة الغموض والالتباس العالق في أذهان البعض من المثقفين الإسلاميين من جراء هذه الشبهة، أو من جراء تأثرهم بمنهج المستشرقين الذين يثيرون الشكوك حول كل شيء يرتبط بالعقيدة الإسلامية.

قال الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر: ولا شك في أن امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً؛ لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض؛ لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع، ولا نقاش في ذلك..

---

(١) كشف المحجة: الفصل ٧٩، انظر منتخب الأثر: ٢٧٥.

كما لا شك أيضاً ولا نقاش في أن هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً، على نحو الإمكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا تستطيع أن تمدد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا تجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانات العلم، لا يتاح لهم من العمر إلا بقدر ما هو مألوف.

الإمكان العلمي:

وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية. وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسلجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمة نموها أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل، إلى أن تتعطل في لحظة معينة، حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي؟ أو أن هذا التصلب وهذا التناقض في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها الفسيولوجية، نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف؟ أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جاد في الإجابة عنه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي.

فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة، فهذا يعني أن بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسجة التي يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعينة، أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى، التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحية نفسها، بمعنى أنها تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت.

أقول:

إذا أخذنا بوجهة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي، بل هو ـ على افتراض وجوده ـ قانون مرن، لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية؛ ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية، أن الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية، قد تأتي مبكرة، وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة، حتى أن الرجل قد يكون طاعناً في السن ولكنه يملك أعضاء لينة، ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء. بل إن العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية؛ وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقد معين كالإنسان، فليس ذلك إلاّ لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة الى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أخرى، وهذا يعني أن العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان، سواء فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء.

ويتلخص من ذلك: أن طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه السلام وما أحيط به من استفهام أو استغراب، ونلاحظ:

أنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أن العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحول الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدر الفعلية

على هذا التحويل، فهو نظير سبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان.

وبعد أن ذكر السيد الشهيد الصدر نماذج من الأمور التي سبق بها الإسلام العلم في ميادين مختلفة قال:

فإذا كنا نؤمن بهذا كله، فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة ـ سبحانه وتعالى ـ أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي؟ وأنا هنا لم أتكلم إلا عن مظاهر السبق التي نستطيع أن نحسها نحن بصورة مباشرة، ويمكن أن نضيف الى ذلك مظاهر السبق التي تحدثنا بها رسالة السماء نفسها.

ومثال ذلك أنها تخبرنا بأن النبي ﷺ قد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهذا الإسراء إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعية، فهو يعبّر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه إلا بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية التي أتاحت للرسول ﷺ التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك[1].

ومما تقدم من الأدلة النقلية والعقلية والعلمية نستخلص أموراً:

الأول: أن النصوص الصحيحة أكدت وجود المهدي وغيبته وطول عمره المبارك، وما ترتب على ذلك من اختلاف شديد يدفع الغالبية من المسلمين إلى الشك به، ولم يثبت على الإيمان ببقائه حيّاً إلا من كتب الله عز وجل في قلبه الإيمان وأيده بروح منه.

وقد قارنت تلك النصوص بين قضية الإمام المهدي عليه السلام وطول عمره وبين عدد من الأنبياء عليهم السلام، ممن أطال الله أعمارهم أو أبقاهم أحياء إلى حيث يشاء، كإدريس وعيسى، والخضر ونوح وغيرهم.

فإذا صح بقاء بعض الأنبياء أحياءً بإذن الله وقدرته ولمصلحة ما، صح بقاء المهدي عليه السلام لإدامة خط الأنبياء المتجسد بالإمامة والولاية إلى النهاية؛ لأن بقاء

---

(١) بحث حول المهدي: ٦٧ ـ ٧١ ط ـ قم مركز دراسات الغدير.

المسلمين بدون إمام وعدم معرفته والاعتقاد به يؤدي إلى أن يموت المتوفون منهم خلال فترة الفراغ ميتة جاهلية.

فإن إدامة نهج الحق، وإقامة العدل، وإنقاذ البشرية من الجهل والظلم والضلال من أعظم المصالح وأهمها على الإطلاق.

فالذي أبقى أولئك الأنبياء عليهم السلام على قيد الحياة إلى الآن، قادر على إبقاء المهدي عليه السلام حياً سليماً حتى ينجز المهام الملقاة على عاتقه، فلا إشكال ولا ريب بأن الله قادر على ما يريد.

الثاني: نخلص من خلال استقراء النصوص السابقة الذكر قوة الأدلة التي استدل بها علماؤنا القدامى والمعاصرون على إثبات مسألة بقاء المهدي عليه السلام وطول عمره المبارك، فلم يتركوا أي دليل يمكن الاستفادة منه إلا واستعانوا به على إثبات المسألة ونفي الشبهات عنها.

فتناولت أدلتهم عشرات النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية المسندة، والأدلة العقلية والعلمية.

فالشيخ الطوسي (رحمه الله) حاجج المنكرين لهذا الأمر بدليل خلود المثابين في الجنة ووجود المعمرين في الحياة الدنيا. بهذين الدليلين يثبت وجود الحجة وطول عمره بوجود نظير ومصداق يماثل ذلك في الدنيا والآخرة.

بينما أثبته الشيخ لطف الله الصافي بأمور أعجب بكثير من مسألة إطالة العمر ويلحظها الإنسان في حين مع ذلك لا يثير حولها أي إشكال أو شبهة، بل يجد نفسه ملزم بإقرارها لأنها تحصل باطراد ودون توقف.

فخلق الإنسان وتكوينه وانتقاله من عالم الأصلاب الى عالم الأرحام، ثم إحياء العظام وهي رميم ليست بأقل عجباً من مسألة إطالة العمر، فلم يقرّها المنكرون في حال هي أصعب وأشد تعقيداً من تلك التي يثيرون الشبهات من حولها.

ثم يثبت بعد ذلك أن منشأ هذا سوء الظن بقدرة الله غير المتناهية.

والسيد ابن طاوس حاجج المنكرين بما رووه من روايات في إثبات حياة

وبقاء ثلاثة من أنبياء الله وهم إدريس، والخضر وعيسى وينفون حياة المهدي وطول عمره، ألا يدعو هذا إلى التعجب والاستغراب (فهلا كان لمحمد بن بعد الله ﷺ أسوة بواحد منهم..).

وأثبت السيد الشهيد الصدر بالدليل المنطقي والعلمي إمكان طول عمر المهدي عليه السلام وبقائه، وأفحم المنكرين بقوة أدلته القطعية التي لم يترك بها مجالاً لهم للبحث والحوار..

الثالث: الأمر الثالث والأخير هو أننا نرى بوضوح كثافة الجهود العلمية التي يبذلها علماؤنا في إثبات المطالب العقائدية لا بالنصوص فحسب، بل بكل ما يستدل به من الأدلة العلمية والعقلية بما يعزز أدلتهم النقلية، وبالرغم من ذلك يتجرأ البعض من المتعصبين الطائفيين فيصفهم بالجهل والتطرف، بقوله: (إن الوصية لأجهل الناس تصرف إلى من ينتظر المهدي عليه السلام)، وكأن التعصب الطائفي أعمى بصره وبصيرته فلم يعد يرى ما يبذله علماؤنا من جهود علمية، لذا يصفهم بما يوحيه التعصب الطائفي والهوى، لا بما توحيه الحقائق والمنطق والعقل السليم.

الشبهة الثالثة حول الإمامة المبكرة للمهدي عليه السلام

ومن جملة الشبهات المثارة حول إمامة المهدي عليه السلام كونه استلمها في السنة الخامسة من عمره المبارك، فكان الأمر منشأ هذه الشبهة؛ لأن الصبي لا يصح تكليفه بالفرائض فكيف تصح ولايته؟

وقد أوضح الشبهة ابن حجر العسقلاني بقوله: ثم إن المقرر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته، فكيف ساغ لهؤلاء ـ يعني الشيعة ـ الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين، وأنه أوتي الحكم صبياً، مع أنه ﷺ لم يخبر به، وما ذلك إلا مجازفة وجراءة على الشريعة الغراء...[1].

سنجمل الردّ في أمور:

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٦٦، المهدي عند أهل السنة ١: ٤٢٦.

أولاً: ليس الإمام المهدي عليه السلام صبياً كباقي الصبيان حتى يصدق عليه حكم الصبي المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية، الذي يستدل به ابن حجر في إبطال ولايته، بل يمتاز عن الصبيان بكونه واحداً من الأئمة الأطهار المنصوص عليهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد مرّ الحديث عن ذلك مع ذكر بعض النصوص والدلائل الدالة على إمامته، والذي يؤكد صدق ما ذهبنا إليه أيضاً هو تعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع هذا النمط من الصبية تعاملاً مغايراً لما عامل به بقية الصبية.

فالرسول الأعظم يقبل إسلام علي وهو صبي في التاسعة من العمر، ويقبل بيعته ولا يقبل من غيره من الصبيان ذلك، وكذا فعل مع الحسنين وهما صبيّان حيث قبل بيعتهما دون الغير[1].

فهذه ثلاثة مصاديق تشير بشكل صريح إلى أن هذا النمط من الصبيان لا ينطبق عليه حكم الصبي في شريعة الإسلام.

ثانياً: وما يمتاز به هؤلاء عن الصبيان بأن علومهم إلهامية وليست اكتسابية. فالإمام محمد بن علي الباقر وهو باقر علوم الأولين والآخرين الذي بشر به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جابراً قبل ولادته، وقال له: ستدركه صبياً فأبلغه عني السلام، والقضية أشهر من نار على علم. ولما أدركه جابر صار يتردد عليه أطراف النهار ليكتسب منه العلم، ويروي عنه الأحاديث الجمة وهو حينذاك صبيٌّ لم يبلغ الحلم.

والإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام يظهر بعضاً من مكنون علمه لأبي حنيفة في مواقف متعددة وهو صبيّ أيضاً.

منها: عن علي بن إبراهيم رفعه قال: خرج أبو حنيفة من عند أبي عبد الله عليه السلام وأبو الحسن موسى عليه السلام قائم وهو غلام، فقال له أبو حنيفة: يا غلام أين يضع الغريب ببلدكم؟

فقال عليه السلام: اجتنب أفنية المساجد، وشطوط الأنهار، ومساقط الثمار، ومنازل النزال، ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول، وارفع ثوبك، وضع حيث شئت[2].

---

(١) تحف العقول: ٣٣٤.

(٢) الكافي، والتهذيب، والوسائل ١: ٢٢٨.

ـ وبسند آخر رواه أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج) عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أن أبا حنيفة قال له وهو صبيّ: يا غلام أين يضع الغريب في بلدتكم هذه؟

قال عليه السلام: يتوارى خلف الجدار، ويتوقى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومساقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث يشاء(١).

ـ ومنها عن علي بن إبراهيم رفعه، عن محمد بن مسلم، قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه فلا ينهاهم، وفيه ما فيه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ادعوا لي موسى، فدعي، فقال: يا بني، إن أبا حنيفة يذكر أنك كنت صلّيت والناس يمرون بين يديك فلم تنههم فقال: نعم يا أبت، إنّ الذي كنت أصلّي له كان أقرب إليّ منهم، يقول الله عز وجل: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾(٢) قال: فضمه أبو عبد الله عليه السلام إلى نفسه ثم قال: يا بني، بأبي أنت وأمي، يا مستودع الأسرار(٣).

والإمام الجواد محمد بن علي الرضا عليه السلام يظهر لمحات من فيض علمه بمحضر المأمون العباسي عدة مرات في حواره مع يحيى بن أكثم قاضي القضاة، منها:

ـ لما عزم المأمون على أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام، اجتمع إليه أهل بيته الأدنون منه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين ناشدناك أن تخرج عنا أمراً قد ملكناه، وتنزع عنا عزاً قد لبسناه، وتعلم الأمر الذي بيننا وبين آل علي قديماً وحديثاً، فقال المأمون: أمسكوا والله لا قبلت واحداً منكم في أمره، فقالوا؛ يا أمير المؤمنين أتزوج ابنتك وقرة عينك صبياً لم يتفقه في دين الله، ولا يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضه من سننه، ولأبي جعفر عليه السلام إذ ذاك تسع سنين فلو صبرت له حتى يتأدب ويقرأ القرآن، ويعرف الحلال من الحرام، فقال المأمون: إنه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسنته وأحكامه، وأقرأ منكم

---

(١) الاحتجاج: ٢١١، الوسائل ١: ٢٢٩.
(٢) سورة ق، الآية: ١٦.
(٣) الكافي ٣: ٢٩٧، الوسائل ٣: ٤٣٦، وما رواه الحواريون ١: ١٨٩.

لكتاب الله، وأعلم بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وخاصّه وعامه، وتنزيله وتأويله منكم فاسألوه، فإن كان الأمر كما وصفتم قبلت منكم، وإن كان الأمر على ما وصفت علمت أن الرجل خلفٌ منكم، فخرجوا من عنده وبعثوا إلى يحيى بن أكثم[١] وهو يومئذ قاضي القضاة فجعلوا حاجتهم إليه وأطمعوه في هدايا على أن يحتال على أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ بمسألة في الفقه لا يدري ما الجواب فيها.

فلما حضروا وحضر أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا: يا أمير المؤمنين هذا القاضي إن أذنت له أن يسأل؟

فقال المأمون: يا يحيى سل أبا جعفر عن مسألة في الفقه لننظر كيف فقهه؟

فقال يحيى: يا أبا جعفر أصلحك الله ما تقول في محرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: قتله في حلّ أم حرم، عالماً أو جاهلاً، عمداً أو خطأً، عبداً أو حراً، صغيراً أو كبيراً، مبدئاً أو معيداً، من ذوات الطير أو غيره، من صغار الطير أو كباره، مصراً أو نادماً، بالليل في أوكارها أو بالنهار وعياناً، محرماً للحج أو للعمرة؟

قال: فانقطع يحيى انقطاعاً لم يخف على أحد من أهل المجلس انقطاعه، وتحير الناس عجباً من جواب أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ . . .

ثم أذن المأمون للجواد أن يخطب منه ابنته، ولما تفرق الناس طلب من أبي أن يجيب عن كل صنف من الأصناف فيقتل الصيد، ثم أمر أن تكتب كل تلك الإجابات عن الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ وتحفظ.

ثم التفت إلى أهل بيته الذين أنكروا تزويجه، فقال: هل فيكم من يجيب بهذا الجواب؟

قالوا: لا والله ولا القاضي، فقالوا: يا أمير المؤمنين كنت أعلم به منا،

---

(١) هو يحيى بن أكثم التميمي القاضي، كان متكلماً عالماً فقيهاً في عصره أحد وزراء المأمون قاضياً في العراقين من قضاة العامة، كان معروفاً باللواط وأنه حرّم المتعة وتسبب تحريم المأمون إياها.

فقال: ويحكم أما علمتم أن أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا الخلق، أوما علمتم أن رسول الله ﷺ بايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيّان ولم يبايع غيرهما طفلين، أولم تعلموا أن أباهم علياً عليه السلام آمن برسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين، فقبل الله ورسوله إيمانه ولم يقبل من طفل غيره ولا دعا رسول الله ﷺ طفلاً غيره، أولم تعلموا أنها ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم[1].

ولحسن الصدف أن ابن حجر العسقلاني يروي هذه الأحداث في كتابه (الصواعق)[2].

ومنها: قال المأمون ليحيى بن أكثم: اطرح على أبي جعفر محمد بن الرضا عليه السلام مسألة تقطعه فيها.

فقال يحيى: يا أبا جعفر ما تقول في رجل نكح امرأة على زنىً أيحل أن يتزوجها؟ فقال عليه السلام: يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره، إذ لا يؤمن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه، ثم يتزوج بها إن أراد، فإذا مثلها مثل نخلة أكل رجل منها حراماً ثم اشتراها فأكل منها حلالاً، فانقطع يحيى.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا أبا محمد ما تقول في رجل حرمت عليه امرأة بالغداة وحلت له عند ارتفاع النهار، وحرمت عليه نصف النهار، ثم حلت له الظهر، ثم حرمت عليه العصر، ثم حلت له المغرب، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلت له الفجر، ثم حرمت عليه ارتفاع النهار، ثم حلت له نصف النهار؟ فبقي يحيى والفقهاء بلساً خرساً، فقال المأمون: يا أبا جعفر أعزك الله بيّن لنا هذا!

قال عليه السلام: هذا رجل نظر إلى مملوكة لا تحلّ له، اشتراها فحلّت له. ثم أعتقها فحرمت عليه، ثم تزوجها فحلّت له، فظاهر منها فحرمت عليه، فكفّر الظهار فحلت له، ثم طلّقها تطليقة فحرمت عليه ثم راجعها فحلت له، فارتدّ عن الإسلام فحرمت عليه. فتاب ورجع إلى الإسلام فحلت له بالنكاح الأول، كما أقرّ

---

(١) تحف العقول: ٣٣١.

(٢) الصواعق: ١٢٣ ـ ١٢٤.

رسول الله ﷺ نكاح زينب مع أبي العاص بن الربيع حيث أسلم على النكاح الأول[١].

وبهذه الأمثلة أثبتنا صحة قولنا بأن الصبي من أهل هذا البيت يختلف عن غيره، وليس هذا فقط بل أثبت كل واحد منهم بأنه أفقه فقهاء عصره وأعلمهم على الإطلاق، وبذا يتحقق أهم شرط من شروط الإمامة التي يشترطها الشيعة في الإمام.

ثالثاً: إن ظاهرة الإمامة المبكرة لم تختص بالإمام المهدي عليه السلام بل شملت ثلاثة من آبائه الأطهار عليهم السلام وهم، الإمام محمد بن علي الرضا عليه السلام حيث استلم الإمامة وهو في الثامنة من عمره، والإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام استلمها وهو في التاسعة من عمره، والإمام الحسن بن علي العسكري استلمها في عمر يناهز الثانية والعشرين، ولكن المهدي عليه السلام كان أصغرهم حين استلم الإمامة وهو ابن خمس سنوات لا غير..

فدامت هذه الظاهرة الواقعية التي عاشها المسلمون الشيعة بشكل محسوس حوالي ٧٦ أو ٧٧ سنة، ابتداءً من سنة ١٨٣ و ١٨٤ للهجرة بداية إمامة الجواد إلى نهاية إمامة الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠هـ، فاستمرار هذه الظاهرة أكثر من سبعين سنة وفي ثلاثة من الأئمة الأطهار عليهم السلام دون انقطاع يثبت صدق ادعاء المهدي عليه السلام في الإمامة، وبطلان الشبهة المثارة حول الإمامة المبكرة[٢].

ثم لا يفوتنا أن نذكر أن الشيعة الإمامية يشترطون في الإمام شرائط مثل العصمة والطهارة والعدالة والتقوى والأعلمية وغيرها، فما لم تنطبق هذه الشرائط على الشخص المدعي للإمامة لا يصدّقون بإمامته، خصوصاً إذا كان المدعي صغير السن كالمهدي عليه السلام.

فحينما استلم الإمام الجواد مهام الإمامة، وهو ابن ثمان سنين عقد فقهاء الشيعة له مجلساً اختبارياً سألوه فيه أكثر من ثلاثين ألف سؤال حتى اطمأنوا بصحة إمامته.

---

(١) تحف العقول: ٣٣٥.

(٢) الفصول المهمة ، الإرشاد: ٣:١٦.

ولما جاء دور الإمام المهدي عليه السلام، ونافسه في الإمامة عمه جعفر الكذاب استطاع وفد القميين القادم إلى سر من رأى بأسئلته أن يكشف كذب ادعاء جعفر، وصدق المهدي عليه السلام، بالرغم من الدعم الملحوظ من قبل السلطة العباسية لجعفر الكذاب، فلم يختش الشيعة ما يترتب على مساعيهم الحقة من أخطار حقيقة قد تعرضهم للقتل والإبادة[1].

فما كانت الشيعة تؤمن بإمام ما لم ترَ الدلائل الدالة على إمامته، فوصف ابن حجر لهم بأنهم الحمقى المغفلون تجنّ على الحقائق وتحامل وافتراء وتهم باطلة لا أساس لها من الصحة، ومنشأها التعصب الطائفي الأعمى والحقد الدفين.

ثم إن الإمام لا يدعي الإمامة وهو ابن خمس سنين ما لم يكن جديراً بحمل مسؤوليتها، لأنه يعلم أن سرعان ما يكتشف فقهاء الشيعة بطلان دعواه إذا فشل في الردّ على أسئلتهم الفقهية والعلمية، وحل مشاكلهم. فكيف يستطيع أن يخفي الإمام جهله ولمدة طويلة استغرقت فترة الغيبة الصغرى بأجمعها.

وإذا علمنا أن الظروف التي أعلن المهدي عليه السلام فيها إمامته كانت من أحلك الظروف السياسية قمعاً وإرهاباً، ازددنا يقيناً بصدق إمامته، إذ كيف يجازف الإمام بنفسه ويعرضها لأشد الأخطار إذا لم يكن صادقاً في دعواه..

الشبهة الرابعة حول غيبة الإمام المهدي عليه السلام

ـ تتمثل هذه فيما قاله صاحب كتاب (شرح المقاصد) الذي يستبعد اختفاء المهدي كل هذه المدة الطويلة بحيث لا تحصل المقاصد المطلوبة من وراء بعثه وإمامته، لأن المراد من الإمامة حفظ الشريعة وحفظ النظام وهذا لم يحصل بسبب غيبته واختفائه وهذا نص ما قاله (... ولأن اختفاء إمام هذا القدر من الأيام لا يذكر منه إلا الاسم بعيد جداً؛ ولأن بعثه مع هذا الاختفاء عبث، إذ المقصود من الإمامة حفظ الشريعة والنظام، ودفع الجور ونحو ذلك، ولو سلم فكان ينبغي أن يكون ظاهراً لا يظهر دعوى الإمامة كسائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام

(١) مرّ الخبر في موضوع دلائل إمامة المهدي (ع).

ليستظهر به الأولياء وينتفع به الناس، لأن أولى الأزمنة بالظهور هو هذا الزمان. . .)[1].

تتألف هذه الشبهة من شقين أو قل من شبهتين متلازمتين وهما: الشبهة الأولى وهي تتعلق بغيبته واختفائه عن أنظار الناس، ومسألة الغيبة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة وجوده المبارك، وقد أثبتنا فيما مرّ بالأدلة العامة والخاصة وجوده المبارك وغيبته الصغرى، وذكرنا فيها بعض مفردات حياته الخاصة وما جرى له فيها من أمور، وذكرنا سفراءه الأربعة، ومن تشرف برؤيته في حال غيبته، وهذا المقدار من الأدلة كافٍ لمن يتحرى عن الحقيقة ويريد التثبت من وجوده المبارك فلا حاجة للإعادة والتطويل. وأما من كان دأبه اللجاجة والعناد، وإثارة الشكوك والشبهات لغرض طمس معالم القضية خدمة لأغراض أسياده، أو لمرض في قلبه فليس لنا مع هذا النمط من الكتاب المأجورين كلام، لعدم جدواه وتأثيره فيهم، إلا إذا احتملنا بأننا قادرون بالوعظ والإرشاد أن نصلح وعاظ السلاطين، وأسانيد الشياطين في يوم ما، وهذا أمر بعيد جداً لا يحتمله إلا المجانين.

والشبهة الأخرى التي أثارها الكاتب هي عبثية بعثه كإمام حافظ للشريعة والنظام، لأن اختفاءه عن الناس، وابتعاده عن المؤمنين لا يمكنه من إنجاز مهامه الرسالية، وبالتالي لا تترتب على بعثه أي فائدة تذكر.

ثم يقترح مثير الشبهة أن يظهر المهدي عليه السلام للناس بصفة مسلم عادي لا بصفة إمام، حتى يدفع عن نفسه الخطر والأذى، ليستظهر به الأولياء، وينتفع به الناس، لأن أولى الأزمنة بالظهور هو هذا الزمان. . . هذا حسب اعتقاده.

ويمكن تلخيص الشبهة بالسؤال التالي: ما هي فوائد وجوده وإمامته وهو غائب عن الناس؟

والإجابة عن هذا السؤال تتمثل في الموضوع الآتي الذي سنذكر فيه بعض فوائده في حال الغيبة، وبعد ذلك نتناول بقية آرائه ومقترحاته بما يتسع له المجال.

---

(١) شرح المقاصد: ٣٠٧، المهدي عند أهل السنة ١: ٣١٤.

ما هي فوائد وجوده المبارك وإمامته في حال غيبته؟

وفيما يلي سنذكر بعض النصوص التي ذكرت علة الغيبة وفوائد وجود الإمام المهدي عليه السلام وهو في حال غيبته، ثم نذكر أقوال العلماء وبياناتهم في وجه الحكمة من الغيبة، ثم نجمل الفوائد المستخلصة من النصوص والأقوال في نقاط.

١ ـ في خطبة لأمير المؤمنين في مسجد الكوفة ـ نقلها بعض ممن يوثق به من أصحابه ـ قال فيها: اللهم فإني لا أعلم أن العلم لا يأرز كلّه، ولا ينقطع مواده، وأنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجتك، ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم...[1].

٢ ـ عن حنان بن سدير، عن أبيه سدير بن حكيم، عن أبيه أبي سعيد عقيصا قال: لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ؟ قالوا: بلى.

قال: أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأقام الجدار، وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى ابن مريم عليه السلام خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة وذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير[2].

٣ ـ عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن

---

(١) الكافي ١: ٢٧٤.

(٢) كمال الدين ١: ٣١٥، كفاية الأثر: ٣١٧.

محمد عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت: ولم جعلت فداك؟

قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما، يا بن الفضل إن هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف[1].

٤ ـ عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أقرب ما يكون العباد من الله جل ذكره وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جلّ وعزّ ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله جل ذكره ولا ميثاقه.

فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً، فإن أشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجته، ولم يظهر لهم، وقد علم أن أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيب حجته عنهم طرفة عين ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس[2].

ما قاله العلماء من وجوه الحكمة في غيبته

ـ الشيخ الطوسي: بعد أن أبطل أقاويل الفرق الضالة وفنّد عقائدهم الفاسدة في إمامة هذا وذاك ممن توهموه قال: لم يبق إلا القول بإمامة ابن الحسن عليه السلام ـ يعني المهدي عليه السلام ـ وإلا لأدى إلى خروج الحق عن الأمة، وذلك باطل، وإذا ثبتت إمامته بهذه السياقة ثم وجدناه غائباً عن الأبصار علمنا أنه لم يغب مع عصمته وتعين فرض الإمامة فيه وعليه إلا لسبب سوغه ذلك، وضرورة ألجأته إليه، وإن لم

(١) كمال الدين ٢: ٤٨١.

(٢) الكافي ١: ٢٦٨، كمال الدين ٢: ٣٣٩.

يعلم على وجه التفصيل وجرى ذلك مجرى الكلام في إسلام الأطفال والبهائم، وخلق المؤذيات والصور المشينات، ومتشابه القرآن إذا سألنا عن وجهها بأن نقول: إذا علمنا أن الله تعالى حكيم لا يجوز أن يفعل ما ليس بحكمة ولا صواب، علمنا أن هذه الأشياء لها وجه حكمة، وإن لم نعلمه معيناً، وكذلك نقول في صاحب الزمان عليه السلام، فإنا نعلم أنه لم يستتر إلا لأمر حكمي يسوغه ذلك، وأن [لا] نعلمه مفصلاً[1].

ـ وقال العلامة الصدوق في كتابه (كمال الدين) في بيان وجه الحكمة في غيبة مولانا صاحب الزمان:

فأقول ـ وبالله التوفيق ـ إنّ الغيبة التي وقعت لصاحب زماننا عليه السلام قد لزمت حكمتها وبان حقها وفلجت حجتها الذي شاهدناه وعرفناه من آثار حكمة الله عز وجل واستقامة تدبيره في حججه المتقدمة في الأعصار السالفة مع أئمّة الضلال، وتظاهر الطواغيت واستعلاء الفراعنة في الحقب الخالية وما نحن بسبيله في زماننا هذا من تظاهر أئمة الكفر بمعونة أهل الإفك والعدوان والبهتان.

وذلك أن خصومنا طالبونا بوجود صاحب زماننا عليه السلام كوجود من تقدمه من الأئمة عليهم السلام فقالوا: إنه قد مضى على قولكم من وفاة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحد عشر إماماً كلّ منهم كان موجوداً معروفاً باسمه وشخصه بين الخاص والعام، فإن لم يوجد كذلك فقد فسد عليكم أمر من تقدّم من أئمتكم كفساد أمر صاحب زمانكم هذا في عدمه وتعذر وجوده.

فأقول ـ وبالله التوفيق ـ إنّ خصومنا قد جهلوا آثار حكمة الله تعالى، وأغفلوا مواقع الحق ومناهج السبيل في مقامات حجج الله تعالى مع أئمّة الضّلال في دول الباطل في كل عصر وزمان إذ قد ثبت أن ظهور حجج الله تعالى في مقاماتهم في دول الباطل على سبيل الإمكان والتدبير لأهل الزمان، فإن كانت الحال ممكنة في استقامة تدبير الأولياء لوجود الحجة بين الخاص والعام كان ظهور الحجة كذلك، وإن كانت الحال غير ممكنة من استقامة تدبير الأولياء لوجود الحجة بين الخاص والعام وكان استتاره مما توجبه الحكمة، ويقتضيه التدبير حجبه الله وستره إلى وقت

---

(١) غيبة الشيخ: ٥٧.

بلوغ الكتاب أجله، كما قد وجدنا من ذلك في حجج الله المتقدمة من عصر وفاة آدم عليه السلام إلى حين زماننا هذا منهم المستخفون ومنهم المستعلنون، بذلك جاءت الآثار ونطق الكتاب[1].

ثم ذكر بعد ذلك جملة من النصوص التي تثبت صحة قوله[2].

ـ وقال الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني في كتابه (الغيبة) بعد ذكر جملة من الروايات التي تثبت الغيبة: هل هذه الأحاديث، ـ رحمكم الله ـ إلاّ دالة على غيبة صاحب الحق، وهو الشرف الذي يشرف الشيعة، ثم على غيبة السبب الذي كان منصوباً له عليه السلام بينه وبين شيعته وهو السناد الذي كانوا يسندون إليه أمورهم فيرفعها إلى إمامهم في غيبته عليه السلام، والذي هو شرفهم، فصاروا عند رفعه كموات المعز، وقد كان لهم في الوسائط بلاغ وهدى ومسكة للرّماق حتى أجرى الله تدبيره وأمضى مقاديره برفع الأسباب مع غيبة الإمام في هذا الزمان الذي نحن فيه لتمحص من يمحّص، وهلكة من يهلك، ونجاة من ينجو بالثبات على الحق، ونفي الريب والشك، وألا يقال بما ورد عن الأئمة عليهم السلام من أنه لا بد من كون هذه الغيبة، ثم انكشافها عند مشيئة الله، لا عند مشيئة خلقه واقتراحهم، جعلنا الله وإيّاكم يا معشر الشيعة المؤمنين المتمسكين بحبله المنتمين إلى أمره، ممن ينجو من فتنة الغيبة التي يهلك فيها من اختار لنفسه، ولم يرض باختيار ربّه، واستعجل تدبير الله (سبحانه) ولم يصبر كما أمر، وأعاذنا الله وإياكم من الضلالة بعد الهدى إنه وليّ قدير[3].

ـ وقال الأستاذ الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي في كتابه (من هو المهدي):

فائدة الإمام في عصر الغيبة:

أقول: وفائدة الإمام في عصر الغيبة مضافاً إلى أن وجود الإمام على بسيط الأرض موجب للبركة لأهل الأرض، قد ثبت بالدليل العقلي والنقلي أن وجود

---

(١) كمال الدين ١: ٢٠.

(٢) كمال الدين ١: ٢١.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٩٣.

الإمام في الأرض لسبب وصول الخير والبركة إلى أهلها، والورى يرزقون من المواهب الإلهية بيمنه وبركته كما يستقي النباتات ببركة سقاية النباتات المرغوبة ذات الأزهار البهيّة والأثمار الطيبة ما حولها من النباتات غير المرغوبة، فإن الإمام هو الذي يتحقق بوجوده الغرض لإيداع نوع الإنسان فإنه القائم بالعبودية الخالصة عن شوب التمرد، والمعرفة التي لم تلتبس بالجهالة، والطاعة التي لم تختلط بها المعصية، فبفضله يعيش الورى وبيمنه يرزقون.

الولاية الظاهرة والباطنة:

إن للإمام ولايتين ظاهرية وباطنية ينتفع الناس في عصر الغيبة من كلتيهما.

أما تصرفات الإمام بالولاية الباطنية فإنّها تتحقق من طريق الباطن من دون حاجة إلى ظهوره في مرأى الناس ومنظرهم، وهناك شواهد تدل على تصديه لتربية النفوس المستعدة وتصرفه فيها.

وقد استفاد أستاذنا العلامة الطباطبائي (قدّس سره) في تفسير الميزان[1] من قوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾، بقرينة غيرها من الآيات الشريفة أن للإمام إشرافاً وولاية باطنية على قلوب الناس، والإمام منبع الهداية، والهداية تجري إلى أي قلب من القلوب أراد أن يهديه.

روى في (كمال الدين) عن غير واحد، عن محمد بن همام، عن الفزاري عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحارث، عن المفضل، عن ابن ظبيان، عن جابر الجعفي، عن جابر الأنصاري أنّه سأل النبي ﷺ هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال ﷺ: إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب[2].

أما الولاية الظاهرية التي من شؤونها حفظ الشريعة وصيانة كيان الإسلام وصون أصالتها في مسير التاريخ وطول الأزمنة حتى لا يفتقر إلى نزول شريعة جديدة، وكذلك سائر الأمور التي يجب عليه القيام بها مع طبق الحكمة الإلهية.

---

(١) في ذيل آية ١٣٤ من البقرة.

(٢) كمال الدين ١: ٢٥٣، البحار ٥٢: ٩٣.

ولكن جميع تصرفاته في حيطة الولاية الظاهرية يتحقق إمّا على كيفية لا يعرف بسخطه، وإما على صورة الإمدادات الغيبية لا يعرف لها أسباب ظاهرية.

نعم يتشرف إلى فيض حضوره من له أهلية ذلك ولو كان لا يعرفه من حينه.

وليس معنى الغيبة أنه عليه السلام لا يرى ولا يراه أحد، بل بمعنى أنه لا يعرف وإنما يقع لقاؤه من غير معرفة به حين الملاقاة.

على أن الاعتقاد بوجود الإمام وأنّه يطلع على أسرارنا كما يطلع على إعلاننا، وأنه في كل برهة من الزمان يحتمل ظهوره وقطعه لأيدي الظالمين مع غض النظر عن الفوائد التي تترتب على وجوده الشريف يوجب لتربية الإنسان وتزكيته ويحيي في قلبه الخوف والرجاء معاً.

نعم يجب أن يعلم الناس أنهم ليسوا في زمن الغيبة مطلقاً ومرسلاً، وأن زمامهم قد جعل من ناحية الله سبحانه وتعالى بيد إمام له قدرة، وسلطنة، وإحاطة ومعرفة بأسرارهم وسرائرهم[1].

خلاصة النصوص والأقوال تتجسد في نقاط

أولاً: المستفاد من النصوص السابقة الذكر أن الأرض لا تخلو من حجة وإمام سواء كان ظاهراً مطاعاً، أو خائفاً مغموراً، وعللت ضرورة وجوده لكيلا تبطل حجة الله على عباده، ولا يضل أولياؤه بعد أن هداهم للإيمان..

فوجود الإمام في حال غيبته لا يخلو من فائدة رسالية هامة وهي هداية المسلمين ومنع انحرافهم وضلالهم ولو من خلال الاتصال بخاصة أوليائه، بالإضافة إلى أنه حامي الشريعة وحافظ النظام وموجب لنزول البركات وازدهار الخيرات.

ثانياً: ومن الفوائد المهمة المترتبة على بركة وجود الإمام في غيبته هي إدامة نهج الحق المتجسد في مذهب أهل البيت عليهم السلام باعتباره الإمام الثاني عشر المنصوص عليه من قبل جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وآبائه الأطهار عليهم السلام،

---

(١) من هو المهدي: ٢٣٦ ـ ٢٣٩.

واستمرار هذا النهج خير دليل على صحة عقيدة الشيعة بالأئمة الاثني عشر ابتداءً بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وانتهاءً بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام . .

وبوجوده المبارك واعتقاد إمامته يتمكن المسلمون من إنجاز وظائفهم وتكاليفهم الشرعية، وينقذهم من ميتة الجاهلية التي حذرهم منها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مرّ ذكر هذا المطلب بشكل مفصل فلا موجب للإعادة.

ونضيف إلى ذلك فائدة أخرى وهي أن تدبير شؤون الأولياء ورعاية مصالحهم، وحل ما يواجههم من المعضلات من أهم وظائف الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام في فترة غيبته، وهذه العناية والاهتمام الفائق بشؤون شيعته من دلائل لطفه ورحمته.

ثالثاً: ومن الفوائد المذكورة في النصوص السابقة الذكر أيضاً، هي عدم وجود بيعة لطاغوت في عنق الحجة ابن الحسن عليه السلام في حال غيبته مما يجعله في حل من التزاماته إزاء أي حاكم ظالم متستر بالإسلام غير عامل به.

وهذا أمر يمهد له سبيل الخروج متى شاء الله تعالى له الخروج والانبعاث لينجز ما أمر به، فيطهر الأرض من الأرجاس، ويملأها قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً . .

رابعاً: ومن فوائدها أيضاً الاختبار والامتحان لعامة عباد الله ليرى من ثبت منهم على الحق، ومن زلَّ عنه وارتد عن دين الله وناصر أعداءه.

فعملية الاختيار هذه التي تجري بحضور الحجة ابن الحسن وإشرافه ضرورية جداً لتميز المؤمنين المجاهدين عن المنافقين الكاذبين.

وهي سنّة إلهية لا بد من إجرائها؛ لأنها ذات فوائد جمة، فهي من جهة تفرز الخبيث عن الطيب ومن جهة أخرى تركز الإيمان في نفوس المؤمنين، وتمنحهم القدرة على الصبر والتحمل، والخبرة الاجتماعية اللازمة لإنجاز مهامهم الرسالية في حال مشاركتهم في نهضة الإمام المهدي عليه السلام، والجهاد بين يديه وتحت لوائه لإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

خامساً: هذه بعض الفوائد التي تتراءى لنا من خلال التأمل في تلك

النصوص والأقوال، ولكن المسألة الأهم والأكثر نفعاً مما نتصوره هي أن مسألة الغيبة تنطوي على أسرار دفينة لا تدركها عقولنا القاصرة، ولا يعلمها إلا الله والراسخون بالعلم، الذين لم يأذن الله لهم بكشف أسرارها كما صرّح بذلك الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه قائلاً: إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره عليه السلام. فنحن بناءً على هذا لم ندرك من فوائد الغيبة إلا ما ظهر منها، أما ما خفي منها فذلك متروك ليوم ظهوره عليه السلام.

أما قوله: أن يكون ظاهراً لا يظهر دعوى الإمامة كسائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.. فهذا القول مردود عليه، لأن ظروف المهدي عليه السلام لم تكن متشابهة بظروف الأئمة عليهم السلام حتى نفترض ظهوره كظهورهم، ولأنه مذخور لمهمة إلهية، نوّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عنها، والأئمة الأطهار من ذريته عليهم السلام وهي تتجسد في إظهار دين الله على الدين كله، وأزالت معالم الظلم والجور، ونشر القسط والعدل، فلو ظهر في تلك الفترة كما يقترح مثير الشبهة لالتفَّ عليه حكام عصره الجائرون وصفوا وجوده المبارك وقتلوا أصحابه في أقصر مدة، كما اغتالوا آباءه من قبل بالسيف والسم، ولمّا تمكن من إدامة نهج الحق، وإنجاز مهمته الإلهية المذخور لها، ولأصبح الإسلام في خبر كان منذ ذلك الوقت، فلم يبق له اسم ولا رسم..

وأما قوله: لأن أولى الأزمنة بالظهور هو هذا الزمان... إذا كان كذلك فلم لا يظهر مهديكم المجهول حسباً ونسباً في تلك الفترة إذا كانت أولى الأزمنة بالظهور كما تقول.

ومن هذا نعلم بأن الأخبار التي افتعلتموها حول المهدي عليه السلام، القائلة بأنه غير مولود وسيولد في آخر الزمان، أخبار عارية عن الصحة وأريد بها تغطية الأخبار الصحيحة وطمس معالمها ليس إلا..

الشبهة الخامسة تنفي وجود المهدي لضعف الأدلة واختلافها

ذهب بعض الكتاب المعاصرين إلى القول بعدم وجود المهدي عليه السلام مستدلين على إثبات رأيهم بضعف الأدلة واختلافها الشديد في تحديد هويته

وولادته واسمه واسم أمه.. وزعم بعضهم أنه غير مقتنع بالأدلة لعدم كفايتها.. ويمكن حصر أدلتهم بما يلي:

أولاً: وقوع الشيعة في الحيرة والاضطراب بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، وخاصة فيما يتعلق بولادة الإمام المهدي عليه السلام محمد بن الحسن لوجود الغموض فيما ورد عنه من طريق الأئمة عليهم السلام عندما سئلوا عنه.

ثانياً: وأن الشيعة انقسموا وتفرقوا إلى أربع عشرة فرقة في مسألة الإمام بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأن أمر الإمام المهدي عليه السلام لو كان واضحاً ومهماً وجزءاً من المذهب الجعفري لما جاز الاختلاف فيه، ولما أمكن أن يبقى أمره سراً غامضاً.

ثالثاً: أن الروايات التي تتحدث عن هوية الإمام المهدي عليه السلام ضعيفة وموضوعة ومختلفة، سواء منها ما يتعلق باسم الإمام، أو اسم أمه، أو تاريخ ولادته..

رابعاً: وزعم أحدهم: أنه حصل له شك بولادة الإمام الثاني عشر، لعدم توفر الأدلة الكافية، أو لعدم قناعته بها. وذكر أنه لا يستبعد أن يطيل الله عمر إنسان كما أطال عمر النبي نوح عليه السلام، بالرغم من عدم الحاجة والضرورة إلى ذلك، وأنه يبحث عن الأدلة التي تثبت أن الله تعالى قد فعل هذا بشخص آخر، لأنه لا يمكن أن يعتقد بحدوث هذا عن طريق القياس والتشبيه، ثم قال: وقد كان سيدنا الصادق عليه السلام يرفض القياس بالأمور الفرعية الجزئية فكيف في الأمور التاريخية والعقائدية..

خامساً: وزعم أيضاً بأن المهدي غير موجود؛ لأنه لو كان موجوداً لصحح روايات الكافي.

سادساً: الطعن بالسفراء من خلال الطعن بالعمري وهو أولهم حيث قال: ولم يستطع العمري ـ الذي كان يتعرض لمنافسة شديدة من أدعياء النيابة الآخرين ـ في أن يثبت صحة دعواه في النيابة عن الإمام المهدي عليه السلام الغائب، إلا باللجوء إلى سلاح المعاجز وعلم الغيب، وقد نقل الشيخ الطوسي عن حفيده (هبة الله)، أن معجزات الإمام ظهرت على يديه، وأنه كان يخبر عن الغيب.

وكان هذا الدافع المادي بالإضافة إلى الدافع السياسي وراء دعوى (النيابة

الخاصة) الكاذبة كما كان وراء دعاوى (النيابة الخاصة) للواقفية عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام الذين ادعوا استمرار حياته وغيبته ومهدويته.

سابعاً: وزعم أيضاً: لا توجد رواية تاريخية واحدة.. صحيحة السند، وهي مروية إما عن غلاة أو مجاهيل أو ضعاف كذابين أو مختلقين لا وجود لهم..

هذه أهم أدلتهم، أو قل تخرصاتهم ومزاعمهم الكاذبة التي يستدلون بها على نفي وجود المهدي عليه السلام، وهي تعتمد كلياً على تضعيف الأدلة النقلية والعقلية، وإنكار الحقائق التاريخية، والطعن بسفراء المهدي عليه السلام، وتكذيب علمائنا ومراجعنا العظام الذين نقلوا روايات موضوعة ضعيفة كما يزعمون واعتمدوا عليها في تثبيت إمامة المهدي عليه السلام، بعد إثبات ولادته.

ولا أدري كيف يدعي بعض هؤلاء الضالين والمضلين بانتسابه إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، في حين لا يؤمن بأحقيتهم بالإمامة والخلافة، ولا بعصمتهم المطلقة، ولا بسائر مختصاتهم التي أهلتهم لقيادة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

أيكون من ينكر النصوص المتواترة الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام التي ذكرت أسماء الأئمة الاثني عشر بما فيهم المهدي (محمد بن الحسن العسكري عليه السلام بالذات، شيعياً؟)

وعلى فرض أن بعض النصوص التي ذكرت تاريخ ولادة المهدي عليه السلام ضعيفة أيستلزم هذا إنكار ولادته وتكذيب الروايات الصحيحة المتواترة التي تنص عليه بكونه (محمد بن الحسن العسكري)، وتكذيب سفرائه الثقات بإجماع علمائنا ومراجعنا العظام؟

غريب جداً هذا الأسلوب الاستدلالي الذي يمارسه هذا النفر الضال حيث ينفي اليقين بالشك، ويدع الأحاديث الصحيحة المتواترة ويعتمد على الأقاويل النابعة من الحقد والتعصب الطائفي، وينقض إجماع علمائنا العظام بأقوال من شذ وانحرف عن جادة الحق والصواب، مع كل هذا يدعي أنه شيعي، ويستغرب امتعاضهم ونفورهم منه عندما يصارحهم بعقائده الفاسدة وأفكاره المستوردة السقيمة، ويريد منهم أن لا تشمئز نفوسهم من شم روائحها النتنة...

وعلى كل حال إن الأفكار والعقائد الفاسدة التي يحملها هذا الشخص لا تمت إلى الإسلام والتشيع بصلة، بل هي إفرازات بعض الطائفيين المتعصبين من علماء الوهابية وخريجي مدرسة المستشرقين من عملاء الدوائر الاستكبارية..

ورغم علمنا بأن هذه الأفكار التي يبشر بها هذا ونظائره ليست أفكاره، وإنما هي مسروقة من أقطاب الحقد والنفاق ومثيري الفرقة والشقاق، إلا أننا سنناقشها من خلاله لعلنا نسد ثغرة من الثغرات التي ينفذ منها الكتّاب المأجورون لإحداث الفرقة وإضعاف القوى..

فالأفكار مسروقة، والاستدلال غريب شاذ منافٍ لأُسس الاستدلال الأصولي العلمي، والاستقراء المنطقي، اللذين يعتمدان على نفي الشك باليقين وليس العكس..

ونجمل ردودنا على هذه التخرصات والمزاعم الكاذبة بأمور:

أولاً: إن وقوع الشيعة في حيرة واضطراب بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام مسألة طبيعية، لعدم رؤيتهم للإمام المهدي عليه السلام، ولجهلهم سبيل الاتصال به، ولظهور من يدعي الإمامة زوراً وبهتاناً كعمه جعفر الكذاب، ولكن بعد زوال بواعث الحيرة والاضطراب عادت المياه إلى مجاريها، حيث انكشفت أكذوبة جعفر ببطلان دعوته للإمامة على أثر محاجَّة وفد القميين له في محضر الخليفة العباسي، وانتشار خبر اتصالهم بالإمام المهدي عليه السلام، ومعرفة طريق الاتصال به بواسطة سفيره العمري.

وهذه المسألة تثبت وجود المهدي عليه السلام، ولا تنفيه كما يزعم الكتّاب المأجورون؛ لأن دوام أكذوبة سبعين عاماً أمر مستحيل..

ثانياً: أما زعمهم القائل بأن الشيعة افترقوا إلى إحدى عشرة فرقة، أو أربع عشرة، أو سبع عشرة في مسألة الإمام المهدي عليه السلام، كذب محض إذ لو صح ادعاؤهم لاتفقوا على رقم واحد، ولذكروا أسماء تلك الفرق، وأسماء زعمائها، وأماكن تواجدها اعتماداً على مصدر تاريخي يثبت ذلك[1].

(١) الملل والنحل: ١٥١ و١٥٢، بحث حول المهدي: ٢٤ ـ ٢٥، الفصول المهمة: ١٦٩.

وعلى فرض صحة وجودها في تلك الظروف العصيبة المفعمة بالغموض والالتباس والكتمان، ولكن انقراضها بمرور الزمن، وبقاء الفرقة المحقة التي آمنت بوجود المهدي عليه السلام وإمامته، دليل على أحقية المذهب الجعفري وبطلان تلك الفرق.

وردّ العلامة عبد الحسين شرف الدين فرية الشهرستاني ونظائره قائلاً: وليته أسند شيئاً من الأقاويل التي نقلها عن تلك الفرق إلى كتاب يتلى أو شخص خلقه الله تعالى! وليته أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق أو زمانها أو اسمها! فبالله عليك، هل سمعت بفرق متخاصمة، ونحل آراؤها متعاركة لا يعرف لهم في الأحياء والأموات رجل ولا امرأة؟ ولا يوجد في الخارج لهم مسمى ولا اسم؟![1].

وأما قولهم: وأن أمر الإمام المهدي عليه السلام لو كان واضحاً ومهماً وجزءاً من المذهب الجعفري لما جاز الاختلاف فيه...

وهذا القول مردود وغير معقول إذ لو صح اتخاذ الاختلاف ذريعة لإبطال المذهب الجعفري، لأمكن بهذه الذريعة أيضاً إبطال سائر المذاهب والعقائد والحقائق؛ لعدم وجود مذهب أو عقيدة أو حقيقة تخلو من الاختلاف بين علمائها، فإذا صار البناء أن نبطل كل حقيقة أو عقيدة أو مذهب بسبب اختلاف الآراء لما سلم شيء من البطلان.

ثالثاً: أما قولهم بضعف كل الروايات التي تتحدث عن هوية المهدي وتاريخ ولادته، فهذا افتراء آخر لا دليل عليه؛ لأن معظم روايات تعريف المهدي عليه السلام، الواردة عن سائر المعصومين عليهم السلام، والتي ذكرت اسمه واسم أبيه وكنيته صحيحة متواترة بإجماع علمائنا ومراجعنا العظام.

وكذا الروايات التي تذكر كيفية الولادة وتاريخها فمعظمها أيضاً صحيحة ومسندة، ذكرها علماؤنا في كتبهم المتعلقة بالمهدي عليه السلام، فنفي صحتها بالجملة مجازفة حمقاء منشأها الجهل بعلم الرواية والرجال معاً.

(١) الفصول المهمة في تأليف الأمة: ١٦٩.

ولنفرض أنها ضعيفة فلا ضير في ضعفها بعدما عرفنا من الروايات الصحيحة المئات التي نصت على اسم المهدي واسم أبيه، وأسماء آبائه واحداً تلو الآخر مع ذكر كنيته وشمائله وأوصافه.

فقد أجمع المعصومون على أنه محمد بن الحسن العسكري عليهم السلام، فإذا توفي العسكري ولم يترك ولداً كما يزعم أتباع مدرسة الخلفاء فمن عسى يكون المهدي ومتى سيولد على صعيد المستقبل. ثم أليس لازم هذا القول تكذيب الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام؟ وهذا يعني ارتداد القائلين بهذا، وعدم إيمانهم بعصمة النبي والأئمة من آله.

ثم إن الاختلاف في شيء يثبت وجوده لا ينفيه بحسب زعم الكتّاب المأجورين إذ لو لم يوجد شيء لما اختلف فيه، لأن الاختلاف حول لا شيء أمر لا يعقل إطلاقاً.

رابعاً: وزعم بعض الضالين والمضلين أنه حصل له شك بولادة الإمام الثاني عشر لعدم توفر الأدلة الكافية، أو لعدم قناعته بها.. تمت الإجابة على الشق الأول من زعمه، وأما شكه وعدم قناعته بالأدلة فلا يساوي شيئاً بالقياس إلى الأدلة النقلية والعقلية والعلمية، لا سيما مسألة الإيمان بولادة المهدي عليه السلام إذ إنها تعد جزءاً من العقيدة الشيعية وقد تم إثباتها بأدلة قطعية، وبإجماع علمائنا فلا تأثير للشك والقناعة الشخصية في نفيها قبال تلك الأدلة خصوصاً إذا لم يكن الشخص من أصحاب الاختصاص في علم الحديث والرجال.

خامساً: وزعم أيضاً بأن المهدي غير موجود؛ لأنه لو كان موجوداً لصحح روايات الكافي، لأن محمد بن يعقوب الكليني كان معاصراً له في زمن غيبته الصغرى.. ومنشأ هذا الإشكال هو الجهل التام بعلم الرواية والرجال؛ لأن لكل رواية سنداً ومتناً، فإن الإمام غير ملزم بتصحيح السند إذا كان مقطوعاً أو مرفوعاً، أو مرسلاً، أو مجهولاً، ولكنه ملزم بتصحيح المتن إذا كان منافياً لأصول الشيعة وفروعها، لئلا يحصل انحراف عقائديّ، أو تغير في الأحكام يؤدي إلى تحليل حرام الله وتحريم حلاله..

وبما أن الإمام المهدي عليه السلام لم يشر على الكليني ـ بواسطة سفرائه ـ

بتصحيح متون رواياته فلا ريب في صحة روايات الكافي أصولاً وفروعاً..

ثم إن قوة المتن إذا كان مطابقاً لمباني الشيعة يجبر ضعف السند. فالذي لا علم له في الرواية والرجال يشكل مثل هذه الإشكالات الدالة على جهله وعدم معرفته بقواعد العلم ومبانيه..

ومما يؤكد جهله أيضاً منعه للقياس في الأمور العقائدية والعقلية والتاريخية ظناً منه بحرمته في مثل هذه الموارد خلافاً لما عليه علماؤنا في حلِّيَّته فيها، وحرمته في الفروع فقط.

سادساً: أجمع علماؤنا على أن السفراء الأربعة للإمام المهدي عليه السلام بلغوا من الجلالة ورفعة الشأن ما فوق الوثاقة، فليس بمقدور هذا المتطفل أن يطعن بوثاقتهم أبداً. فإذا ثبتت وثاقتهم بإجماع العلماء ثبت ارتباطهم وصلتهم بالمهدي المنتظر عليه السلام.

وقد أكد هذا الشهيد العلامة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر بقوله: لكي تدرك بوضوح أن المهدي حقيقة عاشتها أمة من الناس، وعبّر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحد كل هذه المدة تلاعباً في الكلام، أو تحايلاً في التصرف، أو تهافتاً في النقل. فهل تتصور ـ بربك ـ أن بإمكان أكذوبة أن تعيش سبعين عاماً، ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها، ويتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ، ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع، وإيمانهم بواقعية القضية التي يدّعون أنهم يحسونها ويعيشون معها؟!

لقد قيل قديماً إنّ حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً أنّ من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش أكذوبة بهذا الشكل، وكل هذه المدة، وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثمّ تكسب ثقة جميع من حولها.

وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية

لإثبات ما لها من واقع موضوعي، والتسليم بالإمام القائد بولادته، وحياته، وغيبته، وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد[1].

وبذا نختم كتابنا ولا نزيد حرفاً واحداً على ما قاله الشهيد الصدر (رض).

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه في ١٩ رمضان سنة ١٤١٨هـ.

المؤلف

---

(١) بحث حول المهدي: ١٠٩ ـ ١١٠.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث